الصِّدِّيقُ الأكبرُ
والإمامُ الأبرُّ

اسم الكتاب: الصديق الأكبر والإمام الأبر علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب عليه السلام ورضي الله عنه وأرضاه وكرم وجهه
اسم المؤلف: أبوبكر العدني ابن علي المشهور

الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

اليمن مكتبة تريم الحديثة - حضرموت - تريم - شارع عيديد الرئيسي
٠٠٩٦٧٥٤١٧١٣٠ tmbs417130@hotmail.com
الاردن دار الفتح للدراسات والنشر ، عمان ، المملكة الأردنية الهاشمية
هاتف ٠٠٩٦٢٦٤٦٤٦١٩٩ فاكس ٠٠٩٦٢٦٤٦٤٦١٨٨
ص. ب. ١٨٣٤٧٩ عمان ١١١١٨ الاردن info@daralfath.com
ص الامـارات دار الفقيه للنشـر والتوزيع-أبوظبي الإمارات العربية المتحدة ،
هاتف : ٠٠٩٧١٢٦٦٧٨٩٢٠ فاكس:٠٠٩٧١٢٦٦٧٨٩٢١

الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ وَالإِمَامُ الأَبَرُّ

عليُ ابنُ أبي طالب بن عبد المطّلِب

عليهِ السلام و رضيَ اللهُ عنهُ و أرضاهُ و كرّمَ وجهَهُ

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

لطف الله به

المطلع القرآني

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان:٩]

المطلع النبوي

حدَّثنا زيدُ بن وهبٍ الجُهني – أنّه كان في الجَيشِ الذي كانوا مع عليٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذين سَاروا إلى الخَوارِجِ فقال عليٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (أيُّها الناسُ إني سمعتُ رسولَ اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقولُ : «يَخرُجُ أقوامٌ من أمّتي يَقرؤونَ القُرآنَ ، ليسَ قِرَاءتُكُم إلى قِراءَتِهم بِشيءٍ ، ولا صَلاتُكُم إلى صَلاتِهِم بِشيءٍ ، ولا صِيامُكُم إلى صِيامِهِم بشيءٍ ، يَقرؤونَ القرآنَ يَحسِبونَ أنّه لَهم وهو عليهِم ، لا تُجاوِزُ صلاتُهُم تَراقِيَهُم ، يَمرُقُون من الإسلامِ كما يَمرُقُ السَّهمُ مِنَ الرَّميَّةِ» [1].

(١) رواه مسلم (١٠٦٦).

الإهداء

لكل من أراد أن يفهم ولكل من لا يريد أن يفهم . .

إننا لا نود إقناع أحد بعينه ، ولا رده ولا صده عما كتب في جبينه ، فالكل يجب أن يعيش . . والكل يجب أن يفكر . .

ولكن العبرة بالاقتداء والاهتداء . .

فيا من تريد السلامة في الدارين . .

والخير للعالمين . .

وحسن النظر في حياة أمير المؤمنين . . .

أهديك كتابي . . .

المطلع الأبوي

مُحَمّدٌ النَّبِيُّ أَخِيْ وَصِهْرِيْ ... وحَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّيْ

وَجَعْفَرٌ الذِيْ يُضْحِي ويُمْسي ... يَطِيْرُ مَعَ المَلائِكَةِ ابْنُ أُمِّيْ

وبِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكَنِي وعِرْسي ... مَنُوطٌ لَحْمُهَا بِدَمِيْ ولَحْمِيْ

وَسِبْطَا أَحْمَدٍ وَلَدَايَ مِنْهَا ... فأَيُّكُمُ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِيْ؟

سَبَقْتُكُمُ إِلى الإِسْلامِ طُرّاً ... صَغِيرَاً مَا بَلَغْتُ أَوَانَ حُلْمِي

مَقولَةُ الإمامِ علي بن أبي طَالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

شاهد الحال

لـولا اعتـدالُ الأمـرِ أو بمثلِـهِ   والوَسَـطُ المَشـروعُ بينَ أهلِهِ
والنظـرُ الواعِـي إلـى أئمَّـةٍ   سـاروا بِسَيْرِ المُصطفى وقولِهِ
لمَا عَرَفْنا النّمَـطَ العَالِي الذي   بهم هُدَى الرحمنُ أهلَ فضلِهِ
مـن عَهدِ طـه والوَصِـيّ وكَذا   مِن سَـيِّدِ الصُّلحِ وعـدلِ فعلِهِ
والسيّدِ السِّبطِ الحُسينِ مُذ غَدَا   علـى الجميـعِ حجّـةً بقتلِـهِ
وبعـده بَقيَّـةِ السّـيفِ الـذي   أشَـاحَ وَجهَـاً عـن دِمـاءِ أهلِهِ
علي زيـن العابديـن المُقتدى   راعِـي السـلام بكمـالِ عقلِـهِ
وكلِّ سـاعٍ بعدهـم مُجتهـداً   بنُصـرةِ الحـقِّ وصـونِ أهلِـهِ
مُجتنبيـن الـذّمَّ والـدّمَّ الـذي   أصـاب قومـاً قُتِلُـوا بنصلِـهِ
وانفـرطَ العقـدُ وصـارَ فِتنَـةً   يدعـو إليهـا بَعضُهـم بجهلِـهِ
ولـم تـزل تَنخُـر أهـل عصرِنا   بدفعِ شـيطانٍ مَضى في دجلِهِ
سُـنتُهُ مصنوعـةٌ لمسـخِنِا   وشـيعةٌ مفتونـةٌ بمثلِـهِ
نحن الشـعوبُ المستَفَزُ حالُنا   جيـلاً بجيـلٍ فـي زمـانٍ أبلَـهِ
نحيـا علـى هَـمِّ الصـراعِ بيننا   وجلبِ شـيطانٍ وحشـدِ خيلِهِ
والحـقُ بـاقٍ فـي قليـلِ فِئـةٍ   مقرونـة بالمصطفـى ونقلـه
فاقـرأ وحقـق فقـه علـم ثابت   ينبيـك عما قـال داعـي أصله
فـي رابـع الأركان فهـو حجة   لا غيـره لصـادق فـي عدلـه

كُنهُ الموضُوع

أنا لن أُكرّر النُّسخَةَ المُكرُورَةِ، والسِّيرَةَ المأثورةِ المشهورةِ، فما قد سَبَق فيها مِن البَيانِ كِفايةٌ وجزى الله الباحثين والمؤلفين خيرا، كما أنّي لن أوَظِّفَ مَناقبَ الصّدِّيق الأكبر في إدانةِ أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فقد ذهب فريقٌ لهذا المَنحَى فَضَلُّوا وأضَلُّوا، ولن أُشغِلَ القَارئَ بصراعِ التفاضُلِ والمُفاضَلَة بين الجَدير والأجدَر فما هذه من وُجهة نظري فيما نزعت إليه أقلامُ المُتنازعين حولها إلاّ وسيلة (منافسة وتحريش) أساءت صِياغَةَ التاريخ، وبعثت كوامِنَ النفوس السيّئة بسوء تفسير المواقف، فإن صحّت وُجهةُ نظري وعسى أن تصحّ فسأتناولُ حياةَ القومِ من حيث كانوا لا من حيثما اختلف حولهم.

وسأتناول مواقفَ الصدِّيقِ الأكبرِ من خلال مرتبتِه في المعاملةِ مع أخويه الصديق أبي بكر والفاروق عمر وبقيّة السلف الصالح من أهل النمط الأوسط، وهذا ما نحتاجُه اليومَ وقبلَ اليوم .. حيث لا معبود عندهم ولا عندنا غير اللّٰه.

فلا عبادةَ لمنبر ولا لسُلطة، ولا لعَسكر، ولا لألقابٍ تذكر، ولا لحاكم أو مستوزر، ولا نقول ما قاله الخوارج (لا حكم إلا للّٰه) فتلك كلمة حق أريد بها باطل..

فالقوم عدول منذ عهد الرسالة وما بعد عهد الرسالة، وما تقوّله عليهم المتقوِّلُون لا يعدُو كونه سوء فهم لقراءة النصوص، وتحريفاً لمجريات الحوادث التاريخية من خلال تسييس اللصوص وجرأة المفتين المفتونين على النصوص: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [البقرة: ١٤٨].

الهويّة والذات

يعني موقف القراءة من الاسم والانتماء

قيل لي يوماً ما وأنا أدافع عن الحق الذي عَلِمْتُه عن الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لن يقبل القُرَّاءُ مِنْكَ ما تقول لأنك خرجت عن الإجماع بعدِّ الخلفاء خمسة .

لا نشتغل بالرد بل نشتغل بما علِمْناه وتعلمناه

ولم أشتغل حينها بالرد على من قال بل اشتغلت بأمرين :

الأول : ما كان رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بصدده في علي والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

الثاني : ما علمتُه من مشايخي سادات آل البيت عن الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وآل بيته ، واعتبرتُ الأمرين هما شغلي الذي يجب أن أتناوله مع أشتات المتقولين والمعترضين والموافقين والمريدين ، وأما ما زاد عن ذلك فرأيته لا يتعدى قول اللّه تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القصص : ٥٥] .

الغالبية من الناس يميلون إلى التحريش والإثارة

والحقيقة المرة التي يجب إثبات شيء من مرارتها أنَّ الغالبية العظمى من الناس يميلون إلى الإثارة والتحريش ، والغالبية العظمى من عِلِيَّةِ القوم في قراري الحكم والعلم يميلون إلى المنافسة.

ركض الأمة بين معركة النفي والإثبات

وبين التحريش والمنافسة تناسب كبير وتناغم فاعل لأنها من عمل الشيطان ، والقلة القليلة من أمتنا الإسلامية من تحرروا من هذين الدائين العضالين بدءًا بمواقع التعليم والتربية ، ونهاية بكراسي الحكم ومنابر الإعلام والثقافة .

وبين البداية والنهاية تركض الأمة ركض حمر الوحش في ساحة معركة النفي والإثبات ، والوجود والعدم ، تبعاً للقواقع في هندسة الواقع وامتلاك المواقع .

إرتفاع حرارة المعركة بارتفاع وسائل المعرفة

ومع كل تطور معرفي وتقدم علمي نظري ترتفع حرارة المعركة بارتفاع وسائل المعرفة وأدواتها ، فتزيد الرائي للواقع ضبابية ، ولقراءة التاريخ إشكالاً ، وللعلاقات بين المصلين تعقيداً .

الأفق المعتم ينذر بعاصفة هوجاء

ويُنذِرُ الأفقُ المعتمُ بعاصفةٍ هَوْجَاء ؛ نسألُ اللّهَ منها السلامة ، وكأني بها «فتنة تدع الحليم حيرانا» وقد كادت .

والقضاء والقدر المحتوم لا مرد له ولا اعتراض عليه ، ولكنّا نسـأل اللّٰه اللطف والعافيـة ونتلمَّـسُ منـه أن يَدلّنا على طريـق السـلامة المُفضِيةِ إلى حسـن الختام وإشاعة السلام .

القضاء والقدر المحتوم لا مرد له

وقـد كان الإمـام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أحـدَ مظاهرِهِ وأعلامِـهِ ، وأهمَّ أركانِـه ودعائِمِه في زمانه ، وهو المثال الأسـمى في سـره وإعلانه، لتجسـيد معانيه وإقامة مبانيه ، ولا يصح لأحد منا بأي حال من الأحوال أن يفسر هذه المواقف وفق ما تجري به رياحُ الاختلاف والصراع بين المصلين ، بل يجب أن يُحيَّد الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بعيداً عن هـذه المعركـة ، ويعاد النظر في المواقف والحيثيات كما فعلها وفسـرها بذاته وما نتج عن تلك الذوات من مواقف وإجراءات .

الإمام علي كان أحد مظاهر السلام وأهم أركانه

أمـا ما وقف المُحِبُّون أو المُبغِضُون حولَه وحـولَ ذاتِهِ وأفضليَّتِه وجَدَارتِه ، وما تفـرَّعَ عن هـذه التفصيلات من احتدامات واختلافات واختلاقـات فرُكَامُ أحداثٍ وعبـثٌ بميراث ، ولا يمكن بأي حالٍ من الأحوال أن يفضيَ الأمرُ المختلف عليه إلى رؤيةٍ اعتباريَّةٍ مُشتركة .

ائتلاف المحبين والمبغضين ركام أحداث وعبث بميراث

وإنَّمـا الأمرُ الذي يُمكنُ أن يَعودَ بفائـدةٍ مرجوّةٍ هو الذاتُ المباركةُ وما ثَبَتَ من مَواقِفِها ، وما تَهَيَّأ من سـلامَة الإستقرار وحقيقةِ الاستمرَارِ على يَدَيهِ وتحتَ نَظَرِه ، ومـا صـحَّ عن مَواقِفِه النَّصيَّةِ قَولاً وفِعلاً عن كلِّ ما حَبَـاهُ اللّٰهُ من الإرثِ والمَقام والمَرتبـةِ وسـلامةِ التصرُّفِ ، فمـا أثَّرَ فيه عنه التحرك ، أو ما أثَّـرَ فِيه عنه التوقُّفِ ، فالحاجة ماسه لهذا لا لغيره ، والمشكلة تتضاءل بمعرفتنا لمثلِ هذا لا غيره.

الفائدة المرجوة في دراسة الذات ومواقفها

وربما كانت العلة الكبرى إن لم تكن أم العلل في هذا الأمر واسـتفحال أضرار تناوله مسألة السياسة والتسييس ، إذ صار النظر من خلالهما فتنة ، والكيل بمكيالهما محنـة ، سـواء كان في دائرة المحبين الغلاة ، أو كان فـي دائرة المبغضين الجفاة ، ومثلهما الراغب في الاعتدال والتوسـط إن هو اتخذ من السياسة والتسييس حجة ومرجعيـة ، ومن ركام الأحداث وسـيلة ومطية ، فالجميع في هذه الدوائر أسـرى لطرفي المنافسـة والتحريش ، ولا مجـال للإنصاف من خلالهما ، ولا من البحث في ركام ثمراتهما ، وأشـير إلى هذا وأؤكد عليه في مقالي هذا لأتجنب حساسـية

العلة الكبرى في السياسة والتسييس

حرج الصدور ، وألتزم ما استطعت بما هو أوسط الأمور ، ولست بملتزم مذهب محبٍ حوّل المحبة سلاحاً يمنحه الظلم لغيره ، ولا بملتزم فكرة مبغض جعل البغض درعاً يدافع به عن سيره ومصيره ، وأستغفر اللّٰه أن أتجنى على مسلم له من الحق البلج نصيب ، فالحق أحق أن يتبع.

ونسأل اللّٰه أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل...

أبو بكر علي المشهور
جدة ١٨ الحجة ١٤٣١هـ
يوم ذكرى الغدير

من هو الصديق الأكبر ؟

جـاء هذا اللقب المشـار إليه فـي عنوان الكتـاب وفي هذا الفصـل من عدد عن المرويـات الثابتـة فـي كتب السـنة ، وقبـل أن نورد هـذه النصوص نـود أن نخرج القـارئ من أسـلوب المصادمـة والتحريش الطاغي على ثقافة المسـلمين في هذا العصر أو فيما سـبق ، حيث يعتقد البعض منافسـة اللقب للقب الخليفة الأول أبي بكر الصديق ، أو الاعتقاد بسـلب لقب الصديق ممن لا يستحقه إلى من يستحقه ، مثـل ذلـك مثل لقب الفاروق الذي نجد البعض يعزيه إلى الإمام علي ويسـلبه من الخليفة الفاروق ، ومثل هذه الأسـاليب وللأسف منعدمة الأدب الشرعي مع أهل الرتب والمقامات ، ومبنية على سَورة الطباع وثورة الأنفس ، ونزعات الذوات.

مـع أن اللقبيـن (الصديق والفاروق) تليـق بالجميع كلٌ فيما يناسـبه من المعنى المراد في النص وهذا ما تشير إليه النصوص الشرعية وكفى بها حجة وبيانا ، ومنها مـا رواه الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في فضائل الصحابة (١/ حديث ١١٥ - ١) من رواية الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال : (أنا عبد اللّٰه وأخو رسول اللّٰه ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر ، ولقد صليت مع رسول اللّٰه قبل الناس لسـبع سـنين وأنا أول من صلى معه..) [١] ، وروى الطبراني في الكبير بإسـناد رجاله ثقات ، عن أبي ذر وسـلمان قالا : أخذ رسـول اللّٰه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بيد علي بن

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٩٩٣) والمستدرك على الصحيحين للحاكم (٤٥٨٤).
وفي المناقب لأحمد عن أبي ليلى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال : (الصدّيقون ثلاثة حبيب بن مرى النجار مؤمن آل ياسـين الذى قال يا قوم اتبعوا المرسـلين ، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذى قـال أتقتلـون رجـلاً أن يقول ربى اللـه ، وعلي بن أبـى طالب الثالث وهـو أفضلهم) . اهـ تاريخ الخميس ٢ / ٢٧٥.

أبـي طالب فقال رسـول اللّٰه ﷺ : «**هذا أول مـن آمن بي ، وهذا أول من يصافحني يـوم القيامـة ، وهـذا الصديق الأكبر وهذا فـاروق الأمة يفرق بين الحـق والباطل ، وهذا يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب المنافقين**»[1] اهـ وفي تفسير قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾[الحديد : ١٩] نزلت في علي بن أبي طالب .

وقد تكلم بعض علماء الجرح والتعديل في كثير من هذه النصوص وعزوها إلى الضعـف ، وبعضهـا إلى الوضع الهالـك ، ومنهم من قبل بعضهـا وخصوصاً فيما يعضد بعضه بعضاً من الروايات الضعيفة ، ونحن نكل هذا الأمرإلى رجاله وأهله ، فما كان موضوعاً ومتهالكاً فمردود ولو أنا استدللنا به ، وما كان ضعيفاً ومعضوداً بغيره فنرجو اللّٰه أن يجعله سبباً في معرفة الحق وأهله .

من هو الصديق الأكبر

إذن فالصديـق الأكبـر هو الإمام الحجة علي بن أبـي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

محيط الأسرة المباركة للإمام علي رضي الله عنه

كان أصغـر أبنـاء أبويه ، وأكبر منه جعفر وعقيل وطالـب ، وبين كل منهم وأخيه عشـر سنين ، ولم يُذكر طالب بترجمة لأنه مات على غير الإسلام ، ولد الإمام في داخـل الكعبة ، وفتـح عينيه على الإسـلام حيث تربى في بيت الدعوة الإسـلامية بيت النبوة.

فهـو ابـن عم النبـي ﷺ وربيبه الذي نشـأ في بيتـه وعاش تحت نظـر وملاحظة الرسول ﷺ.

إسلامه وتفقهه في الدين

أسـلم فيمـا بين السـابعة إلى السادسـة عشـرة على اختـلاف المرويـات، ولعل الراجح أنه أسلم في العاشرة أو قريباً منها بُعيد إسلام خديجة رضي الله عنها.

مـلأ الدين العظيم قلب ابن أبي طالب كما امتلأ قلبه بحب النبي محمد وتبجيله ، ولـم تنفتح عيناه إلاّ على عبادة النبي لمولاه وعلى تنزل عطاء اللّٰه في بيت رسول اللّٰه ﷺ .

---

(١)المعجم الكبير للطبراني (٦١٨٤) ومسند البزار (٣٨٩٨) .

تفقـه في الدين تفقهاً لا يجارى ، ونال من فطرة المعرفة لغة وأدباً وسـلوكاً على يـد المعلـم الأعظـم ﷺ ما لـم ينله مسـلم في عصره ، ولا عالـم مقـرب في دهره ، وحـقّ أن يكـون أهـلاً لمقالة من لا ينطق عـن الهوى ﷺ : **«أنا مدينـة العلم وعلي بابهـا»** وفي رواية بزيادة : **«ومن أراد العلم فليأت الباب»**[1] ، وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ و رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول عن نفسـه : (واللّٰه ما نزلت آية إلا وقد علمتُ فيمن نزلت وأين نزلت وعلى مـن نزلـت ، إن ربي وهب لـي قلباً عقولاً ولسـاناً صادقاً ناطقـا)[2] ، وكان يقول : (سـلوني عن كتاب اللّٰه فإنه ليس من آيـة إلاّ وقد عرفت بليل نزلـت أم بنهار ، وفي سهل أم جبل)[3] ، وفيه يقول المصطفى ﷺ : **« علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقانِ حتى يردا عليّ الحوض»**.[4]

المناقب والفضائل للإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وكم للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ من مناقب وفضائل أفاض الحفاظ والمحدثون والعلماء والباحثـون والكتاب حولها ، وتناولها الجيل بعد الجيل ، وكفى منها ما أعلنه ﷺ فـي اجتماعـه ببني عبد المطلـب : **«يا بني عبد المطلب إني واللّٰه ما أعلم شـاباً في العـرب قـد جاء قومه بأفضـل ما جئتكم به .. إني قد جئتكم بخيـر الدنيا والأخرة ، وقـد أمرني ربـي أن أدعوكـم ، فأيكـم يؤازرني على هذا الأمر علـى أن يكون أخي ووصيـي خليفتـي فيكم بعـدي؟»** فقال علي : فأحجـم القوم منهـا جميعاً وقلت : وإنـي لأحدُثهم سـناً : أنا يا نبي اللّٰه أكون وزيرك عليـه، فأخذ برقبتي ثم قال ﷺ : **«إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسـمعوا له وأطيعوا»** ،[5] وقال له النبي ﷺ

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤٦٣٩) ، والمعجم الكبير للطبراني (١١٠٦١) .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي (١/ ١٤٢) ، تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٢/ ٣٩٨).

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي (١/ ١٤٢) ، تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٢/ ٣٩٨).

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤٦٢٨) .

(٥) تاريـخ الطبـري (٢/ ٣٢١) ، ولعـل في هـذه الأحاديث ما يحتج به على اسـتحقاق الإمـام علي للخلافة دون منازع ، وذاك أمر صحيح ولا خلاف عليه عند أهل النمط الأوسـط ، ولكنهـم لا يرضـون مخالفة الإمـام علي وقـد رضي لنفسـه وللأمة بعد عقـد الخلافـة لأبي بكر أن يكون وزيـراً وناصحاً ومعيناً لتحقيق الهدف الإسـلامي المشترك.

: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا إنه لا نبي بعدي».[1]

قلت: وهذا الوصف المشار إليه في الأحاديث قيل بحضرة الصحابة وآل البيت والمهاجرين والأنصار مما لا يترتب عليه تنافس ولا تحريش، ولم يبلغ أحد أن أبا بكر أو عمر قالا في الأمر شيئاً أو أنكراه أو احتجا به، وبهذا يثبت اللقب بما فيه من الفضائل للإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بوصفه (الصديق الأكبر وفاروق الأمة) بما هو معلوم من الاستحقاق للصديقية الكبرى وهو جدير بها، وكذلك فاروق الأمة لما خصه اللّه به من المواقف والعلوم الغزيرة، ويظل أيضاً لقب الصديق الممنوح لأبي بكر الصديق في موقعه السديد ولقب الفاروق لعمر بن الخطاب باستحقاق أكيد، ولا مكان لسلب أحد من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مكانته ولا لقبه، بل ولا يليق بحال من الأحوال أن نزج عصبية الطائفية والقبلية والمذهبية في مقامات الحصانات للسابقين إلى الإسلام الباذلين أنفسهم وأرواحهم فداء لرسول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين.

علم الإمام علي وعلم ابن عباس

هذا هو الإمام علي بن أبي طالب في مكانته العلمية وفضيلته الشرعية، ومقامه الرفيع السامق .. قيل لابن عباس: أين علمك من علم ابن عمك؟ قال كنسبة قطرة).[2]

علم الإمام علي بن أبي طالب في امتيازه بعلم الفقه المتفرد

وإليه ترجع كافة العلوم كما أشار إلى ذلك العقاد في عبقريته فقال: (وكان أحسن الناس علماً وفقهاً كما كان أحسنهم عبادة وعملاً، فكانت فتاواه مرجعاً للخلفاء والصحابة في عهود أبي بكر وعمر وعثمان، وندرت مسألة من المسائل الشريعة لم يكن له رأي فيها يؤخذ به أو تنهض له الحجة بين أفضل الآراء....

أرباب فن التصوف وعلوم الإحسان عالة على الإمام علي بن أبي طالب

إلى أن قال: قال ابن أبي الحديد: ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون وعنده يفقهون، وقد صرح بذلك الشبلي والجنيد والسري وأبو زيد البسطامي

---

(١) صحيح البخاري (٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤).

(٢) عبقرية الإمام لعباس محمود العقاد ص (٤٢) طبعة دار المعارف مصر.

وأبو محفوظ معروف الكرخي وغيرهم إلخ ، وقد جمع نهج البلاغة نماذج شتى من الكلمات التي تنسب إليه ويصح أن تحسب أصلاً (للعلم الإلهي) أو لأسرار التصوف في صدر الإسلام قبل اشتغال المسلمين بفلسفة اليونان وحكمة الأمم الأجنبية.[1]

وكان من المعلوم التي برزت على لسانه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ علم النحو ، فقد أثر أن أبا الأسود الدؤلي((قاضيه على البصرة)) وهو أحد القراء الفقهاء دخل عليه فقالَ أَبُو الأَسْوِد: يا أَميرَ المُؤْمِنِينَ ذَهَبَتْ لُغَةُ العَرَبِ لمّا خَالَطَتِ العَجَمَ ففَسَدَتْ أَلْسِنَتُها وأَوْشَكَتْ لُغَةُ العَرَبِ إنْ تَطَاوَلَ عليها الزَّمَنُ أنْ تَضْمَحِلَّ، وكانَ الإِمَامُ قد لاحظَ في الكُوفَةِ فَسَادَ أَلْسِنَةِ بَعْضِ الصِّغَارِ الذينَ تُرَبِّيهِمُ الإِمَاءُ مِن المَوَالي، ولكنَّهُ سأَلَ أبا الأَسْوَد: وما ذاكَ؟ أرادَ أَنْ يَعْرِفَ ما أَلَمَّ بالبَصْرَةِ، فَرَوَى أَبُو الأَسْوَد: إنَّ ابْنَةً لي دَخَلَتْ عَلَيَّ فقالَت: ما أَشَدُّ الحرِّ، (رَفَعَتْ أَشَدُّ وجرّت الحَرَّ) فرأيتُها تَسْتَفْهِمُ عَن أَيِّ زَمَانِ الحَرِّ أَشَدُّ، فَقُلْتُ لها: ما نَحْنُ فيه، قالَتْ: إنَّما أُخْبِرُكَ ولم أَسْأَلْكَ، فَعَلِمْتُ أَنَّها قَصَدَتْ التَّعَجُّب، فَقُلْتُ لها: يا بُنَيَّةُ قولي: ما أَشَدَّ الحَرَّ (بالنَّصب في الكَلِمَتَين) ، وأرادَتْ بِنْتٌ أُخْرى لي أنْ تَتَعَجَّبَ مِنْ جَمَالِ السَّماء فقالَتْ: ما أَحْسَنُ السَّمَاءِ (برَفْع أَحْسَنُ وجَرِّ السَّماء) فَقُلْتُ لها: نُجُومُها، فقالَتْ: إنِّي لم أُرِدْ أَيَّ شيءٍ منها أحسَنُ، إنَّما تَعَجَّبْتُ مِن حُسْنِها، فقلتُ: إذَنْ فَقُولي: ما أَحْسَنَ السَّماءَ (بنَصْب أَحْسَنَ والسَّماء) ثُمَّ روى له أَبُو الأَسْودِ الدُّؤَلِيُّ أَنَّ رجالا جاءُوا إلى أَميرِ البَصْرَةِ فَقَالُوا: أَصْلَحَ اللهُ الأميرَ تُوُفِّيَ أبانا وتَرَكَ بَنُونَ، فَصَرَخَ فيهِمْ أَميرُ البَصْرَةِ: لَيسَ هَكَذَا، قُولُوا: تُوُفِّيَ أَبُونا وتَرَكَ بَنِينَ.

فنصَحَ أَميرُ المُؤْمِنينَ لأَبي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ أَنْ يَنْهَضَ في الوَقْتِ فَيَشْتَرِيَ صُحُفاً بِدِرْهَم، ثُمَّ أَمْلَى عليه: **الكَلامُ كُلُّهُ لا يَخْرُجُ عن اسم وفِعْلٍ وحَرْفٍ، والاِسْمُ ما أَنْبَأَ عن المُسَمَّى، والفِعْلُ ما أَنْبَأَ عن حَرَكَةِ المُسَمَّى، والحَرْفُ ما أَنْبَأَ عن مَعْنَىً ليسَ باسْم ولا فِعْلٍ**، ثُمَّ قالَ لأبي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ: **واعْلَمْ يا أبا الأَسْوَدِ أَنَّ الأَشْياءَ ثلاثةٌ: ظاهِرٌ،**

(١) عبقرية الإمام (ص ٤٣).

ومُضْمَرٌ، وشَيءٌ ليسَ بِظَاهِرٍ ولا مُضْمَرٍ[1]**، فاكتُبْ قَوَاعِدَ اللُّغَةِ وانْحُ نَحْوَ هَذَا ،** فَسَمَّى ما كَتَبَهُ عِلْمَ النَّحْوِ، قالَ أبو الأَسْوَدِ: فَجَمَعْتُ أَشْياءَ وعَرَضْتُها عليهِ، وكانَ من ذَلِكَ حُرُوفُ النَّصْبِ، فكانَ منها: إنَّ وأنَّ وليتَ ولعلَّ وكأنَّ، ولم أذكر لَكِنَّ، فقالَ لي: **لِمَ تَرَكْتَها؟** فَقُلْتُ: لم أَحْسَبْها مِنْها، فقالَ ﷺ: **بل هِيَ مِنْها،** فَزِدْتُها.

(١) قيل: إن ما ليس بظاهر ولا مضمر هو اسم الإشارة، والصحيح أنه الكلام المحذوف كقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ والمراد جاء أمر ربك، أما اسم الإشارة فيعد من الظاهر.

الصديقية الكبرى أعلى مراتب الإحسان

الصديقية الكبرى أعلى مراتب الإحسان والإمام علي أحرى بها حالاً ومقاما

عرفت الصديقية الكبرى بأنها هي أعلى مراتب الإحسان بلا خلاف ، والإمام علي عليه السلام جدير بها بلا منازع ، فكيف لا تكون مواقفه مواقف الصديقية الكبرى وهو بها أحرى ، فاللقب المشار إليه يناله مرتبة بجدارة ، ويناله كفضيلة ومنقبة يصفه به من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم .

والحريّ بهذه المراتب عبدٌ محض لا حظّ للنفس في تصرفاته ولا رعونات له ، والذين جعلوا الإمامة والصديقيةَ سلطةً وحكماً وحطاماً عكسوا مقام نفوسهم وحظوظها في العاجلة ، وجردوا بأفهامهم السفلى عن الإمام وأشباهه وأمثاله مواهبَهم العالية ، تلك المواهب التي اكتسبوها بصحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعرفت رجولتهم بما عاشروه وآكلوه وشاربوه وعلموا منه وتعلموا ، وما وصفهم به وما حصّنهم وحوّط به عقولهم وقلوبهم وجوارحهم ، وما أدّب به نفوسهم وذواتهم وحظوظهم حتى صار للصحبة بهم مكانة ، ولها بجليل أعمالهم وصدق اتباعهم حصانة وأمانة ، فرضي اللّٰه عنهم وأرضاهم .

الصديقية الكبرى منهج سلوك وليست ميزة صراع ومنازعة

إن الصديق الأكبر لم يكن باحثاً عن مظهر ولا مفخر ، وإنما كان مجاهداً في اللّٰه ورسوله منذ الصبا والصغر ، فهو الذي يقول : (لقد قالت قريش إن ابن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب للّٰه أبوهم ، وهل أحدٌ منهم أشد لها مراساً مني ، وأقدم فيها مقاماً ، لقد نهضتُ فيها وما بلغت العشرين ، وها أنذا قد ذرفتُ على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع).

ولم تسلبه الحوادث والوقائع والتحولات لقبه الأفخر ولا مقامه الأنور ، ظلّ علياً وعاش علياً وتولى الحكم علياً وقاتل علياً وسَالَمَ علياً ومات علياً ويُبعث علياً ، وهو بين أنداده وإخوانه المؤمنين عليٌّ ووليٌّ في حياته وبعد مماته .. وللآخرة

أكبر درجات وأكبر تفضيلا.

المناقب سخرت في بعض تاريخنا الإسلامي إلى مادة إثارة وتحريش

لقد ملأت مناقب الصديق الأكبر كتب الحديث والسيرة والمناقب، وَحَدَ بها العالم والباحث والطالب، ولا خلاف على حقيقة ما ورد فيها وما صح منها، ولكنها سُخِّرت في بعض تاريخنا الإسلامي تسخيراً غير ذي زرع...

وأقول في بعض تاريخنا الإسلامي وخاصة التاريخ السياسي لأنه في ذاته وموضوعه تاريخ صياغة للأمجاد، وتاريخ إشادة بأسياد، ولو على حساب العدالة والإسناد، خلافاً لتاريخ النبوة وتاريخ الصديقية وتاريخ الرجولة والفحولة، المصاغ بأيدي وعقول الخلفاء الراشدين المهديين بعيداً عن النقد المسف والقدح المسرف، والنكاية والسعاية والوشاية.

مقولة الإمام عن هلاك المحب والمبغض بالجفاء والغلو

وانتقل التاريخ الإسلامي الناصع في بعض وجهه السياسي من شرف الاهتداء والاقتداء المشروع إلى مادة التحريش الإبليسي ومادة المنافسة الآدمية وصح ما قاله الإمام الصديق الأكبر: (يَهلك فيّ رجلانِ: محبٌّ مفرطٌ، وجافٍ مبغضٌ)، والرجلان اللذان يشير إليهما الإمام علي هما من أبناء الأمة الإسلامية الواحدة.. حيث يصابان بداء المنافسة فيخلدان بها إلى الأرض، ويحشران مادة المناقب في وظائف التحريش، فتصاب أجيال بداء العداوة والبغض والجفاء حتى يدخلون بها النار، وتصاب أجيال أخرى بداء الغلوّ والإفراط في الحب حتى يدخلون بها النار...

الفئات المدمرة سلامة الأرث النبوي

وصدق النبيﷺ يوم قال: «**يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**»[١]، فالفئات الثلاث الغالية والجافية والجاهلة هي علة الفساد والإفساد في كل مرحلة وتاريخ.

الحرب الطائفية التي جلب الشيطان بخيله ورجله في الأمة المسلمة

وهي التي خدمت المنهج الشيطاني في الحياة الإنسانية عموماً وفي الحياة الإسلامية خصوصاً، فجعلت من مادة العلم عن الصديق الأكبر مادة غلو وإفراط، وجعلت من أصحاب رسول اللهﷺ مادة جفاء وتفريط، وبهما أي: بالغلوّ

(١) سنن البيهقي الكبرى (٢٠٩١١).

والجفاء جلب الشيطان بخيله ورجله في الأمم المسلمة لإقامة حرب لا هوادة فيها أهلكت الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد.

وها نحن اليوم في هذه (المواجهة بين طرفي الغلو والجفاء) وقد تحولا إلى إعصار وطُوفان ، فالتحريش إعصار والمنافسة طُوفان ، وخلف الإعصار والطُوفان دجّال وشيطان .

الإسلام في حاجة إلى العدول العقلاء لينقلوا الأمة من الصراع إلى الاقتداء والاهتداء

والإسلام في حاجة إلى عُدول وعقلاء يحجّمون إفراط الغلاة وتفريط الجفاة وجهالة الجهلاء ، وينقلون العقول والقلوب من حمأة الصراع المفتعل إلى الاقتداء والاهتداء .

فاشتغال الشعوب بالنقائض والنواقض علة من العلل ، وقد كان السلف الصالح يشتغلون بالمحاسن ويشغلون الأجيال بالإيجابيات أملاً في بناء منهجية الاقتداء والاهتداء وخيراً فعلوا .. فالكثير من المجتمعات التي اشتغلت بهذا النصيب المبارك كانت مجتمعات السلم والسلامة وعاشت مصدراً للأمن والاطمئنان في ذاتها ومع غيرها ، حتى كان من أدب التربية والسيرة في منهج التعليم المذهبي الصوفي شحن عقول وقلوب الناشئة بمحاسن الصحابة وبطولاتهم ومحاسن من جاء من بعدهم دون الالتفات إلى المتناقضات والاختلافات ، حتى جاء عهد الغثاء وهو العهد المذموم في نصوص الكتاب والسنة وله ملامحه المميزة وعلائمه المتميزة بالنص الشرعي ، فانقلب المجنّ فيه على الإسلام وأهله ، وتحولت الإيجابيات إلى سلبيات ، كما تحولت الرذائل إلى فضائل ، وغزا الشيطان بجنده أمة القرآن والسنة بالوسائل المتنوعة ، والأبالسة المتقنّعة ، خلال مراحل وأزمنة متلاحقة مصنّعة ، وفي هذا الأمر لو أردنا بسط مجرياته لخرجنا عن موضوعنا الأصلي لتشعب الأسباب وكثرة الخلط المتعمد في أمة السنة والكتاب .

عهد الغثاء ودوره في تحول الإيجابيات إلى سلبيات بتوسيد الأمر إلى غير أهله

ولعلمنا اليقيني أن بعض القراء لا يروق له أن يجد الحق مبسوطاً على وجهه الصحيح ، وإن وجده وتحقق من صحته نكص على عقبيه وافترض له افتراضات ، واعترض عليه باعتراضات، تجعل الصحيح في أعين الغثائيين أقرب إلى القبيح ، والقبيح أقرب إلى الصحيح ، والعصر عصر مغالبة واستغفال ، واستمالة نفوس

العصر عصر مغالبة واستغفال

بالسلطان والمال، والاندفاع والاستعجال، وليس لنا أمام هذه التغيرات إلا أن نردد ما قاله ربنا ذو الجلال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦].

هدفنا من ترجمة الصديق الأكبر

إن رغبتنا في ترجمة الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ واختيارنا لمسمى الصديق الأكبر إنما هو رغبةٌ في إحياء ما مات وترميم ما تَهَدّم واندثر، من شرف العلاقة الشرعية التي كانت ألفة ومحبّة في مرحلة السلامة بين أصحاب رسول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وتحولت في عقول بعض المتأخرين من الجيل حسّاً ومعنى إلى استقباح ومنكر، وسنشير إلى السبب الأصلي الذي أدى إلى هذه الحالة المستفحلة في بعض الكتل وجيل الإعلام المستغفل.

الانقلاب الفكري المبرمج وعلاقته بموعودات النبوة

إنه الانقلاب الفكري المبرمج منذ حصول الموعودات النبوية التي تحدث عن وقوعها سيد البرية صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبدراستها دراسة واعية ندرك حجم الشذوذ الذي تحول بالأسباب إلى قاعدة فصرنا نسمع ونرى ما لا يؤلف ولا يعرف. ونقرأ ونشهد ما نستقبحه شرعاً وعقلاً عند ذوي العقول السليمة، بينما يراه أولئك وكأنه حق وصدق، وأستشعر في نفسي وجوب الإفصاح الذي لا بد من إبرازه وإظهاره لمن أراد اللّه له السلامة والحفظ من الفتن ومضلاتها.

الفتن ومضلاتها عبر التاريخ من النشأة إلى الامتداد

فالفتن ومضلاتها كانت على عهد الصديق الأكبر بارزة في تيار الخوارج وعناصر النفاق، وفي تلكم المرحلة برزت بذور ثقافة الحقد والكراهية ضد أئمة الهدى من الآل والأصحاب، وعمل الشيطان ما استطاع بخيله ورجله كي يبذر سياسة الفرقة بين المفهومين الشرعيين (الآل والأصحاب) كما فعل من قبل في محاولة بذر الفرقة بين المهاجرين والأنصار ليحقق بذلك ثقافة التجزئة والتفرقة..

ثقافة التجزئة والتفرقة ثقافة شيطانية

وثقافة التجزئة عمل شيطاني دجالي ينسف الأبنية المتكاملة، ويفرق الوحدة المتضامنة تعرف في عصرنا بسياسة (فرق تسد)، وسواء كان الشعار جديداً أو كان تليداً فهو من شعارات المدرسة الإبليسية الهاتكة، يفسد به العلاقات ويفكك به الجماعات، وينخر به في وحدة المؤمنين، ويشوه به سمعة الصلحاء المتقين، ويبث من خلاله فتنة الإشاعة المحرقة خيمة الألفة بين المسلمين.

دراسة فقه التحولات لكشف أهمية الثقافة الشرعية الواعية

ودراسـتنا الواعية من خلال (الثوابت الإسـلامية) المجتمعة في فقه التحولات الخاص بعلم علامات السـاعة وما يترتب على العلم بها من ثقافة شـرعية إسلامية واعية .. نتعرف يقيناً على شرف الآل والأصحاب ، وشرف المهاجرين والأنصار ، ووحدة منهجيتهم الشرعية في عصر النبوة ، ووحدة رؤيتهم الاجتهادية في عصر الأبـوّة ، وأن مواقفهـم الثابتـة هي إحدى سـنن الخلفاء التي يُهتـدى بها ويقتدى ، وخصوصـاً أولئـك الذيـن تجمعهـم وحـدة المناقـب المميـزة مناقب الـذوات ، ومناقب المرحلة ، ومناقب الانتماء كما صحّت عن رسول اللّٰه ﷺ لا غير ذلك.

التوثيق الخاص بمرحلة الرسالة في حصانة الذوات

إن هنـا مفصلاً هاماً في دراسـتنا للأئمة الخلفاء لم يهتم بـه الباحثون والكاتبون في غالب كتاباتهم ... إنه موضوع (التوثيق الخاص بمرحلة الرسـالة) وأن أساس التراجـم ومصدر الأحـكام والاحتكام في هذه النماذج لا يرتبـط بفهمنا ولا بفهم معاصريهم المرتبطين بمجريات الأحوال والأحداث ، ولكن الفقه المتكون عنهم والفقـه المحصّن لذواتهم كان بشـهادات النبي ﷺ لهم في حياتهم معه ، وما كان من أثر الوحي الرباني الذي ميز اللّٰه به الخبيث من الطيب ، إضافة إلى كون غالب القوادح لا علاقة لها بمرحلة الرسالة ، لأنها مرحلة الحصانة المصانة ، أما القوادح فإنمـا جـاءت ثمرة الاختلاف الطبعي والصراع الاجتماعـي فيما بعد ذلك ، وهذه لا تقدح في العدالة ، وإنما هي تأكيد لضعف البشـرية وآثار المسببات لثورة الطبع ، كمـا أنها لا تمنع عن المناصحة أو المعاتبة أو المشـاورة فيما بينهم فيما اختلفوا عليـه أو مـا أرادوا الاتفاق حوله ، وعلينا أن نشـهد هذه الخصوصيـة ولا نقع فيما وقـع فيه بعـض الباحثين القارئين طبـاع ومواقف الصحابة وأمهـات المؤمنين بما نحن نعيشـه ونمارسه من غلبة النفوس وهيمنة الهوى[1]. تحت قاعدة لا أصل لها

القوادح ناشئة في مرحلة الصراع السياسي كثمرة للضعف البشري

---

(١) كتـب في هذا المضمـار أحدهم في ترجمة للإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مشـيراً إلى موقفه من عثمان وما جرى بعد خلافته : (هذه عداوة قديمة النسـب بين عبد شـمس ، وبين بني هاشـم ، ثم أن رسـول اللّٰه ﷺ زوج علياً بابنته ، وزوج عثمان بابنته الأخرى ، وكان اختصاص رسول اللّٰـه ﷺ لفاطمة أكثر مـن اختصاصه للبنت الأخرى ، واختصاصه أيضاً لعلي وزيادة قربه منه وامتزاجه به واسـتخلاصه إياه لنفسـه أكثر وأعظم من اختصاصه لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فنفس

في هذا المعنى وهو أنهم ليسوا أهل عصمة ، ويجري عليهم ما يجري على غيرهم .. فهذه كلمة حق في ذاتها ولكنها كما يبدو أريد بها باطل.

الفهم الواعي للحصانات يتبين فوارق النظر لمجريات السلوك

والباطل المراد هو استباحة أعراض الصحابة وأمهات المؤمنين ، ولهذا فإن فَهْمَنَا الواعي لمفهوم الحصانات المشار إليها سلفاً تبين لنا فوارق النظر لمجريات السلوك وغلبة أمر الطباع ، حتى بين مراتب الصحابة أنفسهم واختلاف خبرتهم التفصيلية حسب السابقة للإسلام ، أوما يتميز به بعضهم من خصوصية دون غيره .. وهذا فقه هام في شرح أحوال الآل وصحابة رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين وحتى بعض التابعين وتابع التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، وفق شروط خاصة وضوابط شرعية ربما اتضحت أبعادها بدراسة فقه التحولات أكثر من الدراسة المعتادة لأي فقه آخر.

عثمان ذلك عليه فتباعد ما بين قلبيهما ، وزاد في التباعد ما عساه يكون بين الأختين من مباغضة ، أو مشاجرة ، أو كلام ينقل من أحدهما إلى الأخرى فيتكدر قلبها على أختها ويكون ذلك التكدير سببا لتكدير ما بين البعلين أيضاً ، كما نشاهده في عصرنا وفي غيره من الأعصار. راجع ص ٦٠ عن(الإمام علي رابع الخلفاء الراشدين ، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

لاحظ آخر مقولته : (كما نشاهده في عصرنا وفي غيره من الأعصار): فهل يقاس موقف وسلوك وطباع أصحاب رسول الله ﷺ بما نشاهده من طباع أهل عصرنا أو غيره من الأعصار؟ قال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزُّمَر : ٩] إن هذا الوصف جراءة من الكاتب لا يليق بأمانة العلم عموماً ولا بخدمة مواقف الصحابة خصوصاً ، بل إنها علة من علل الطبع البشري المتأثر بثقافة المراحل ، ونظرة معرفية أقرب ما تكون إلى الرؤى العلمانية المجردة وللأسف .

نماذج من علم مرتبة الإمامة .. الصديقية الكبرى

قال الإمام علي كرم الله وجهه: لا يصدر عن القلب السليم إلا المعنى المستقيم ، وإذا أحب الله سبحانه عبدا رزقه قلبا سليما وخلقا قويما .

وقد اجتمع من مقولات الإمام علي رضي الله وحكمته الشيء الكثير الكثير وكأني بها مدرسة الصديقية الكبرى بعينها ..يكفي لقارئها ومتدبرها أن يجعلها منهجه ومنهج من يليه من أبنائه وأهله وذويه .. ومن يعنيه أمرهم في زمنه وعصره .. من أحبابه ومحبيه ..

وهذه أمثلة متنوعة من هذه المدرسة الأبوية النبوية ..

القَلْبُ السَّلِيمُ آثارُهُ وعَلائِمُهُ

قالَ كرَّم الله وجهه: لا يَصْدُرُ عن القَلْبِ السَّلِيمِ إلا المَعْنَى المُسْتَقِيمَ.

وقالَ كرَّم الله وجهه: إذا أَحَبَّ اللهُ سُبْحَانَهُ عَبْداً رَزَقَهُ قَلْباً سَلِيماً وخُلُقاً قَوِيماً.

وقالَ كرَّم الله وجهه: أَشْعِرِ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِجَمِيعِ النَّاسِ والإِحْسانَ إليهم، ولا تَنَلْهُم حَيفَاً ولا تَكُن عَلَيهِم سَيْفاً.

وقالَ كرَّم الله وجهه: أَحْيِي قَلْبَكَ بِالمَوعِظَةِ، وأَمِتْهِ بالزَّهادَةِ، وقَوِّهِ باليَقِينِ، وذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الموتِ، وقَرِّرْهُ بِالفَنَاءِ ، وبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنيا.

وقالَ كرَّم الله وجهه: إنَّ النَّاظِرَ بِالقَلْبِ العَامِلَ بِالبَصَرِ يكونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَنْظُرَ عَمَلَهُ عليهِ أَمْ له؟ ، فَإِنْ كانَ له مَضَى فيه، وإِنْ كانَ عليهِ وَقَفَ عنه.

وقالَ كرَّم الله وجهه: طُوبَى لمن خَلا مِن الغِلِّ صَدْرُهُ وسَلِمَ مِن الغِشِّ قَلْبُهُ.

وقالَ كرَّم الله وجهه: قُلُوبُ العِبَادِ الطَّاهِرَةُ مَوَاضِعُ نَظَرِ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَمَنْ طَهَّرَ قَلْبَهُ نَظَرَ إليه.

قالَ كرَّم الله وجهه في تَمْثِيلِهِ لِلقُلُوبِ: إنَّ لله في الأَرْضِ آنِيَةً، ألا وَهِيَ القُلُوبُ، فَخَيْرُها أَصْفَاهَا ، وأَصْلَبُها وأَرَقُّها، ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ فقالَ: أَصْفَاها في اليَقِينِ ، وأَصْلَبُها في الدِّينِ، وأَرَقُّها على المُؤْمِنِينَ.

وقالَ كرَّم الله وجهه لِنَجْلِهِ الحَسَنِ: وَإِنَّما قَلْبُ الحَدَثِ كَالأَرْضِ الخَالِيَةِ، ما أُلقي فيها مِن شَيءٍ قَبِلَتْهُ ، فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ ويَشْتَغِلَ لُبُّكَ.

القَلْبُ المَذْمُومُ

قالَ كرَّم الله وجهه: **اِنْتِبَاهُ العُيُونِ لا يَنْفَعُ مع غَفْلَةِ القُلُوبِ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **خُلُوُّ القَلْبِ من التَّقْوَى يَمْلأُهُ مِن فِتَنِ الدُّنْيا.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **شَرَّ القُلُوبِ الشَّاكُّ في إيمانِهِ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **عِظَمُ الجَسَدُ وطُولُهُ لا يَنْفَعُ إذا كانَ القَلْبُ خَاوِياً.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **مَن ماتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ.**

أَهَمِّيَّةُ النِّيَّة

قالَ كرَّم الله وجهه: **إذا طابَقَ الكَلامُ نِيَّةَ المُتكَلِّمِ قَبِلَهُ السَّامِعِ، وإذا خَالَفَ نِيَّتَهُ لم يَحْسُنْ مَوقِعُهُ من قَلْبِهِ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **على قَدْرِ النِّيَّةِ تَكُونُ مِن اللهِ العَطِيَّةِ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **صَلاحُ السَّرَائِرِ بُرْهَانُ صِحَّةِ البَصَائِرِ.**

سُوءُ النِّيَّةِ وآثَارُهَا

قالَ كرَّم الله وجهه: **إذا فسَدَتِ النِّيَّةُ وَقَعَتِ البَلِيَّةُ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **عِنْدَ فَسَادِ النِّيَّةِ تَرْتَفِعُ البَرَكَةُ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **سُوءُ النِّيَّةِ دَاءٌ دَفِينٌ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **مَنْ لم يُقدِّمْ إِخْلاصَ النِّيَّةِ في الطَّاعَاتِ لم يَظْفَرْ بِالمَثُوبَاتِ.**

النَّصيحَةُ

قال كرَّم الله وجهه: **مَنْ قَبِلَ النَّصِيحَةَ أَمِنَ مِن الفَضِيحَةِ.**

وقال كرَّم الله وجهه: **مَن أَقْبَلَ على النَّصِيحِ، أَعْرَضَ عَنِ القَبِيحِ.**

وقال كرَّم الله وجهه: **يا أَيُّها النَّاسُ اقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ نَصَحَكُم، وتَلَقَّوها بِالطَّاعَةِ ممَّنْ حَمَلَها إِلَيْكُم، واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لم يَمْدَحْ مِن القُلُوبِ إلا**

أَوْعَاهَا لِلْحِكْمَةِ، ومِنَ النَّاسِ أَسْرَعَهُم إلى الحَقِّ إِجَابَةً ، واعلَمُوا أنَّ الجِهَادَ الأَكْبَرَ جِهَادُ النَّفْسِ، فَاشْتَغِلُوا بِجِهَادِ أَنْفُسِكُم تَسْعَدُوا، وارْفُضُوا القَالَ والقِيلَ تَسْلَمُوا، وأَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ تَغْنَمُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إِخْوانًا تَسْعَدُوا لديه بِالنَّعِيمِ المُقِيم.

وقال كرَّم الله وجهه: **لا خَيرَ في قَوْمٍ لَيْسُوا بِنَاصِحِينَ، ولا يُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ.**

وقال كرَّم الله وجهه : **أُنْظُر إلى المُتَنَصِّحِ إِلَيْكَ[1] ، فَإِنْ دَخَلَ مِنْ حَيْثُ يُضَارُّ النَّاسُ فلاَ تقبَلْ نَصِيحَتَه وتَحَرَّزْ منهُ، وإنْ دخلَ مِنْ حيثُ العَدْلُ والصَّلاَحُ فَاقْبَلْهَا مِنْهُ[2].**

ومن شعرِهِ كرَّم الله وجهه:

حُسَينٌ إِذَا كُنْتَ فِي بَلْدَةٍ	غَرِيباً فَعَاشِرْ بِآدَابِهَا
ولا تَفْخَرَنْ بَيْنَهُم بِالنُّهَى	فَكُلُّ قَبِيلٍ بِأَلْبَابِهَا
وَلَوْ عَمِلَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ	بِهَذِي الأُمُورِ لَفُزْنَا بِهَا
ولَكِنَّهُ اعْتَامَ أَمْرَ الإِلَهِ	فَأَخْرَقَ فِيهِم بِأَنْيَابِهَا
عَذِيرُكَ مِن ثِقَةٍ بِالَّذِي	يُنِيلُكَ دُنْيَاكَ مَنْ طَابَهَا
فَلا تَمْرَحَنَّ لِأَوزَارِهَا	ولا تَضْجَرَنَّ لِأَوْصَابِهَا
قِسِ الغَدَ بِالأَمْسِ كَيْ تَسْتَرِيحَ	ولا تَبْتَغِ سَعْيَ رُغَّابِهَا

صِفَةُ المُؤْمن

قالَ كرَّم الله وجهه في صِفَةِ المُؤْمِنِ: **المُؤْمِنُ بِشْرُهُ في وَجْهِهِ، وحُزْنُهُ في قَلْبِهِ ، أَوْسَعُ شيءٍ صَدْراً ، وأَذَلُّ شيءٍ نَفْساً ، يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ ، ويَشْنَؤُ السُّمْعَةَ ،طَويلٌ غَمُّهُ ، بَعِيدٌ همُّهُ ، كَثِيرٌ صَمْتُهُ، مَشْغُولٌ وقتُهُ، شَكُورٌ صَبُورٌ ، مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ، ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ ، سَهْلُ الخَلِيقَةِ ، لَيِّنُ العَرِيكَةِ ، نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ ، وَهُوَ أَذَلُّ من العَبْدِ.**

---

(١) المتنصِّحُ : المتشبه بالنصحاء .

(٢) الضمير يعود على النصيحة .

صِفَةُ المُنَافقينَ

قالَ كرَّم الله وجهه في صِفَةِ المُنَافِقِينَ: **أُوصِيكُم عِبادَ اللهِ بِتقْوَى اللهِ، وأُحَذِّرُكُم أَهْلَ النِّفَاقِ، فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ المُضِلُّونَ، والزَّالُّونَ المُزِلُّونَ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْواناً، يَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً، ويَعْمَدُونكُم بِكُلِّ عِمادٍ، ويَرْصُدُونكُم بِكُلِّ مِرْصَادٍ، قُلُوبُهُم دَوِيَّةٌ، وصِفَاحُهُم نَقِيَّةٌ، يَمْشُونَ الخَفَاءَ، ويَدُبُّونَ الضَّرَّاءَ، وَصْفُهُم دَوَاءٌ، وقَوْلُهُم شِفَاءٌ، وفِعْلُهُم الدَّاءُ العَيَاءُ، حَسَدَةُ الرَّخَاءِ[1]، ومُوَكِّدُو البَلاءِ[2]، ومُقَنِّطُو الرَّجَاءِ، لهم بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ، وإلى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ، ولِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ، يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ، ويَتَرَاقَبُونَ الجَزَاءَ، إنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا، وإنْ عَذَلُوا كَشَفُوا، وإنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا، قد أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً، ولِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً، ولِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلاً، ولِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً، ولِكُلِّ لَيلٍ مِصْبَاحاً، يَتَوَصَّلُونَ إلى الطَّمَعِ باليَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُم، ويُنْفِقُوا بِهِ أَعْلاقَهُم، يقولُونَ فَيُشَبِّهُونَ، ويَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ، قد هَوَّنُوا الطَّرِيقَ، وأَضْلَعُوا المَضِيقَ، فَهُم لمَّةُ الشَّيطانِ، وحمَّةُ النِّيرَانِ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٩﴾.**

الدُّنْيَا

قالَ كرَّم الله وجهه: **أَوَّلُها عَنَاءٌ، وآخِرُها فَنَاءٌ، في حَلالِها حِسَابٌ، وفي حَرَامِها عِقَابٌ، مَن صَحَّ فيها أَمِنَ ، ومَن مَرِضَ فيها نَدِمَ، ومَنِ اسْتَغْنَى فيها فُتِنَ، ومَن افْتَقَرَ فيها حَزِنَ، ومَنْ سَاعَاها فَاتَتْهُ، ومَن قَعَدَ عنها أَتَتْهُ، ومَنْ نَظَرَ إِلَيْها أَعْمَتْهُ، ومَنْ أَبْصَرَ بها بَصَّرَتْهُ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه : **الدُّنيا والآخِرَةُ ضَرَّتَانِ، فَبِقَدْرِ ما تُرضِي إِحْداهُما تُسْخِطُ الأُخْرى.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **إذا كانَ يومَ القيامَةِ أَتَتِ الدُّنْيا بِأَحْسَنِ زِينَتِها، ثُمَّ قالَتْ: يا رَبُّ هَبْنِي لِبَعْضِ أَوليائِكَ، فَيَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اِذْهَبِي بِلا شَيءٍ فَلَأَنْتِ أَهْوَنُ مِنْ**

---

(١) أي : يحسدون كل النعم.

(٢) أي: إذا وقع واحد من الناس في البلاء أكدوه عليه بالسعايات وإغراء السلطان عليه.

أَنْ أَهَبَكِ لِبَعْضِ أَوْلِيائِي، فتُطْوَى كَما يُطْوَى الثَّوبُ الخَلِقُ.

وقالَ كرَّم اللـه وجهه: إِنَّما الدُّنيا سِتَّةُ أَشْياءَ: مَطعُومٌ، ومَشْرُوبٌ، ومَلْبُوسٌ، ومَرْكُوبٌ، ومَنْكُوحٌ، ومَشْمُومٌ، فَأَشْرَفُ المَطْعُومَاتِ: العَسَلُ وَهُوَ مَذْقَةُ ذُبابٍ، وأَشْرَفُ المَشْرُوباتِ: الماءُ ويَسْتَوِي فيهِ البَرُّ والفَاجِرُ، وأَشْرَفُ المَلْبُوسَاتِ: الحَرِيرُ وهو نَسْجُ دُودَةٍ، وأَشْرَفُ المَرْكُوبَاتِ: الفَرَسُ وعليهِ يُقْتَلُ الرِّجَالُ، وأَشْرَفُ المَنْكُوحَاتِ: المَرْأَةُ وَهِيَ مَبَالٌ في مَبَالٍ، وإِنَّ المَرْأَةَ لَتَزَيَّنُ أَحسنَ شَيءٍ مِنْها ويُرادُ أَقْبَحُ شيءٍ مِنْها ، وأَشْرَفُ المَشْمُومَاتِ: المِسْكُ وَهُوَ دَمٌ.

وقالَ كرَّم الله وجهه: أُوصِيكُم بِتَقْوى اللهِ، والتَّرْكِ للدُّنيا التَّارِكَةُ لَكُم وإِنْ كُنْتُم لا تُحِبُّونَ تَرْكَها، المُبْلِيَةِ أَجْسَامَكُم وأَنْتم تُريدُونَ تَجْدِيدَها، فَإِنَّما مَثَلُكُم ومَثَلُها كَمَثَلِ قَومٍ في سَفَرٍ سَلَكُوا طَرِيقاً وكَأَنَّهُم قد قَطَعُوهُ، فلا تَجْزَعُوا لِبُؤْسِها وضَرَّائِها فَإِنَّهُ إلى انْقِطاعٍ، ولا تَمْرَحُوا لِمَتَاعِها ونَعْمَائِها فَإِنَّهُ إلى زَوَالٍ، عَجِبْتُ لِطَالِبِ الدُّنيا والمَوْتُ يَطْلُبُهُ ، وغافِلٍ ولَيْسَ بِمَغْفُولٍ عنهُ.

وقالَ كرَّم الله وجهه: الدُّنْيا جِيفَةٌ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْها شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ على مُخالَطَةِ الكِلابِ.

وقالَ كرَّم اللـه وجهه : الدُّنْيا تَغِرُّ وتَضُرُّ وتَمُرُّ ، إِنَّ اللـهَ تعالى لم يَرَ فيها ثَواباً لأَوْلِيائِهِ، ولا عِقاباً لأَعْدَائِهِ، وإِنَّ أَهْلَ الدُّنيا كَرَكْبٍ بَيْنَما هُمْ حُلُولٌ إِذْ صاحَ بِهِم صَائِحُهُم فَارْتَحَلُوا.

ومن شعرِهِ كرَّم الله وجهه:

إِنَّمـا الدُّنْيـا فَنَـاءٌ	لَيْسَ لِلدُّنْيـا ثُبُـوتُ
إِنَّمـا الدُّنْيـا كَبَيْتٍ	نَسَجَتْـهُ العَنْكَبُـوتُ
وَلَقَـدْ يَكْفِيكَ مِنْها	أَيُّها الطَّالِبُ قُوتُ
وَلَعَمْرِي عَنْ قَرِيبٍ	كُلُّ مَنْ فِيها يَمُوتُ

ومِنْ شِعْرِهِ كرَّم الله وجهه في حِرْصِ النَّاسِ على الدُّنْيا:

للنَّاسِ حِرْصٌ على الدُّنْيا وتَدْبِيرُ	وفي مُرَادِ الهَوَى عَقْلٌ وتَشْمِيرُ

وَإِنْ أَتَــوا طَــاعَــةَ للهِ رَبِّهِــمُ فالعَقْلُ مِنْهُمْ على الطَّاعَاتِ مَأْسُورُ

لِأَجْلِ هَذَا وذَاكَ الحِرْصِ قَدْ مَزَجَتْ صَفَاءَ عِيْشَاتِها هَــمٌّ وتَكْدِيرُ

لم يُرْزَقُوهَا بِعَقْلٍ عِنْدَما قُسِمَتْ لَكِنَّهُم رُزِقُــوهَــا بِالمَقَادِيرِ

كَمْ مِن أَدِيبٍ لَبِيبٍ لا تُسَاعِدُهُ ومَـائِقٍ نَـالَ دُنْيَـاهُ بِتَقْصِيرِ

لو كَانَ عَنْ قُوَّةٍ أَوْ عَنْ مُغَالَبَةٍ طَارَ البُزَاةُ بِـأَرْزَاقِ العَصَافِيرِ

تَصْويرٌ بارِعٌ للدُّنْيا

جـاء رَجُـلٌ إلى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بنِ أَبي طالِبٍ كـرَّم الله وجهه ذاتَ يومٍ وقالَ لـه: يـا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، لقد اشْـتَرَيْتُ دَارَاً، وأُرِيدُ أَنْ تَكْتُبَ لي عَقْدَ الشِّـراءِ بِيَدَيك، فَنَظَـرَ أَميرُ المُؤْمِنينَ إلى وَجْهِ الرَّجُلِ فَرَأى الدُّنيا قد تَرَبَّعَتْ على عَرْشِ قَلْبِهِ، وأَرَادَ أَميرُ المُؤْمِنينَ أن يُلقِّنَهُ دَرْساً يُذَكِّرُهُ فيهِ باللهِ تَعالى، فَأَمْسَكَ بِالقَلَمِ وكَتَبَ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمَّا بَعدُ فقد اشْـتَرَى مَيِّتٌ مِن مَيِّتٍ داراً تَقَعُ في بَلَدِ المُذْنِبِينَ وسِـكَّةِ الغَافِلِينَ، لها أَرْبَعَةُ حُدودٍ: الحَدُّ الأَوَّلُ: يَنْتَهِي إلى المَوتِ، والحَدُّ الثَّاني: يَنْتَهِي إلى القَبْرِ، والحَدُّ الثَّالِثُ: يَنْتَهِي إلى الحِسَابِ، والحَدُّ الرَّابِعُ: يَنْتَهِي إمَّا إلى الجَنَّةِ وإمَّا إلى النَّارِ.

وقالَ كرَّم الله وجهه: **مَن رَضِيَ مِن الدُّنيا بما يُجْزِيهِ كَانَ أَيْسَرُ ما فيها يَكْفِيهِ، ومَن لم يَرْضَ مِن الدُّنيا بما يُجْزِيهِ لم يَكُن فيها شيءٌ يَكْفِيهِ.**

ورأى كـرَّم اللـه وجهه صَاحِباً له قـد بَنَى داراً كَبِيـرَةً، فقالَ له: **لقـد اتَّخَذْتَ داراً وَاسِـعَةً فمـا تَصْنَـعُ بهذه الـدَّارِ في الدُّنيا، أَمَـا أَنْتَ إِلَيها فـي الآخِرَةِ كُنْـتَ أَحْوَجَ؟** فأجابَـهُ صَاحِبُهُ فـي حَيَاءٍ ونَدَمٍ: بَلى يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، قالَ الإِمَامُ: **إِنْ شِـئْتَ بَلَغْتَ بها الآخِرَةَ: تُقْرِي بها الضَّيفَ، وتَصِلُ فيها الرَّحِمَ ، وتَطْلُعُ منها الحُقُوقُ مَطَالِعَها.**

كَرَمُ المَرْءِ

قالَ كرَّم الله وجهه: **مِنْ كَرَمِ المَرْءِ خَمْسُ خِصَالٍ:**

١ -مِلْكُهُ لِلِسَانِه.

٢-وإقْبَالُهُ على شَأْنِهِ.
٣-وبُكَاؤُهُ على مَا مَضَى مِن زَمَانِهِ.
٤-وحَنِينُهُ إلى أَوْطَانِهِ.
٥-وحِفْظُهُ لِقَدِيمِ إِخْوَانِهِ[١].

العَقْلُ

قالَ كرَّم الله وجهه: **قَبِيحٌ بِذِي العَقْلِ أَنْ يَكُونَ بَهِيمَةً، وقَد أَمْكَنَهُ أَنْ يَكُونَ إِنْساناً، وأَنْ يَكُونَ إِنْساناً وقَدْ أَمْكَنَهُ أَنْ يَكُونَ مَلَكاً، وأَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِقُنْيَةٍ مُعَارَةٍ وحَيَاةٍ مُسْتَرَدَّةٍ ولَهُ أَنْ يَتَّخِذَ قُنْيَةً مُخلَّدَةً وحياةً مُؤَبَّدَةً .**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **العَقْلُ خَلِيلُ المُؤْمِنِ، والحِلْمُ وَزِيرُهُ، والرِّفْقُ والِدُهُ، واللِّينُ أَخُوهُ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **لا غِنَى مِثْلَ العَقْلِ، ولا فَقْرَ أَشَدَّ مِن الجَهْلِ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **إذا تَمَّ العَقْلُ نَقَصَ الكَلامُ.**

ومِن شِعْرِهِ كرَّم الله وجهه:

فَلَو كَانَتِ الدُّنْيا تُنَالُ بِفِطْنَةٍ ... وفَضْلٍ وعَقْلٍ نِلْتُ أَعْلَى المَرَاتِبِ
ولَكنَّما الأَرْزَاقُ حَظٌّ وقِسْمَةٌ ... بِفَضْلِ مَلِيكٍ لا بِحِيْلَةِ طَالِبِ

وقالَ كرَّم الله وجهه:

وأَفْضَلُ قَسْمِ الله للمَرْءِ عَقْلُهُ ... فَلَيْسَ مِن الخَيْرَاتِ شَيءٌ يُقَارِبُهْ
إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ للمَرْءِ عَقْلَهُ ... فَقَدْ كَمُلَتْ أَخْلاقُهُ ومَآرِبُهْ
يَعِيشُ الفَتَى في النَّاسِ بِالعَقْلِ إِنَّهُ ... على العَقْلِ يَجْرِي عِلْمُهُ وتَجَارِبُهْ
يَزِينُ الفَتَى في النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ ... وإِنْ كَانَ مَحْظُوراً عَلَيهِ مَكَاسِبُهْ
يَشِينُ الفَتَى في النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ ... وإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُ ومَنَاصِبُهْ

(١) نقلته من نفس المصدر «قوت الألباب».

وَمَـنْ كَـانَ غَـلَاّبـاً بِعَقْلٍ ونَـجْـدَةٍ   فَـذُو الجِـدِّ في أَمْـرِ المَعِيشَةِ غَالِبُهْ

وقالَ أيضاً:

رَأَيْــتُ العَقْلَ عَقْلَينِ   فَـمَـطْـبُـوعٌ ومَـسْـمُـوعُ
ولا يَـنْـفَـعُ مَـسْـمُـوعٌ   إذا لَمْ يَــكُ مَـطْـبُـوعُ
كَـما لا تَـنْـفَـعُ الـشَّـمْـسُ   وضُــوءُ الـعَـينِ مَمْـنُـوعُ

أَهَمِّيَّةُ الفِكْرِ والتَّرْغِيبُ فيه

قالَ كرَّم الله وجهه: **الفِكْرُ عِبادَةٌ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **الفِكْرُ في الخَيرِ يَدْعُو إلى العَمَلِ به.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **ما ذَلَّ مَن أَحْسَنَ الفِكْرِ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **التَّفَكُّرُ في مَلَكُوتِ السَّمَواتِ والأَرْضِ عِبادَةُ المُخْلِصِينَ.**

وقـالَ كـرَّم الله وجهه: **تَفَكَّـرْ قَبْلَ أَنْ تَعزِمَ، وشَـاوِرْ قَبْلَ أَنْ تُقـدِمَ، وتَدَبَّرْ قَبْلَ أَنْ تَهْجُمَ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **طُوبَى لمَن شَغَلَ قَلْبَهُ بالفِكْرِ ولِسَانَهُ بالذِّكْرِ.**

وَصِيَّتُه كرَّم الله وجهه لابْنِهِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

قـالَ كرَّم الله وجهه في وَصِيَّتِهِ لابنِهِ الحَسَـنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كتبَهَا إليـهِ بِحَاضِرَينِ[1] مِن صِفِّينَ: **مِنَ الوالِدِ الفانِ، المُقِرِّ للزّمانِ[2]، المُدْبِرِ العُمْرِ[3]، المُسْتَسْـلِمِ للدَّهرِ، الذَّامِّ**

(١) المـراد بحاضِرَيـنِ : حاضرِ حلبٍ ، وحاضرِ قنسـرينَ ، وهي الأرباض ، والضواحي المحيطة بهذه البلاد .

(٢) المُقِرِّ للزمان : بمعنى المقر له بالغلبة ، وكأنه جعل نفسه عَلَيْهِ السَّلَامُ خصما للزمان بالقهر .

(٣) المدبِرِ العُمرَ : لأنه قد تجاوز السـتين ، ولم يبق بعد مجاوزة السـتين إلا إدبار العمر ، لأن ذلـك نصـف العمر الطبيعي الذي قل أن يبلغه أحـد ، وعلى فرض بلوغه فكل ما بعد الستين أقل مما مضى ، ولا مناص حينئذ أن يكون العمر قد أدبر .

الدُّنيا، السَّاكِنِ مَساكِنَ المَوتَى، الظَّاعِنِ عَنْها غَداً، إلى الولَدِ المُؤمِّلِ مالا يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبيلَ مَنْ قَدْ هَلكَ، غَرَضِ الأَسْقَامِ، ورَهِينَةِ الأَيَّامِ، ورَمِيَّةِ المَصائِبِ، وعَبْدِ الدُّنيا، وتَاجِرِ الغُرورِ، وغَريمِ المَنايا، وأَسِيرِ المَوتِ، وحَليفِ الهُمُومِ، وقَرِينِ الأحزانِ، ونَصَبِ الآفاتِ، وصَريعِ الشَّهواتِ، وخليفَةِ الأمواتِ.

وقالَ كرَّم الله وجهه لابنِهِ الحَسَنِ في وَصِيَّتِهِ له: **يا بُنيَّ، إنَّ اسْتَطَعْتَ أنْ لا يَكُونَ بَيْنَكَ وبينَ اللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، ولا تكُن عَبْدَ غَيرِكَ وقد جَعلَكَ اللهُ حُرَّاً، فإنَّ اليَسِيرَ مِن اللهِ تَعَالى أَكْرَمُ وأَعْظَمُ مِن الكَثِيرِ مِن غيرِهِ وإنْ كانَ كُلٌّ منهُ كثيراً.**

وقالَ كرَّم الله وجهه لابْنِهِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **يا بُنيَّ، اِحْفَظْ عَنِّي أَرْبعاً وأربعاً لا يَضُرُّكَ ما عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: أَغْنَى الغِنَى العَقْلُ، وأَكْبَرُ الفَقْرِ الحُمْقُ، وأَوْحَشُ الوَحْشَةِ العُجْبُ، وأَكْرَمُ الحسَبِ حُسْنُ الخُلُقِ.**

يابُنيَّ، إيَّاكَ ومُصادَقَةِ الأَحْمَقِ: فإنَّهُ يُريدُ أنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ، وإيَّاكَ ومُصادَقَةَ البَخِيلِ، فَإنَّهُ يَبْعُدُ عَنكَ أَحْوجَ ما تكُونُ إليه، وإيَّاكَ ومُصادَقَةَ الفَاجِرِ: فَإنَّهُ يَبيعُكَ بالتَّافِهِ، وإيّاكَ ومُصادَقَة الكذَّابِ، فإنّهُ كالسَّرابِ يُقرِّبُ علَيكَ البعيدَ ويُبعِدُ عليكَ القَريبَ.

وقالَ كرَّم الله وجهه لابنِهِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **ألا أُعلِّمُكَ أَرْبَعَ خِصالٍ تَسْتَغْنِي بها عن الطِّبِّ؟** فقالَ: بَلَى يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، فقالَ كرَّم الله وجهه: **(١) لا تَجْلِسْ على الطَّعامِ إلا وأَنْتَ جَائِعٌ، (٢) ولا تَقُمْ عن الطَّعَامِ إلا وأَنْتَ تَشْتَهِيهِ، (٣) وجَوِّدِ المَضْغَ، (٤) وإذا نِمْتَ فَاعْرِضْ نَفْسَكَ على الخَلاءِ، فإذا اسْتَعْمَلْتَ هذا اسْتَغْنَيتَ عن الطِّبِّ أبداً.**

أَهَمِّيَّةُ التَّأليف والكتَابَة وفَضْلُهُما

قالَ كرَّم الله وجهه للمُفَضَّلِ بنِ عَمْرٍو: **اكتُبْ، وبُثَّ عِلْمَكَ في إِخْوانِكَ، فَإنْ مِتَّ فَأَوْرِثْ كُتُبَكَ بَنِيكَ، فَإنَّهُ يأتِي على النَّاسِ زَمَانُ هَرْجٍ لا يَأْنَسُونَ فيهِ إلا بِكُتُبِهِم.**

التَّحْصينُ

قـالَ كـرَّم الله وجهه: **حَصِّـنْ عِلمَكَ من العُجْـبِ، ووَقَارَك من الكِبْـرِ، وعَطَاءَكَ مـن السَّـرَفِ، وصَرَامَتَكَ مـن العَجَلَةِ، وعُقُوبَتَـكَ من الإِفْرَاطِ، وعَفْـوَكَ من تَعْطِيلِ الحُدُودِ، وصَمْتَكَ من العِيِّ، واسْـتِماعَكَ من سُـوءِ الفَهْمِ، واسْتِئْنَاسَـكَ من البَذَاءِ، وخَلَواتِـكَ مـن الإِضَاعَـةِ، وغَرَامَاتِـكَ مـن اللَّجَاجَـةِ، ورَوْعَاتِكَ من الاسْتِسْـلامِ، وحَذَرَاتِكَ من الجُبْنِ.**

قِيامُ اللَّيل

قالَ كرَّم الله وجهه: **مَن كثُرَتْ صَلاتُهُ بِاللَّيلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **صَلاةُ اللَّيلِ بَهَاءُ النَّهَارِ.**

وقـالَ كـرَّم الله وجهه: **اِحْذَرْ دَمْعَةَ المُؤْمِنِ في السَّـحَرِ، فَإِنَّها تَقْصِفُ مَن دَمَّعها، وتُطْفِيءُ بُحُورَ النِّيرَانِ عَمَّنْ دَعَا بها.**

ودَخَلَ الأَشْـتَرُ النَّخَعَيُّ على أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ كرَّم الله وجهه وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي بِاللَّيلِ، فقالَ له: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ: صَوْمٌ بِالنَّهارِ وسَهَرٌ بالليلِ وتَعَبٌ فيما بينَ ذَلِكَ؟ فلمَّا فَرَغَ عَلِيٌّ مِن صَلاتِهِ قالَ له: **سَفَرُ الآخِرَةِ طَوِيلٌ فَيُحْتَاجُ إلى قَطْعِهِ بِسَيرِ اللَّيلِ**[1].

وكانَ كرَّم الله وجهه كثيراً ما يقولُ إذا فَرَغَ من صَلاةِ اللَّيلِ: أَشْـهَدُ أَنَّ السَّـمَواتِ والأرضَ وما بَيْنَهما آياتٌ تَدُلُّ عليكَ، وشَوَاهِدُ تَشهَدُ بِمَا إليهِ دَعَوْتَ، كُلُّ ما يُؤَدِّي عَنْكَ الحُجَّةَ ويَشْهَدُ لكَ بالرُّبُوبيَّة مَوسُومٌ بآثارِ نِعمَتِكَ ومعالِمِ تدبيركَ، عَلَوْتَ بها عَن خَلْقِكَ فَأَوْصَلْتَ إلى القُلُوبِ من مَعْرِفتِكَ ما آنَسَـها مِن وحشةِ الفِكر، وكَفَاها رَجْـمَ الاحتيـاجِ فهـي - معَ مَعرِفَتِهـا بكَ وَوَلَهِها إِلَيْكَ - شـاهِدةٌ بأَنَّـكَ لا تأخُذُكَ الأوهَامُ، ولا تُدرِكُكَ العُقُولُ ولا الأبصارُ، أعوذُ بكَ أنْ أُشِيرَ بِقَلْبٍ أو لِسَانٍ أو يَدٍ إلى غَيرِكَ، لا إلهَ إلا أنتَ واحداً أَحَداً فَرْدَاً صَمَداً، ونحنُ لَكَ مُسلِمُون.

---

(١) انظـر كتـاب «لطائف المعارف» لابـن رجب، التحمس لقيـام الليل، محمد صالح ص٩٣.

دَعَائِمُ الصِّحَّة

قـالَ كـرَّم الله وجهه: **مَـنْ أَكَلَ الطَّعَامَ على النَّقَـا ، وأجادَ الطَّعـامَ تَمضُّغًا، وتَرَكَ الطَّعَامَ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ، ولـم يَحْبِسِ الغَائِطَ إذا أتى ، لم يَمْرَضْ إلاّ مَرَضَ المَوتِ.**

وقـالَ كـرَّم الله وجهه: **مَـن أرادَ أن لا يَضُرَّهُ الطَّعَامُ فلا يأكُلْ حَتَّـى يَجُوعَ وتَنْتَقِي مَعِدَتُهُ، فإذا أَكَلَ فَلْيُسَمِّ اللهَ ولْيُجِدِ المَضْغَ، ولْيَكُفَّ عنِ الطَّعَامِ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ ويَحْتَاجُ إليه.**

وقالَ كرَّم الله وجهه في وَصِيَّتِهِ لِكُمَيلٍ: **لا تُوقِرَنَّ مَعِدَتَكَ طَعَاماً، ودَعْ فيها للماءِ مَوضِعاً، وللرِّيحِ مَجَالاً، يا كُميلُ: لا تَرْفَعَنَّ يَدَكَ من الطَّعامِ إلا وأَنْتَ تَشْـتَهِيهِ، فَإذا فَعَلْتَ ذَلِكَ فأَنْتَ تَسْتَمْرِئُهُ، يا كُميلُ: صِحَّةُ الجَسَدِ مِن قِلَّةِ الطَّعَامِ وقِلَّةِ الماءِ.**

البِطْنَةُ وآثارُهَا

قالَ كرَّم الله وجهه: **البِطْنَةُ تَمْنَعُ الفِطْنَةَ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **التُّخْمَةُ تُفسِدُ الحِكْمَةَ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **إذا مُلِئَ البَطْنُ مِن المُباحِ عَمِيَ القَلْبُ عنِ الصَّلاحِ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **الشَّبَعُ يُفسِدُ الوَرَعَ.**

وقـالَ كـرَّم الله وجهه: **إيَّاكُم والبِطنَةَ، فإنَّها مَقْسَـاةٌ للقَلْبِ، مَكْسَـلَةٌ عن الصَّلاةِ، ومَفْسَدَةٌ للجَسَدِ.**

وقالَ كرَّم الله وجهه: **أمْقَتُ العِبَادِ إلى اللهِ سُبْحَانَهُ مَنْ كانَ هِمَّتُهُ بِطْنَهُ وفَرْجَهُ.**

مرتبة ومقام ... أم مجرد لقب ؟

مرتبة ومقام ... أم مجرد لقب؟

وظائف الأسماء المسميات في الإسلام

من وظائف المسميات والأسماء في الإسلام كونها تحكي ارتقاء في الحال والصفات، ولا تقف عند مجرد الاسم أو اللقب ذاته، وخاصة فيما يصدر عن لسان من لا ينطق عن الهوى ﷺ.

ومن خصوصيات الأسماء والألقاب والكنى في الاسلام أنها مبنية على وصف حال والحال يعبر عن مرتبة والمرتبة تفصح عن مقام بلغ إليه المشار إليه بجدارة.

جدارة الصحبة لم تتقرر باجتماع جماعة أو حملة قرار وإنما جاءت على لسان المصطفى ى

والجدارة في أصحاب رسول اللّه ﷺ وآل بيته وأمهات المؤمنين لم تُقرر باجتماع ثلة أو جماعة أو حملة قرار أو معايير معينة في الناس، وإنما جاءت على لسان من لا ينطق عن الهوى ﷺ وهو النبي الذي يوحى إليه بأمر الديانة ومراتب الأمانة وفضح صور الخيانة، بل وكان لهذه الزمرة الخيّرة مواقف لا تنسى وأخبار لا تستقصى مع أولئك الأرتال من المنافقين والمرجفين والذين في قلوبهم مرض، من تلك الفئات المدانة بالنص القرآني، وتميزت مواقف الحصانة فيهم عن مواقف الإدانة في غيرهم، وخاصة أولئك الأئمة السابقين إلى الإسلام، والمبلغين حقيقة الأمانة عن سيد الأنام، ويليهم من جاء من بعدهم من الصحابة الأثبات رضي الله عنهم، ممن نالوا نصيباً من حصانة النصوص النبوية بصرف النظر عن المرحلة التي أسلموا فيها مع معرفة التميز الخاص بالسابقين.

لجاج الأقلام واتباع المذهب المتعارضة كوّن عقبة معلوماتية

حيث لجّ في هذه المسائل الحرجة كثير من حملة الأقلام وأتباع المذاهب المُفْرِطة والمُفَرّطة في الإسلام، وجعلوا من أنفسهم قضاة فصل وحكم، ومن الحوادث التاريخية مادة إدانة أو حصانة، وبنوا على هذا الأمر مسائل عقدية وأحكام تعبدية توارثها الأجيال، وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بمسألة الولاء والبراء بين الرجال، وصارت اليوم أعظم عقبة معلوماتية في تقارب الأمة على أمر دينها

وشـرف ملتهـا العالميـة ، وبها وبما تفرع عنهـا من مواقف ومفاهيـم تلبدت غيوم العداوة والبغضاء في أجواء الأمة ، واستشـرت فيروسـاتها بفعل الوسائل الحديثة وأثرها الإعلامي الواسع.

وليـس ببعيـد أن يفخـر كل جانـب من هـذه الأمة بمـا أنجزه في زمنـه ومرحلته وحدود سـلطة أثـره وتأثيره من خدمة كبيرة للدعوة إلى اللّـه ، والدفاع عن الفكرة التـي نشـأ وتربى وعاش عليهـا ، بل ومات البعض شـهيداً من أجلهـا، مع أنها في غالب مخرجاتها قائمة على علتي (التحريش والمنافسـة) ، بغض النظر عن مسألة الحق الذي يدافع عنه الجميع من وجهة أنظارهم المتنوعة ، أو المتباينة.

مرحلة التدوين وما ترتب على انتشار الفقه المذهبي لدى البعض من مادة صراع عقدي وطائفي

لقد انتقلنا منذ بروز آثار مرحلة التدوين وانتشـار الفكر والفقه المذهبي وامتداد آثـاره إلـى تعقيـدات فرعية ، واسـتنباطات وضعية للعلاقات بيـن المصلين ، فيما يخـص صـرف الجمهور الأوسـع عن الثوابـت الأصليـة لمفهوم القـراءة الواعية للدعوة إلى اللّه ، وهيمنتها الأخلاقية على المحدث والمفسـر والأصولي والفقيه واللغـوي والفلكـي والمتكلـم إلى هيمنـة المصطلحـات والتعريفـات ، والفهوم العقدية والحديثية والفقهية المتشـعبة خلال معـارك التدوين والتأصيل والتقعيد ، وتكوين المجموعات المذهبية والصوفية والسـلفية والسـنية والشيعية والأباضية والاعتزالية ، وما جاء من بعدها موافقاً أو معارضاً أو مناقضاً ، سـواء كان مصطبغاً بالصبغـة السياسـية لمرحلتـه ، أو كان مصطبغاً بصبغة المذهـب والفئة والجماعة الممتـدة بين الشـعوب ، مرتبطة بولاء مشـايخها وأئمتها وأسـاطين منهجيتها ، أو كان مصطبغاً بصبغة الطبع والذاتية الفردية.

اصطباغ مرحلة الغثاء السياسية بجراثيم العلمانية والعلمنة والعولمة

وزاد طيننا بلة اصطباغ مرحلة الغثاء السياسية والاجتماعية والاقتصادية بجراثيم العلمانيـة والعلمنـة والعولمـة ، وجراثيـم ثمـرات ومخرجات وتسـييس مراحل الاسـتعمار والاسـتهتار والاسـتثمار ، وامتزاجها المتداخل مع أمة القرآن والسـنة داخـل مواقع التعليم والتربيـة والإعلام والثقافة، وفوّج إلـى الواقع المعلول بعلة التاريخية أجيالاً محقونة بعناية وموضوعة بدراية ، للإغراب بالسـفينة عن مسارها

السليم ، إلى حيث يجب أن تسير في عالمنا الغثائي الموجه ديناً ودنيا...[1]

الجميع لا يقبلون هذا التعليل

ومع هذا كله فالجميع لا يؤمنون بهذا التحليل ولا يقبلون هذا التعليل، وإن قبله أحد فالأمر معين ربما استمر حينا على قبوله والبحث عن مسبباته ، وربما تجاوزه وعاد إلى حلبة الحياة المندفعة إلى جحر الضب مستمراً فيما أَلِفَـهُ وعاش عليه الناس ، تحت قاعدة (كن مخطئاً مع الناس ولا تكن مصيباً لوحدك) .

وعوداً على بدء فالمسألة كلها عائدة إلى عنوان الموضوع وإعادة فهم أبعاده بوجهة نظر شرعية مجردة .. (أمرتبةٌ ومقام؟ .. أم مجرد لقب؟) .

معرفة التميز المشروع عن التميز المصنوع

والمقصود هنا معرفة التميز المشروع عن التميز المصنوع ، وحصانة هذا التميز في نفس المؤمن الذي تميز أيضاً بحصانة الإيمان والإسلام في وعيه ومعيار نظره إلى الآخرين ، وخاصة ممن اندرجوا في دوائر الإسلام والإيمان والإحسان بالعموم ، ثم النظر إلى خصوصيات ذات أهمية كبرى في كل مرتبة من هذه المراتب ، وخاصة مراتب الإحسان وما يترتب شرعياً نحو من بلّغه اللّٰه إليها بسلوكه وعمله ، فكيف بمن صدرت في حقه شهادات من لسان من لا ينطق عن الهوى ﷺ .

قراءة نصوص أصحاب الحصانات مسألة تستقر بها المجتمعات

هذه هي مسألتنا التي نلح على قراءتها وعمق النظر فيها ، وهي المسألة التي تترسخ بها مبادئ العدل والتسامح والمحبة والرحمة والإخاء والتعاون في النفوس والقلوب وتستقر بها المجتمعات وتتضاعف بها الأعمال وتتكاتف بها الأجيال ، وهي عين الرسالة التي دعا إليها سيّد الأمة ﷺ ، وبإلحاحنا وطلبنا عمق النظر فيها لا نلغي مسألة النقد والتقييم ولا نؤيد مسألة النظر إلى الأمور بالسطحية والسذاجة! أو وضع مبدأ حسن الظن على البر والفاجر والصادق والكاذب والمحتال والمنافق وإلخ!

---

(١) كما هو الحال في الهجمة المسيسة على منهج التصوف والصوفية بعد زوال الغطاء السياسي الداعم لها والمتمثل بالخلافة العثمانية ، حتى كاد المهندسون الاستشراقيون ووكلاؤهم من العالم الاسلامي بعلم أو بغير علم يخرجون المسمى وأهله عن الإسلام بالكلية ، وقد فعلوا ذلك .

النظر بعين واحدة أفسد القراءة لعدالة الصحابة

حيث ينظر بعض الباحثين إلى جميع أهل السنة بعين واحدة وحكم واحد، كما فسر ذلك بعض المتحاملين على مفهوم (عدالة الصحابة) عند أهل السنة اعتماداً على القاعدة المتداولة في تعريف الصحابي: (كل من اجتمع بالنبي مؤمن ومات على الإيمان)، والعبارة كما ذكرها المعترض منسوبة (لابن حجر) وعممها باعتبار أنها المقولة التي اعتمد عليها أهل السنة في تقييم مفهوم الصحابي والصحابة، بل وألف بعضهم كتاباً يحمل وجهة نظر معلومة تميل وللأسف لقاعدة الإفراط في جانب والتفريط في جانب آخر تحت عنوان نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام تشعر القارئ الواعي بأثر النفس وسورة الغضب والحقد والتشفي والإثارة التي تعرّف في التربية الإسلامية بأنها من أثر الشيطان في الإنسان، ولا مجال لغير هذا التفسير، مع أن مقولة الباحث وعنوان رسالته (نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام) تشير إلى انموذج الفقه السياسي وتاريخ الأنظمة السياسية، وهذه مسألة تخرج البحث عما يخص (أهل النمط الأوسط) وما يخص مواقف أهل العدالة الوارثين من الآل والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ومواقفهم من الموافق والمعارض لهم كما يحللّها ويفسرها فقه التحولات الذي نحن بصدده.

الطبع الإنساني والفهم النفساني في إصدر الأحكام وتعليل الأفهام

حيث لا علاقة لهذه القراءة السياسية بحب آل البيت ولا بتصحيح مفهوم العدالة ولا بالغيرة على الإسلام من وجهة النظر المعتدلة، وإنما علاقتها المباشرة بالطبع الإنساني والفهم النفساني الضدي القائم على الفعل ورد الفعل، برغم الحشد النصي لأحاديث المناقب والفضائل من جهة، وسلامة الضبط والاستدلال بالمراجع في جهة أخرى، وتوظيف ذلك كلّه لمبدأ (التحريش والمنافسة).

والتحريش والمنافسة ظاهرة واسعة الانتشار في كل عصر وزمان، ولكنها في عصرنا قد اتخذت شكلاً جديداً وخطيراً ينذر بالمحذور ويؤكد صدق نبوءة المصطفى ﷺ في أمته مع استفحال علامات الساعة وشمول دلالاتها المنصوصة

في أمته.[1]

الدلالات النصية علم شرعي خاص بفقه المراحل

والـدلالات المنصوصـة علـم شـرعي خـاص بفقـه المراحـل وتقييـم الأقلام والألسـنة والأوعيـة قديمها وحديثها، صحيحها وسـقيمها، غفـل عنه الكثير من علماء المذهبية الأصولية كما غفل عنه العلماء اللامذهبيون، وهو العلم الحاوي علـى القول الفصل في المتشـابهات والأمور الخلافيـة والاختلافية، وقد تناولناه بتفصيل في كتبنا الحاملة صفة الإفصاح عن (فقه التحولات)، وهو العلم الخاص بتعليلات أحاديث (علامات السـاعة) وموضوعاتها الاستباقية الجارية على لسان مـن لا ينطـق عن الهـوى ﷺ، وما ترتب على نصوصها الشـرعية من قـراءة نبوية واعية لمسـيرة التاريخ الإنسـاني والإسـلامي، بدءًا بعصر آدم عليه السلام ونهاية بعصر نبينا محمد ﷺ الممتد من بعثته إلى قيام السـاعة، باعتبار حقيقة شأنه أنه ركن من أركان الدين فليراجع.

ما ترتب على نصوص فقه التحولات من قراءة شرعية لمسيرة التاريخ

آثار إهمال نصوص فقه التحولات والعلم بعلامات الساعة

وعنـد مراجعته بتأن وموضوعية يدرك القارئ المسـلم والعالم الموقن أن أمتنا الإسلامية قد تجاوزت بإدراك أوبغير إدراك أمراً عظيماً من أمور شرعتها الخالدة، وأهملت ركنا أساسيا من أركان بناء الأمة الواحدة، وخاصة فيما هي اليوم بصدده من إثبات هويتها، والبحث عن ذاتيتها بين الأمم، حيث أن إثبات الهوية والبحث عـن الذاتية أمـر يربط بالعلم الخاص الجامع بين علم الديانة وعلم التاريخ، وهما العلمـان المنفصمـان في دراسـتنا المعاصرة عن بعضهما البعـض، كمثل انفصام الدين عن الدولة في مرحلةٍ ما، وانفصام التربية عن التعليم، وانفصام التصوف عن السنة، وما تلا ذلك من الانفصامات المحبوكة المقررة نصاً في أحاديث علامات الساعة، من مثل قوله ﷺ: «**لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة كلما نقضت عروة**

تسلسل الانفصام علامة من علامات الساعة

---

(١) إشارة إلى الشح المطاع والهوى المتبع والدنيا المؤثرة والإعجاب بالرأي ونص الحديث: «**إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسـك .... إلخ**» الحديث. سـنن الترمذي (٣٠٥٨) وسـنن أبي داود (٤٣٤١) وسنن ابن ماجه (٤٠١٤).

تمسك الناس بالتي تليها أولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة ...»[1] ، ولعل هذه المسألة لم تتبادر إلى أذهان العلماء فضلا عن أذهان الدهماء .. ولأجل ذلك يقابلها البعض بالاستغراب والبعض بالاستهجان والبعض بالاستنكار والبعض بالصمت المطبق ..

مواقف البعض من قضية ربط الديانة بالتاريخ

وقد يضطر البعض إلى نقل الموضوع من وظيفته الايجابية للربط بين الديانة والتاريخ إلى ما ألفه الناس من النقد والقدح في كل جديد غير مألوف ، وقد جاء في المثل المعروف (المرء عدوّ ما يجهل) .

وجوب احترام الرأي والرأي الآخر

ومما لا بد لنا منه هنا حتى نجنب أنفسنا علة (التحريش والمنافسة) أن نحترم الرأي الآخر على علاّته ، ونختصر مسافة الوقت والحالة حتى نصل إلى قاسم مشترك في القراءة الإيجابية لتراكمات تاريخنا بكل ما فيه ، ونؤصله بضوابط الركن الرابع من أركان الدين لمعالجة الخطأ المشاع دون تشف أو قدح في أحد بعينه ، ونصلح ما فسد منا بما جاءنا عن نبينا وما تركه لنا من شرف العلم في مادة الفقه الخاص بعلامات الساعة .. علم دراسة التحولات ومتعلقاتها ايجابية وسلبية ، في دراسة شاملة التداخل بين الأركان حتى يقوم كل ركن في وظيفته الشرعية .. ويحق لنا أن نفخر بعد ذلك بمسمى العلماء الأصولي الموصوف به حديث جبريل بأنه حديث (أم السنَّة).

تعطيل وظائف المناقب وعدم وضعها في موقعها من حصانة أصحابها

إن إهمال وتجاوز هذا الركن الهام جعل من المناقب والحصانة في بعض آل البيت والصحابة وأمهات المؤمنين مجرد ألقاب ومسميات لا فائدة منها ، ولا تسهم حتى في حصانة حامليها من مسلم مثله كان عالماً أو كاتباً أو باحثاً أو صاحب انتماء لمذهب من مذاهب المسلمين المتعارضة في شأن الولاء والانتماء .. وهذا أمر غريب يفوق كل غرابة متوقعة (ومتى عرف السبب بطل العجب).

تنزيل الوقائع والحوادث قادحاً وطاعناً في أهل الحصانات الشرعية

والسبب انشغالنا جميعاً بوقائع التاريخ وأحداثه منفصلًا عن حصانة الديانة في

(١) مسند أحمد (٢٢١٦٠) وصحيح ابن حبان (٦٧١٥) والمستدرك على الصحيحين (٧٠٢٢) .

أركانهـا الأربعة ، بل وبلـغ ببعضنا تنزيل أمور التاريخ وحوادثـه قادحاً وطاعناً في صحابـي مُحَصّن وموثُوق به بنصوص الديانة ذاتها ، كما فعل ذلك الخوارج ومن نحـا نحوهم في الأزمنة المتلاحقة .. بل ألّهوا مفهومهم البدعي للنص ، وحكموا مـن خلالـه بإعدام الأئمة المحصنين كقتلهم الإمـام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وقتلهم لخباب بن الأرت وزوجته وغيرهم.

علة البعض في إعطاء الفهم الذاتي للأحداث صفة القداسة والحصانة بديلاً عن النصوص

إن إعطـاء الفهـم الذاتي صفة القداسـة والحصانة مقابل إسـقاط قداسـة مدلول النصّ النبوي وحصانته لمجرد الشـبهات وسـوء التصورات أمر يسـتحق التوقف والنظـر وقد وقـع في هذه الزلـة كثير من العلمـاء المتعصبين للأفـكار ومجريات الحوادث.

أمـا فريق آخر فقد أفقدوا مجمل الأحاديث النبوية شـرف الاسـتدلال بها ، لأن راوي الحديـث قد اعتمد في نقل بعض أحاديثـه على متهم بنصب أو مثله ، ومثل هـذا الحكم المطلق لا يمـت إلى الديانة بصلة وإنما يمت إلـى الطباع المتعصّبة ، وخصوصاً إذا كان للرواية مصدر ثقة أخرى ..

أهل البيت يعتمدون صحيح البخاري ويقرأونه ويجيزون فيه ولا يفعلون ما يفعله المتعصبون

فـآل البيت أنفسـهم يقرأون صحيـح البخاري ويروُونه ويجيـزون فيه وهم على علـم بمـا يتهم به بعـض رواته ، ولكنهم لا يثيـرون جدلاً ولا ينازعـون أحداً رغبة فـي اجتمـاع كلمة الأمة على ما فـي الصحيح من خير ونفع عام للمسـلمين ، وإذا ما احتدم الأمر لدى منفعل معين منهم يسكت عن تلك الأحاديث التي لا تتجاوز عدد أصابع اليد ، وفتح باب الإفادة والاسـتفادة في جلّها الأوسـع الحاوي شرف خدمـة العقيدة والشـريعة ومراتب السـلوك ، وقد عاصرنا العشـرات مـن أئمة آل البيـت الآطهـار مـن خواص مدرسـة حضرمـوت والحجاز واليمـن وغيرها من عدول بلاد الإسـلام وغيرها يقرؤون صحيح البخاري ومسـلم وغيرها ويتناولون مجمـل هذه الأحاديث المتكلـم فيها بلطف وأدب مـع رواة الحديث ، ويعذرون من يسـتحق الإعذار ويتجاوزون النبز والتعريض والاسـتصغار ، ولا يربطون بين المحدثيـن وحملـة القرار كمـا يفعل هذا بعـض المفرطين الأغيـار .. فالمحدث معـذور فـي مرحلتـه وصاحب القـرار مـدان بظلمـه وعضوضيته ، ومـا أخطأ فيه

الـراوي والمحدث يُعـزل عن بقية مادة العلم الشـرعي ، فلا يحكـم على الكتاب كلـه بالبطـلان ولا على صاحبه بالبهتان ، فما يفعل هـذا إلاّ مغرض فتان أو مفرط متعصـب ذو شـنئان ، والديـن في المتديـن الصادق يرفعـه عن مثل هـذه الدنايا ، ويحمـد فيـه غيرته وحرصـه على إظهار الحق وشـرف المزايا ، ولكـن ليس على حساب السخرية والتهكم والتشفي من الآخرين .. وكفى لنا قدوة سلوك الصديق الأكبر في معاملته مع الأشباه والأمثال ممن خرج عليه من النساء والرجال.

من هو الصديق الأكبر على عين الحقيقة؟

إذن فمن هو الصديق الأكبر على عين الحقيقة؟ إنه أول من أسـلـم ... فقد روى أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : بعث النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ يوم الاثنين ، وأسلم علي يوم الثلاثاء ، وهو ابن عشر سنين ، وقيل تسع ، ولم يعبد الأوثان قط[1] .

علي بن أبي طالب في حادثة الهجرة

ولما أمره صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ أن يضطجع في فراشه ليلة اتخاذه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ قراره بالهجرة قال له : «**إن قريشـا لن يفقدوني مـا رأوك**» ، فاضطجع في الفراش حتـى إذا أصبحوا رأوا عليه علياً ، فقالوا: لو خرج محمد لخرج بعلي معه فحبسهم اللّٰه بذلك[2]. اهـ

ولـمـا خرج رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قاصداً المدينة ، وكان يمشـي الليل ويكمـن النهار حتى قدم المدينة ، فلما بلغها قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ : «**ادعوا لي علياً**» قيل : يا رسول اللّٰه لا يقدر أن يمشي ، فأتـاه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ فلما رآه اعتنقه وبكى رحمة لما بقدميه من الورم ، وكانتا تقطران دمـاً ، فتفل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ في يديه ومسـح بهما رجليه ودعا له بالعافية ، فلم يشـتكهما علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حتى استشهد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[3] .

ضرار الصدائي يصف علي بن أبي طالب

قال معاوية بن أبي سـفيان لضرار الصدائي : صف لي علياً فقال : اعفني ؛ قال : لتصفنّـه ، قـال : إذ لا بـد من وصفه ، كان واللّٰه بعيد المدى ، شـديد القوى ، يقول فصـلاً ، ويحكـم عـدلاً ، يتفجر العلـم من جوانبـه ، وتنطق الحكمة مـن نواحيه ، يسـتوحش من الدنيـا وزهرتها ، ويأنس إلـى الليل ووحشـته ، وكان غرير العَبرة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، كان فينا كأحدنا

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ١٥) .

(٢) أسد الغابة لابن الأثير (٤/ ٨٧) .

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٢/ ٦٩) أسد الغابة لابن الأثير (٤/ ٨٧) .

، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظّم أهل الدين، ويقرب المساكين، ولا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه، وقدأرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يادنيا غُرِّي غيري ... إليّ تعرضت، أم إليّ تشوفتِ؟ هيهات قد طلقتُك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير وخطرك قليل ... آه آه من قلة الزادوبعد السفر ووحشة الطريق[1].

زينة الأبرار عند الله الزاهد في الدنيا

علي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ الذي قال له رسول الله ﷺ: «**إن الله قد زينك بزينة لم تُزَيَّن العبادُ بزينةٍ أحبَ منها، هي زينةُ الأبرار عند الله، الزهد في الدنيا، فجعلك لا ترزأ من الدنيا، ولا ترزأ الدنيا منك شيئا، ووهب** (بمعنى حبب) **لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم اتباعاً ويرضون بك إماما**»[2].

وفي موقف آخر قال له رسول الله ﷺ: «**يا علي كيف أنت إذا زهد الناس في الآخرة ورغبوا في الدنيا، وأكلوا التراث أكلاً لمّا وأحبوّا المال حباً جما، واتخذوا دين الله دغلاً ومال الله دولا**» فقال عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: (أتركهم حتى ألحق بك إن شاء الله .. قال: «**صدقتَ، اللّهم افعل ذلك به**»[3].

علي بن أبي طالب يوزع الأموال على الفقراء والمساكين

وجاءه ابن التّيَّاح فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء فقال: الله أكبر، فقام متوكئاً على ابن التّيَّاح حتى قام على بيت مال المسلمين فقال: هذا جناي وخياره فيه، وكل جان يده إلى فيه، يا ابن التّيَّاح علي بأشياخ الكوفة، قال: فنودي في الناس فأعطى جميع ما في بيت المسلمين، وهو يقول: (يا صفراء يا بيضاء غري غيري، هاوها، مرتين، حتى ما بقي فيه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين[4] اهـ.

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٨٥)، تاريخ دمشق (٢٤/ ٤٠١).
(٢) حلية الأولياء (١/ ٧١).
(٣) الأربعين للثقفي (١/ ٢٦٢)، ذخائر العقبى (١/ ١٠١).
(٤) فضائل الصحابة لأحمد (٨٨٤).

إنه علي بن أبي طالب الذي ذُكر في مجلس النبي ﷺ قضاءٌ قضى به علي فاعجب النبي ﷺ فقال: «الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت»[١] اهـ.

مناقب علي وفضائله المتميزة

ألم يقل النبي ﷺ فيه: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي[٢]، «اللّهم والِ من والاه، وعادي من عاده»[٣]، «علي مني وأنا من علي»[٤]، «أنت أخي في الدنيا والآخرة»[٥]، من آذى علي فقد آذاني[٦]، ومن أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب اللّه، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض اللّه»[٧]، «علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا الحوض[٨]، «حق عليّ على المسلمين حق الوالد على الولد»[٩].

إنه أبو تراب ... ومن الذي سماه كذلك؟ إنه رسول اللّه ﷺ ... قيل: سماه في (غزوة العشيرة) عندما غشي النعاس القوم فعمدوا إلى جانب من النخل فناموا في أرض مترية، فأيقظهم رسول اللّه ﷺ وحرك عليا برجله وقال: «قم يا أبا تراب[١٠]، ألا أخبرك بأشقى الناس أحيمر ثمود عاقر الناقة، والذي يضربك على هذا يعني قرنه فيَخضب هذه منها، وأخذ بلحيته»[١١].

أبو تراب أحب الكنى للإمام علي بن أبي طالب

وفي رواية أخرى دخل النبي ﷺ على فاطمة عليها السلام فقال لها أين ابن عمك؟ فقالت هو مضطجع في المسجد، فجاءه رسول اللّه ﷺ، فوجده قد

---

(١) فضائل الصحابة (١١١٣).
(٢) صحيح البخاري (٣٧٠٦) وصحيح مسلم (٢٤٠٤).
(٣) مسند أحمد (٩٥٠).
(٤) فضائل الصحابة (١٠٦٠)، سنن الترمذي (٣٧١٩).
(٥) سنن الترمذي (٣٧٢٠).
(٦) فضائل الصحابة (١٠٧٨)، المستدرك على الصحيحين (٤٦١٩).
(٧) فضائل الصحابة (١٠٦٦) المعجم الكبير (٢٣/ ٣٨٠) (٩٠١) واللفظ له.
(٨) المستدرك على الصحيحين (٤٦٢٨).
(٩) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٢/ ٣٠٨).
(١٠) صحيح البخاري (٤٤١)، ومسلم (٢٤٠٩).
(١١) مسند أحمد (١٨٣٢١).

سقط رداؤه عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول: «**اجلس أبا تراب**» قال الراوي: فو الله ما سماه به إلاّ النبي ﷺ، وما كان له اسمٌ أحب إليه منه[1].

قاتل أصحاب الألوية الثلاثة في يوم أحد

علي بن أبي طالب قاتل أصحاب الألوية الثلاثة في غزوة أحد، وتارك طلحة بن عثمان بعد أن قطع علي رجله وانكشفت عورته وقال: (أنشدك الله والرحم يا ابن عم) فتركه وكبر رسول الله ﷺ.. وقيل لعلي: ما منعك أن تجهز عليه؟ فقال: ابن عمي ناداني حين انكشفت عورته فاستحييتُ منه.

قاتل عمرو بن ود في غزوة الخندق

وفي غزوة الخندق اقتحم عمرو بن ود الخندق، وطلب المبارزة فخرج له الإمام علي بن أبي طالب وحاوره الحديث حتى حمي ونزل عن فرسه وضربه الإمام علي ضربة فقتله وأجهز عليه.

علي بن أبي طالب في غزوة خيبر

وفي غزوة خيبر كان الإمام عليا أرمد يشكو عينيه، وكان اللواء بيد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فلقوا أهل خيبر بادي ذي بدء وانكشفوا، فقال ﷺ: «**لأعطين اللواء غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**»، فلما كان الغد تطاول لها أبو بكر وعمر فدعا علياً وهو أرمد فتفل في عينيه وأعطاه اللواء ونهض معه من الناس من نهض، فلقي أهل خيبر وقاتلهم حتى فتح الله عليه[2].

علي بن أبي طالب في غزوة تبوك

وفي غزوة تبوك خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف المنافقون بعلي وقالوا ما خلفه إلا استثقالاً له وتخففاً منه، فلما بلغه ذلك أخذ علي سلاحه ولحق برسول الله وهو بالجرف على موضع ثلاثة أميال من المدينة فقال: يا نبي الله زعم المنافقون أنك لما خلفتني أنك استثقلتني وتخففتَ مني، فقال: «**كذبوا ولكني إنما خلفتك لما ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي**» فرجع علي إلى المدينة ومضى رسول الله ﷺ.[3]اهـ.

---

(١) صحيح البخاري (٣٧٠٣).

(٢) صحيح البخاري (٣٠٠٩).

(٣) دلائل النبوة (٥/ ٢٢٠).

علي بن أبي طالب
في مشاهد الحج

وفي السنة التاسعة للهجرة أمر رسول اللّه ﷺ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يحج بالناس فخرج من المدينة حتى بلغ (العرج) عقبة بين مكة والمدينة على طريق الحاج، فبعث من خلفه علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مؤذّناً ببراءة يقرؤها في مشاهد الحج ويقول لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ولا يطوفن بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول اللّه عهد فله عهده إلى مدته، وإن هذه أيام أكل وشرب - أي: أيام منى - وأن لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً.

علي بن أبي طالب
إلى اليمن

وبعث النبي ﷺ علياً إلى اليمن على إثر خالد بن الوليد يدعو الناس إلى الإسلام وصلى بهم الفجر وقام فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قرأ عليهم كتاب رسول اللّه ﷺ فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك إلى رسول اللّه ﷺ فلما قرأ كتابه خر ساجداً، ثم جلس فقال: «السلام على همدان»، ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام.

علي بن أبي طالب
عام حجة الوداع

وفي عام حجة الوداع أدرك رسول اللّه ﷺ في الحج ونحر من هدي رسول اللّه ﷺ مابقي حيث نحر النبي ثلاثا وستين بدنة بيده وأكمل علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المائة، وبعد انقضاء الحج توجه المدينة فلما وصل إلى (غدير خم) خطب ﷺ وذكر فضل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه وعادي من عاداه»[1]، وكان سبب ذلك أن بعضاً من أهل اليمن قد اشتكوا علياً وعتبوا عليه من بعض ما صدر من أحكامه التي ظنها البعض جوْراً وتضيقاً وبخلاً في حقهم، والصواب كان مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأعلن رسول اللّه ﷺ مقام علي ومكانته بينهم.[2]

الصديقية الكبرى
خصوصية مفردة

إن لقب الصديق الأكبر الذي نطقت به لسان الإمام عن نفسه جديرة بالنظر والتفكر .. فالصديقية مرتبة عامة يبلغها الكثير من أهل اللّه، وأما لقب الصديق الأكبر فخصوصية مفردة تعرف وتفهم بمتابعة المقولة ذاتها .. فها هو يقول: أنا عبد اللّه، وكفاه فخراً بهذه العبودية، وقد تحقق بمراتبها من العبودية إلى العبدية

(١) مسند أحمد (٩٥٠).

(٢) راجع المرتضى سيرة أمير المؤمنين لأبي الحسن الندوي ص (٥٣).

لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً

إلى العبودة ... وهذه المراتب اليقينية هي السلّم الإيماني لها على درجات اليقين الذي عبر عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله : (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً).

ويقول : (وأخو رسول اللّه) وقد آخى رسول اللّه ﷺ بينه وبين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المدينـة يوم آخى بين المهاجرين والأنصار ، وفي هذه الأخوة الكبرى تبرز معاني المرتبة السامية المشار إليها من عِدّة وجوه :

أنـه أول مـن أسـلم وأنه تربى ونشـأ في حجر النبـي ﷺ وأنه ولد قبيل الإسـلام بسـنوات لم يسـجد فيها لوثـن ولا عَظَّـمَ صنماً ، وزوَّجَـه النبـيُ ﷺ بابنته فاطمة الزهراء ليكون وإياها يحملان شـرف السـلالة الطاهـرة لآل البيت الأطهار ، وهو

الخصوصيات الكبرى

أحـد أهل الكسـاء الذين غطاهم رسـول اللّـه ﷺ بعباءته ، وكم في السـيرة له من خصوصيـات كان من آخرهـا ما عرف من المولاة العظمى في غدير خم ورفع يده وقوله ﷺ : «**من كنت مولاه فعلي مولاه**»[1]، وبهذا يصحُّ أن نفهم المعنى من قوله : (أنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب).

فمـن الذي يضاهيـه في مناقبه الخصوصيـة وتفرداته الذاتيـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه ؟! وقد أشـرنا سـلفاً في مقدمة هذه المناقب ، أن هذه الأفضليات والخصوصيات لا تدخل في دائرة الصراع المفتعل حول مراتب صحابة رسول اللّه ﷺ ، فكلٌ منهم لـه خصوصيتـه ، وللعلماء في ترتيـب الأفضليات مندوحة التراتـب المجمع عليه بيـن الخلفاء الأربعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم أجمعين كما هـو مقرر في مفهوم العلماء المألوف أن الخلفاء الراشدون أربعة ، لكن النص النبوي يؤكد أن الخلافة ثلاثون عاماً ، والخلفاء في هذه المرحلة خمسـة آخرهم الخليفة الخامس سـيدنا الحسن بـن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وعلى هذا النص يكون الخلفاء خمسـة والسـادس عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

خصوصياته الأدبية البلاغية

وكفـى به تفـرداً وخصوصيـة أن ننظر في لغته الأدبيـة ، وفصاحتـه اللفظية، وما حُـفـظ عنه مـن الخطب والمقامات التي قال عنها المسـعودي أنهـا بلغت أربعمئة

(١) تقدم في الصفحة السابقة .

خطبـة ونيـف وثمانون مقامة ، وهي من حجج اللّه علـى الأمة. حيث جمعت بين اللغة القرآنية الفصحى ، والبلاغة العربية القعسـاء والمواضيع الإسلامية العلياء ، ونورانية آل البيت الشمّاء ، فخذ لك منها أمثلة ونماذج :

وصفه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكتاب اللّه :

وصفه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكتاب اللّه

(اعلمـوا أن هـذا القـرآن هـو الناصح الذي لا يغُـش ، والهادي الـذي لا يضل ، والمحـدث الـذي لا يكـذب ، ومـا جالس هـذا القرآن أحـد إلاّ قام عنـه بزيادة أو نقصان ، زيادة في هدى ونقصان في عمى ، واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ، ولا لأحد قبل القرآن في غنى ، فاستشفوا من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكـم ، فـإن فيه شـفاء من أكبر الـداء ، وهو الكفـر والنفاق والغـيّ والضلال ، فاسـألوا اللّه به وتوجهوا إليه بحبه ولا تسـألوا به خلقه ، إنه ما توجه العباد إلى اللّه تعالى بمثله ، واعلموا أنه شـافع ومشـفع ، وقائل مصدق ، وانه من شـفع له القرآن يوم القيامة صُدّق عليه).

وفي وصيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لولده :

وفي وصيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لولده

(يـا بنـي اجعل نفسـك ميزانـاً فيما بينـك وبين غيـرك ، فأحبب لغيـرك ما تحب لنفسـك ، واكره ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم ، وأحسـن كما تحب أن يحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك ، وارض من الناس ما ترضـاه لهم من نفسـك ، ولا تقل ما لا تعلم وان قـل ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك ، واعلم أن الإعجاب ضد الصواب ، وآفة الألباب ، فاسع في كدحك ولا تك خازنا لغيرك ، وإذا أنت هُديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك).

ومن درر عباراته :

ومن درر عباراته

(من أبطأ عمله لم يسـرع به حسـبه ، ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات قلبه ، أفضل الزهد إخفاء الزهد ، لا قربة بالنوافل إذا أضرت بالفرائض ، لسـان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسـانه ، أولى الناس بالعفو أقدرهم علـى العقوبة ، لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل ، ولا ميراث كالأدب ، ولا ظهير كالمشـاورة ، الصبـر صبران ، صبر على ما تكـره ، وصبر عما تحب ، العفاف زينة

الفقـر ، والشـكر زينة الغنـي ، لا يرى الجاهـل إلاّ مفرطاً أو مفرِّطـا ، إذا تم العقل نقـص الكلام ، من نصب نفسـه للنـاس إماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسـه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسـيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم ، قيمة كل امرئ ما يحسنه ،

لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي

لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي :

الإسـلام هو التسـليم ، والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق ، والتصديق هو الإقرار ، والإقرار هو الأداء ، والأداء هو العمل.

(سوسـوا إيمانكـم بالصدقة ، وحصنوا أمولكـم بالزكاة ، وادفعـوا أمواج البلاء بالدعـاء ، المـرء مخبـوء تحت لسـانه ، هلـك امرؤ لم يعـرف قدره ، مـا اختلفت دعوتـان إلاّ كانت إحدهما ضلالة ، من وضع نفسـه مواضـع التهمة فلا يلومن من أسـاء به الظن ، من كتم سـره كانت الخيرة بيده ، ترك الذنب أهون من طلب التوبة ، عجب المرء بنفسـه أحد حسـاد عقله ، أشـد الذنوب ما اسـتهان به صاحبه ، من أصلح سريرته أصلح اللّٰه علانيته) اهـ

اقترانه بفاطمة الزهراء خصوصية عظمى

بـل يكاد التميز والخصوصية تبلغ مداها حيـن اقترن بفاطمة الزهراء البتول بنت رسـول اللّٰـه ﷺ ، وكان اختيـاراً ربانيـاً ، وفيضـاً رحمانيـاً اكتمل به شـمل الأمل المقـدور في بروز أهل الكسـاء المطهرين من عند اللّٰـه نضح النبي ﷺ الماء على وجـه وصـدر الإمام علي ليلـة زفافه ودعا بفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فجـاءت تعثر من الحياء فقال لها رسول اللّٰه ﷺ قد انكحتك أحبّ أهل بيتي إليّ ، ونضح النبي الماء عليها ودعـا لهـا ثم دعا لهما معاً وقـال : «**اللّٰهم بارك فيهما ، وبـارك عليهما ، وبارك في شملهما**»[1] قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (تزوجت فاطمة بنت محمد ﷺ ومالي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار ، ومالي خادم غيرها)[2] ، قالـت فاطمـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : واللّٰه قد طحنت حتى مجلت يداي فأتيت النبي ﷺ فقال ما جاء بك أي بنيه قالت جئت لأسـلم عليك واسـتحييت أن أسـأله ورجعت فقال

(١) تاريخ دمشق (٢٤/ ١٢٤) .

(٢) كنز العمال (٣٧٧٥٢) .

علـي ما فعلت قالت اسـتحييت أن أسـأله فأتينا جميعـاً فقال علي يا رسـول اللّٰه ، واللّٰه لقد سـنوت حتى اشتكيت صدري ، وقالت فاطمة : قد طحنت حتى مجلت يـداي ، وقـد جاءك اللّٰه بسـبي وسـعه فاخدمنا ، فقال رسـول اللّـه ﷺ : «**واللّٰه لا أعطيكمـا وادع أهل الصفة تطـوى بطونهم لا أجد ما انفق عليهـم ، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم**» ، فرجعا فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطت رؤوسهما تكشف أقدامهما ، وإذا غطيا أقدامهما تكشف رؤوسهما ، فثارا ، فقال: «**مكانكمـا ثـم قـال : ألا أخبركمـا بخير مما سـألتماني**» قالا بلى فقـال : «**كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام تسـبحان في دبر كل صلاة عشـر وتحمدان عشـر وتكبران عشـرا ، وإذا آويتما إلى فراشكما فسـبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين**»[1] وفي رواية « **خير لكما من خادم ..** »[2]اهـ .

لقد تأثر الإمام علي بهذه التربية وبقيت معه آثارها طيلة حياته لأن ذكر اللّٰه يملأ قلبـه ويغمـر وجوده ، ولقـد حافظ على وصية رسـول اللّٰه ﷺ له وقـال عن ذلك رضي الله عنه فو اللّٰه ما تركتهن منذ علمنيهن ، فسأله أحد الصحابة ولا ليلة صفين؟ فقال : ولا ليلة صفين).[3]

وأخـرج الحافـظ الثقفي في الأربعيـن : عن علي كرم الله وجهه مرفوعاً : سـأل رسول الله ﷺ علياً : كيف أنت إذا زهد الناس في الآخرة ورغبوا في الدنيا وأكلوا التـراث أكلا لما وأحبوا المـال حبا جما ، واتخذوا دين الله دغلا ومال الله دولا ، قال : قلت يا رسـول الله اتركهم وأترك ما فعلوه ، وإني أختار الله ورسـوله والدار الآخـرة وأصبـر على مصائـب الدنيا وهو أنها حتـى الحق بك بمشـيئة الله ، فقال رسول الله ﷺ صدقت يا علي ، اللهم افعل ذلك به . اهـ .

خَـرَجَ الإمامُ عَلِيٌّ كرَّم الله وجهه على أَصْحَابِهِ في ثَوْب غَلِيظ خَشِـن مُرَصَّع بالرُّقَع. فقالَ له أصحابُهُ بِإِشْـفَاقٍ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، هلاّ اتَّخَذْتَ لِنَفْسِـكَ ثوباً أَلْيَنَ

---

(١) مسند أحمد (٨٣٨) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى (١/ ١٠٦) .

(٢) صحيح البخاري (٣٧٠٥) .

(٣) صحيح البخاري (٥٣٦٢) ومسلم (٢٧٢٧) .

مـن هذا؟! قـالَ كرَّم الله وجهه: هذا الثَّـوْبُ يَصْرِفُ عنِّي الزَّهْوَ، ويُسَـاعِدُني على الخُشُـوعِ فـي صَلاتِي، وَهُوَ قُـدْوَةٌ صَالِحَةٌ للنَّاسِ كي لا يُسْـرِفُوا ويَتَبَذَّخُوا. ثُمَّ قرأ قولَ الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

وعنـدَ المِنْبَـرِ جَلَسَ ابنُ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مُتوشِّـحاً رِداءً يُرَدِّدُ فُـؤَادُهُ آياتٍ مِنَ الذِّكْرِ الحَكِيمِ.

فَجَاءَهُ رَجُلٌ سَائلاً: يا ابنَ عَبَّاسٍ فِيمَنْ نَزَلَ قولُ الله تَعَالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾.

فقـالَ ابـنُ عَبَّـاس: نَزَلَتْ في عَلِـيِّ بنِ أبي طالِـبٍ كرَّم الله وجهـه، كانَ عِنْدَهُ أَرْبَعَـةُ دَرَاهِمَ فَأَنْفَقَ بِاللَّيـلِ واحِداً وبِالنَّهارِ واحِداً، وفي السِّـرِّ واحِداً وفي العلانِيَةِ واحِداً[1].

عَلِيٌّ كرَّم الله وجهه والذَّهَبُ والفِضَّةُ

أطلَـقَ ابنُ التَّيَّاح سَـاقِيهِ للرِّيَـاحِ يَعْدُو في عَجَلٍ حَتَّى بَلَغَ الإِمَـامَ عَلِيّاً كرَّم الله وَجْهَهُ الَّذي جَلَسَ يُعطِّرُ الأَجْواءَ بِسيرَةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فقالَ ابن التَّيَاح وَهُوَ يَلْتَقِطُ أَنْفَاسَـهُ المُبَعْثَرَةَ في مَشَـقَّةٍ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ امْتَلأَ بَيْتُ المالِ من صَفْرَاءَ وبَيْضَاءَ: يَعْنِي بِالذَّهَبِ والفِضَّةِ.

فهَـبَّ الإمامُ عَلِيٌّ كرَّم الله وجهه مِنْ مَجْلِسِـه وانْطَلَقَ مُتَوَكِّئـاً على ابنِ التَّيَّاحِ حَتَّـى قامَ علـى بَيْتِ المـالِ وأَخَذَ يقولُ وَهُـوَ يُقَلِّبُ الذَّهَـبَ والفِضَّةَ بيـنَ يديهِ: **يا**

---

(١) انظر كتاب «اسد الغابة» لابن الأثير.

صَفْرَاءُ يا بَيْضَاءُ غُرِّي غَيرِي.

وأَخَذَ يُقَسِّـمُها على المُسْـلِمِينَ حَتَّى ما بَقِيَ فيه دينارٌ ولا دِرْهَمٌ، وأَمَرَ بِكَنْسِـهِ ونَضْحِهِ، ثُمَّ صَلَّى فيه رَكْعَتَينِ.

مفصل الخلافة بعد رسول الله ﷺ

أخـذت قضيـة الخلافـة بعـد رسـول اللّـه ﷺ مأخـذاً جدلياً واسـعاً فـي حياتنا المعاصرة ، أكثر مما كان عليه الأمر ساعة القرار في العهد الأول حَشَدَ فيه كل فريق أدلته وثوابت حججه .. وبهذه الحجج والأدلة وصل المسلمون إلى لجة الصراع الطائفي الهاتك ، وخاصة عند أصحاب منحى الإفراط ضد منحى التفريط.

وكانـت المشـكلة الأساسـية لـدى الفريقين حسـب وجهـة القـراءة المتأنية في نصوص فقه التحولات تكمن في الآتي :

- النظر حصريا في الفضائل والمناقب وتفسير النصوص الخاصة بها كجدارة الامتلاك الشرعي للقرار دون النظر فـي المواقف الذاتية لأولي المناقب وما قد أشار إليه النبي ﷺ من علم السابقة في القرار.
- انعـدام النظـر فـي نصـوص التحـولات والمواقـف التـي حصنـت الخلفاء الراشدين كذوات ومرحلتهم الشرعية كخلافة .
- استشـراء مسـحة التعصب والولاء المفرط لاحقاً من دعاة المنهج السياسـي المعـارض لمجريات البيعة ، لتتحول إلى قضيـة عقائدية معقدة وكتل فكرية ومذهبية متباينة.
- خلـط الأوراق السياسـية من أجل امتلاك القـرار ، بين منابر السياسـة المعبر عنهـا في نصوص الحديث (بالفتـن والفتنة) بدءًا من فتنة مقتل الخليفة الثاني عمـر بـن الخطاب (غلق الفتنة) حتى مقتل الحسـين شـهيد الطف رضي الله عنـه وما ترتب على مقتله من المواقف السياسـية المرتبطة بالحوادث ذاتها ، وتحول هذه الفتن إلى برنامج عمل سياسي بين فريقين :
  ١. فريق الملك العضوض ومنابره
  ٢. فريق الثورة الكربلية المعارضة للملك العضوض ومنابرها.

تحول الفتن منذ مقتل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى مقتل الإمام الحسين إلى برنامج عمل سياسي معادلاً ومنازعاً للنمط الأوسط

- طغيـان التيـارات السياسـية بيـن الفريقيـن علـى تيـار (النمـط

الأوسط)[1]، وهو الخط الأول المعروف بتيار السلامة، وكان هذا الطغيان السياسي على هذا النمط الأوسط بسبب غلبة الضجيج الإعلامي السياسي وتبعاته ودعاته حتى اليوم.

الخلافة الراشدة بين المثبطين لها بالجدارة والناقضين

ويكاد موضوع الخلافة كمفصل تاريخي وشرعي هو محك بحثنا هنا في هذه الرسالة، برغم صعوبة الأمر وتعقيداته لدى الفريقين الإسلاميين.. فريق الناقضين لمسألة الخلافة الراشدة، وفريق المثبتين لها بالاستحقاق والجدارة.

البحث في فقه التحولات ليس ضد أحد بعينه

ويحق لي أن أشير هنا إلى مسألة القول الوسط بين القولين، باعتبار دراستي المستفيضة لفقه التحولات مع دراستي الطويلة لفقه السنن القولية والفعلية والتقريرية التي قامت عليها مواقف علماء أهل الأصول والفروع في الفريقين، والفريقان في دراستهما وإصدار أحكامهما على الأوضاع المتمرحلة لم يقفا على الركن الرابع المعنيّ بالسياسة ووظائفها السلبية والإيجابية بل عالجا المسألة خارج ميدانها الشرعي، ولست بصدد إقناع أحد بعينه، ولا فريق بمجموعه، ولكني بصدد بسط بحث شرعي يرتبط بذات الأصول التي يعتمد عليها الفريقان، وهي الكتاب والسنة، إلّا أن تأصيل الكتاب والسنة لديهم لم يتخذ المعادل الثالث المشار إليه في الآية حكماً فصلاً، ، بل اصطبغ الأمر بالطباع والفهوم، والمعادل الثالث المشار إليه في الآية قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

المعادل الثالث النبوة وموقعه من حماية الكتاب والسنة

فالمعادل الثالث (النبوة) وتفسر بالأخلاق والمواقف النبوية باعتبارها الوعاء الحامل للنصين الشرعيين الكتاب والسنة، وقد أهمل المعادل الثالث من حيث التطبيق لأنه لا علاقة له بمسألة النصّ اللفظي، وإنما علاقته بالمعاملة.. وباجتماع الشروط الثلاثة تتم المعادلة الشرعية للتطبيق (الكتاب والحكم والنبوة) وبانفصام أحد الشروط تتحول المسألة إلى مخرجات أخرى تنزع بالجميع إلى أحد طرفي

(١) تيار الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي في المسيرة الإسلامية كلها بدءًا بموقف الإمام علي والزهراء رضي الله عنهما من قبول الخلافة وعدم الخروج الصريح عليها إلى عهد الإمام الحسن وتنازله عن الخلافة بالكلية.

الإفراط والتفريط[1].

نصوص التاريخ المكتوب

ولدى قراءتنا لنصوص التاريخ المكتوب بدءًا من منصوصات كتاب الفتوح لابن أبي الأعثم الكوفي، وتاريخ الطبري، ومروراً بتجارب الأمم لأبي علي بن أحمد بن محمد المعروف (بمسكويه) وبتاريخ ابن كثير وما بعد ذلك نجد النصوص تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١. نص يتعلق بمجريات الحوادث والتحولات من وجهة نظر الفريقين المتصارعين.
٢. ونص يربط الفريقين بالثوابت الشرعية والتزام العود إلى تحكيم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وعلى ألسنة الخلفاء العدول.
٣. ونصّ ثالث يجمع بين الاعتداد بالنصوص الشرعية لمجرد الاحتجاج، ويوظفها لسياسة الوقائع وصناعة الحوادث واستثمارها.

ضوابط الربط بين الديانة والتاريخ

ونجد المادة التاريخية المسجلة في هذه المؤلفات تجمع النماذج الثلاثة وتعرضها بأسلوب وآخر، وقد يصطبغ العرض بولاء الكاتب وانتمائه، ولكن هذا لا يغير من الحق شيئاً .. فالمحور الهام في دراستنا الموضوعية هي الأطراف الثلاثة مجتمعة بادئ ذي بدء .. ثم ترجيح النموذج الثالث الخاص بالخلفاء العدول .. وهو ما يخصنا في علم فقه التحولات تحت شعار الربط بين الديانة والتاريخ، والتأكيد المستمر على أهمية هذا النموذج من العلم المشروع لدى تحليلنا لحوادث التاريخ ومخرجاته لأسباب منها:

- أن نصوص فقه التحولات نصوص استباقية تتناول الحدث قبل وقوعه وتصنفه في موقعه من السلامة وعدمها.
- أنها تحدد هوية الأشخاص المتكلم حولهم سلباً وإيجاباً، فمن كان من أهل

---

(١) بل قد كان موقف الإمام علي رضي الله عنه من كرسي الخلافة موقفاً صريحاً لا يحتمل التأويل فهذا ابن عباس رضي الله عنه يقول: (دخلت على أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها. فقال رضي الله عنه: (والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن اقيم حقاً أو أدفع باطلاً ..) . اهـ.

الحصانـة ظل من أهلهـا لا يقدح فيه طعن طاعن ، ولا تشـوبه ضغائن ، ومن كان مـن أهل الفتنة المنصوص عليها فـي أحاديث فقه التحولات عرف حاله وموقفه .. واستشفت هويته وهدفه من خلال ذلك.

- أن فقه التحولات يعتمد على نصوص النبوة في مسـألة السـابقة الأزلية فيمن سيحكم ومن يتولى أمر المسلمين ، ويصوغ الموقف الشرعي أمامه ، ويعضد ذلك موقف الأئمة أنفسهم من التولي وعدمه.

مواقف الإمام علي خلال مراحل الخلافة

فالصديق الأكبر خلال مرحلة الخلافة الراشدة كان يحمل في نهجه ووعيه وعلمه ومعاملته ثلاثة مواقف :

- موقـف النـصّ الشـرعي والمواقـف التي عرفها فـي عصر صدر الرسـالة مع رسول اللّٰه ﷺ.
- موقـف الصحابة القائم على الاجتهاد وتبادل الرأي وفق المصلحة الشـرعية والظروف الملحة.
- موقف العناصر المخالفة والمتربصة والمرجفة.

وهـا نحن نعـود إلى إحدى كلمـات الصديق الأكبـر لنفهم المعنى المشـار إليه بالنهج الواعي والعلم والمعاملة لدى التحولات السياسية[1].

رأي الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيمن يتولى الخلافة

وبعيد مقتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اجتمع أولو الرأي والمشورة مـن أصحـاب رسـول اللّٰـه ﷺ للنظـر في أمـر الاسـتخلاف ، وكانوا خمسـة من أصحاب الشـورى ، وللمؤرخين في هذا الموضوع بسـط وطول تناول لمجريات

---

(١) فهـذا أبـو بكر الصديـق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند توليه الخلافة يقول : (أيها النـاس اذكروا الله أيما رجل نـدم علـى بيعتي إلا قام على رجليه ، فقام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومعه السـيف فدنا منه حتـى وضـع رجليه على عتبـة المنبر والأخرى علـى الحصى وقال : (واللـه لا نقيلك ولا نسـتقيلك فمن ذا يؤخرك ؟ قدمك رسـول الله ﷺ) ، وفي رواية أخرى : قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (لا نقيلـك ولا نسـتقيلك قدمك رسـول اللـه ﷺ لديننـا .. ألا نرضاك لدنيانـا) اهـ . قال الباقلاني: يعني بذلك حين قدمه رسـول الله ﷺ في الصلاة واسـتنابه في الحج اهـ . (رفع الضيق ص١٣٢)

المداولات والأقاويل تدخل فيما عرفناه سلفاً عن المادة التاريخية المكتوبة ، ومن هذه المداولات نصّ القول الذي عرض فيه الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رأيه في الخلافة ومن يتولاها .. وهذا نموذج مميز من نماذج الإدراك الواعي لمرحلة الرسالة وحصانتها ، ومرحلة الاجتهاد وملابساته فها هو يقول :

موقع أهل البيت من الخلافة

(إنكم تعلمون أننا أهل بيت النبوة وسبب نجاة الأمة من المشقة والبلاء، لنا حق إن نُعطه نأخذه ، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل ولو طال السرى ، ونذهب إلى حيثما نراه صالحاً ، ولا نخاف من طول غيابنا حتى نبلغ أجلنا وبالله لو عهد إلينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عهداً لأنفذنا عهده ، ولو قال لنا قولاً لجالدنا عليه حتى نموت ، ومع ذلك فأنا واحد منكم وقد سبقت الجميع إلى الإسلام وإنّي أوصلكم للرحم فاسمعوا كلامي وعوا منطقي ، واعلموا أني موافق لما تفعلون وتابع لكم ، لكن ليكن عملكم مبنياً على أصل ، ولا تتبعوا الهوى وافعلوا ما فيه رضاء الله ورضاء رسوله)[1].

مدلول سنة المواقف كلام الإمام علي ى

وفي هذا النصّ الذي يُحدّد موقف الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نقرأ إشهاره للحق الذي يعلمه لآل البيت ، والناسُ فيه بين مُعط له أو مانع ذلك الحق لسبب وآخر ، والنص أدب معاملة شرعية لا غبار عليها ، وفي فقه التحولات يقرأ النص الأبوي للإمام علي من واقع مدلول سنة المواقف ، وكل عبارة من عباراته تحمل موقفاً شرعياً في أدب الذات أمام الحق الذي يطالب به ، وأدباً شرعياً مع الرموز الحاملة صفة مسؤولية القرار وموقفهم المتخذ في شأنه أو شأن غيره .. وكفى بهذه المواقف مدرسة للموافق والمعارض والمحب والمبغض ، ولكنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أول من بايع عثمان بعد عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين ، كما جاء في رواية صاحب التمهيد والبيان ص (٢٦): إنها مواقف معلم وملهم.

مواقف العدول لا ترتبط بالرغبات والطباع

ومواقف المعلم والملهم لا ترتبط بالطباع والرغبات ، وإنما ترقى إلى مستوى الاقتداء بالمتبوع الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في مواقفه مع العدوّ الأصلي ، فكيف بالمواقف مع

(١) الفتوح لابن أبي الأعثم الكوفي (٣٣٢).

شريك الديانة وقسيم بناء المرحلة.

بعض نصوص كتابة التاريخ أفادت المستشرقين ومرض علة النفاق في دراستهم التحريشية

إن كثيراً من نصوص كتابة التاريخ بصرف النظر عن مسميات أصحابها، قد أفادت انحرافات الاستشراق ومرضى علة النفاق، وبنيت عليها دراسات مستفيضة من واقع احتدام طباع البشرية وتجانس مواقف المتعدي والمعتدي والمتربص والمتجسس والمتحسس، بل واتهمت بعض هذه الروايات الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين، وتأثير العلاقات النسبية والصلات العرقية، وجعلوا مواقف الخلافة قائمة على صراع بين حزب أموي وحزب هاشمي، وصارت بهذه الروايات قراءة تاريخ الصحابة المبشرين بالجنة وأمانة نقل قرار الإسلام من جيل إلى آخر مبنية على الوقيعة والحيلة والخداع، مما ينفي مبدأ الحصانة الشرعية التي نالوا جدارتها في عصر النبوة، وينفي أيضاً سلامة الصحبة والمرافقة النقية المدعمة بالبشارات الاستباقية التي قالها رسول اللّه ﷺ عن جملة من أصحابه الأبرار.

خطورة الخلط المتعمد لدى بعض الباحثين بين سورة الطباع وبين حق الاجتهاد المشروع

إن مسألة الخلط المتعمد لدى المغرضين بين سورة الطباع البشرية، وبين حق الاجتهاد المشروع في سلوك السابقين إلى الإسلام مسألة خطيرة في الإسلام كله، بل وتعدّ من وجهة نظر فقه التحولات نقض صريح لنصوص من لا ينطق عن الهوى ﷺ في شأن الثقة بآله الأطهار وصحابته الأخيار، وقد أشرنا سلفاً إلى ضرورة التمييز بين فقه الحصانات الخاص بمناقب الصحابة، وبين فقه المواقف والمتغيرات المنصوصة فيما يعرف بالعلم بعلامات الساعة، وبهذا لا بغيره يعرف الباحث الفرق بين موقف الأئمة والصحابة ساعة وقوع الأحداث، وبين التعليل وتفصيل الأقلام وزفير وشهيق مروّجي الفتنة ومفسدي العلاقة الشرعية بين أئمة الديانة وحملة أمانة الإسلام.

وجوب توقف الهجمة المسيسة بين الكتل المتصارعة ضمن الانتماء والمسميات

بل ويجب أن تقف الهجمة المسيسة داخل حظيرة الأمة الإسلامية بين الكتل المتصارعة ضمن المسميات والأسماء المتوارثة، ما بين سنة مصنعة، وشيعة مقنعة، وحزبية إسلامية معتدلة أو متطرفة، قائمة اليوم أو متوقعة، فهذه كلها حسب نظرة القارئ لفقه التحولات تراكمات جمعت بين غلوّ الافراط وجفاء

التفريط بل وخرجت من ذلك القيد اللغوي والاصطلاحي إلى دمار العقائد والعلاقات والمبادئ والقيم، صحّ في كثير منها قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ٢٣].

ضرورة العود إلى الاحتكام المشروع للنصوص النبوية

إن عودة الاحتكام المشروع إلى النصوص النبوية والأبوية في شأن التحولات والمتغيرات المتمرحلة تعتبر العلاج الأنجح لسيل التراكمات التاريخية المتناقضة، بل ومساعدة على إنشاء جيل إسلامي مجتمع النظر والفكرة من واقع المرحلة الإسلامية الأولى.. مرحلة الرسالة والوحي والعصمة والمعجزات.

وبهذه المرحلة ومخرجاتها المنصوصة كتابا وسنة تضبط المراحل اللاحقة، وتضبط العلاقة بالأوعية السياسية والدينية، كما تضبط أيضاً أقاويل وتعليلات المؤرخين والكُتّاب وحملة الأقلام قديماً وحديثاً.

لقد انضبط أمر الشريعة في شؤونها والعقيدة في صفائها ومراتب السلوك في تطبيقاته بعلم الأصول وخدمته الجليلة وعرض ذلك كله على كتاب اللّٰه وسنة رسوله ﷺ.

انضباط علوم العقيدة والشريعة والسلوك يقتضي إكمال مهمة الانضباط في وصف حوادث التاريخ ومتناقضاته

وأما حوادث التاريخ السياسي، ومواقف الرجال في مفاصل التحول وسلامة قراري الحكم في أهله والعلم في رجاله وأوعيته فانضباطه منوط بالربط بين هذه الأمور ونصوص فقه الدعوة إلى اللّٰه وأصول علم المتغيرات وفقه التحولات وما طابقه من معاني كتاب اللّٰه تعالى وأحاديث العلم بعلامات الساعة لا غير ذلك.

لقد انضبط بنصوص فقه التحولات شأن العلاقة بين الإمام علي وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما بقول النبي ﷺ: «**سيكون بينك وبين عائشة أمر**» أو «**إذا إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها**»[1].

وبين الإمام علي والزبير رضي الله عنهما ساعة اللقاء في معركة الجمل وقول الإمام علي له (ألم يقل لك رسول الله ﷺ: «**لتقاتلنه وأنت ظالم له**»[2] فكان هذا النص سببا في انسحابه من المعركة..

---

(١)رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٣٧.

(٢)رواه إن كثير في البداية والنهاية ٦/ ٢١٩.

إذن فالنص فيما سبق من المواقف السياسية يحتاج إلى عمق تأمل وتدبر، حيث لا حكم على العدول بمجريات الحوادث وإنما الحكم بالنصوص والنصوص هي الحد الفاصل بين تصور العقل وغيرة الطبع وبين حقيقة الموقف للمتناول شأنه وحاله وإقامة الحجة له أو عليه، وخصوصا فيمن عاصر رسول الله ﷺ وجرى تعديل مواقفه بنبي الأمة ﷺ .

موقع الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تعميد أركان الخلافة الراشدة

موقع الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تعميد أركان الخلافة الراشدة

تعتبر الخلافة الراشدة في تاريخ الإسلام السياسي مظهر القواعد الشرعية التي أقيمت على أسس مرحلة الرسالة الأولى ، حيث إن مرحلة الرسالة قائمة بالنبوة والوحي والعصمة والأخلاق والمعجزات والجهاد في سبيل اللّٰه ، ولا خلاف على ذلك.

شروط انتقال الأمانة الشرعية سلامة الوعاء التاريخي للنقل

ولانتقال الأمانة الشرعية على وجهها الصحيح لا بد من سلامة الوعاء التاريخي لانتقال هذه الأمانة بشروطها المناسبة لجيل مرحلة الخلافة الراشدة ، والمعلوم أن مرحلة الخلافة الراشدة تقرأ في نصوص فقه المتغيرات مرحلة واحدة كما قرأها النص النبوي مبتدئة بمرحلة الخليفة الأول أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونهاية بمرحلة الخليفة الخامس الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين ولا تصح قراءة مرحلة الخلافة مجزأة أو مرتبطة بالخليفة وحده وخاصة في مسألة سلامة المرحلة وسلامة القرار.

تحديد الخلفاء الأربعة تعليل قاصر عن قراءة المراحل المنصوص عليها بالخلافة

وقد وقع العديد من المؤرخين والكتاب وبعض العلماء أيضاً في علة الفصل بين مراحل الخلافة ، ومواقف الخلفاء نتيجة غياب العلم بفقه المتغيرات ونصوص فقه التحولات.

فمنهم أو أغلبهم إن لم يكن كلهم قد جعلوا الخلفاء أربعة ، وتجاوزو الإمام الحسن بن علي لتنازله .. فخالفوا النص من جهه ، وأكسبوا عدالة الخلافة لمن نسبهم النص إلى مرحلة الملك العضوض.

وجاء آخرون من غلاة المسلمين وجرّحوا مرحلة الخلافة كلّها بدءًا من اجتماع السقيفة ، وما تلاه حتى اختلط الأمر عليهم في شأن خلافة الإمام علي والحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

ولا زالت مشكلة التجريح والخلط قائمة إلى اليوم على ألسنة ومذاهب وأقلام ووسائل هذه المدارس الغالية بأنواعها ، وأساس المشكلة نابع من سوء قراءة النصوص وعلة التطبيقات بين الحوادث ونصوصها.

ففريق ربط مصير المراحل ورموزها بالحوادث ذاتها، وصار الفقه التاريخي للحوادث والوقائع والروايات مادة الولاء والبراء والاحتكام، وفريق آخر زاد على ذلك الأمر النظر في نصوص المناقب والفضائل ورجح بها ميزان المفاضلة والجدارة والأحقية في الخلافة ووراثة القرار، بل وزاد البعض من الغلوّ والإفراط انتحال المناقب والفضائل حتى خرج بعضها عن دائرة الشرع الشريف كله.

العلل التي شابت الفقه التاريخي لقراءة المراحل

وفريق آخر حكم العقل والفهم واستقراء المادّة التاريخية المكنونة لدى الفرق كلّها ليضع فهمه الذاتي حكماً في ترجيح السلامة أو الإدانة بالخطأ والجنوح.

وهذا هو الإشكال المركب بين أمة القرآن والسنة إلى اليوم، ولا مخرج من هذه العلّة الناخرة إلاّ بإحياء سنن النبوة ذاتها وتربية جيل الوسطية الشرعية المؤمن بدراسة الدين مجتمعاً في أركانه الأربعة ثوابت ومتغيرات، ومن ثمّ تقرأ مناقب وفضائل الأئمة والصحابة في مجالها المشروع، كما تقرأ التحولات والمتغيرات وما ينشأ من مواقف واجتهادات حيالها في مساقها المنصوص، ومجالها المخصوص، وهذا الفصل الذي نحن بصدده أحد هذه الأمثلة المراد ربطها بفقه التحولات ومدلولاته.

ضرورة إحياء سنن النبوة لإعادة قراءة التاريخ الشرع

فموقف الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في بداية المرحلة الراشدة وموافقته على البيعة ومشاركته الفعلية في تثبيت دولة الخلافة تعميد شرعي للمرحلة وأساس في توثيق سلامتها، بصرف النظر عما يقال أو يروى من التأخر والتباطؤ في البيعة، فالعبرة بالنتائج لا بمقدماتها سواء في رواية القائلين ببيعته في اليوم الأول والثاني، أو القائلين بتأخر البيعة ستة أشهر حتى وفاة السيدة فاطمة الزهراء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أو القائلين بهما معاً، أي: بيعته الأولى في حينها وبيعته الثانية تجديد العهد وتأكيداً عليه.

قبول الإمام علي للبيعة في مرحلة الخلافة دلالة على سلامة المراحل السابقة

كما أن قبوله البيعة في أخريات مراحلها ومباشرته الفعلية لقيادة المسلمين قراراً واستقراراً تأكيد آخر مهم على صحة المرحلة واستقامة شروط السلامة في رجالها وقرارها، بصرف النظر عن الظروف والحوادث والحيثيات المسبّبة لذلك، أو الظروف والحوادث المترتبة بعد ذلك

وهذا مفصل هام في قراءة المرحلة الراشدة اعتماداً على المواقف والدلالات ، أما قراءة النصوص فالأحاديث الشريفة أكبر شاهد على سلامة المرحلة بعمومها على مدى تأريخها بالهمز وتاريخها بغيره.

فائدة التاريخ بالهمز والتاريخ بغيره

والمقصود بالهمز .. أي بالرقم الزمني لفترة الخلافة إذا رمزنا بالهمزة الساكنة على ألف (تأريخ) والفترة الزمنية مثبتة في الحديث بقوله ﷺ : «**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك**»[1].

الخلافة ثلاثون عاماً

فالثلاثون سنة رقم زمني أرخ لتاريخ شرعي محصن لا طعن فيه ، ومن طعن فيه طعن في سلامة النبوة ، قال ابن كثير : (كانت خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنتين وأربعة أشهر إلاّ عشر ليال ، وكانت خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام ، وخلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اثنتا عشر سنة إلاّ اثنى عشر يوماً ، وكانت خلافة على بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خمس سنين إلاّ شهرين ، ثم قال: وتكمل الثلاثين بخلافة الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحواً من ستة أشهر.

هذا من حيث التأريخ الرقمي المنصوص، أما من حيث التاريخ السلوكي العملي للمرحلة وعدالتها الشرعية فيدلّ عليه قول حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول اللّه ﷺ : «**أول دينكم نبوة ورحمة ، ثم يكون خلافة ورحمة ، ثم ملك ورحمة ، ثم يكون ملكاً وجبرية**»[2].

دلالات متعددة تؤكد صحة مرحلة الخلافة الراشدة

ويستفاد أيضاً لتثبيت مرحلة الخلافة الراشدة وسلامة قرارها مواقف الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع الخلفاء ومساندتهم وحضور الصلوات في الجماعة معهم ومشاركته المشورة في أمور المسلمين وحل معضلات الحكم والعلم المستعصية على كثير منهم ، وكلها دلالات ومواقف تؤكد سلامة البواطن وصدق المعاملة المتجردة عن النفوس وسخائم الطباع .. وقد أفاضت كتب التراجم والسير والمناقب حول هذه المواقف ودلالاتها بما لا مزيد عليه ولا حاجة هنا لتكراره.

---

(١) سنن الترمذي (٢٢٢٦).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٥٩١) (٢٢/ ٢٢٣) .

إن البحث الدؤوب عن المتناقضات والمغامز وعيوب الرجال وهنّات المواقف أوجد في تاريخ الأمة شرخاً عميقاً لا تعالجه الانتماءات للجماعات، ولا الولاءات للمذاهب، وهذه المؤلفات والرسائل وحملة الوسائل بين أيدينا شاهدة على انعدام نقطة الالتقاء بين مدارس الافراط والتفريط بل ونراها قد أغربت بالقافلة عن حدّ التوسط والاعتدال سواء في التعايش الشرعي في المرحلة المعاصرة، أو في الأحكام على مجريات التاريخ المتناقض بين المجموعات المتناحرة والمتنافرة.

ومع هذا أو ذاك فهي لا تحمل برنامج حل للأمة وأزماتها الاقتصادية والاجتماعية .. وإنما حصرت الحلول في الالتزام بما فهمه كل أهل مذهب في مسائل الولاء والبراء .. حتى سقطوا جميعا خلال المرحلة الغثائية في تسييس أعدائهم لهذا الصراع وتوظيفه لمصلحة القوى العالمية في المنطقة ..

استحالة رفع راية العدل والسلام في أمة تعيش الصراع العقدي والطائفي

وأنّى لأمة تعيش الصراع العقدي والطائفي والطبقي في واقعها المعاش حكماً وعلماً أن تحمل راية العدل والسلامة لدى كتابتها، أو معالجتها لقضايا الافراط أو التفريط في تاريخ المتقدمين والماضين ؟!

دور الإمام علي في تثبيت الخلافة الراشدة

إننا هنا في تناولنا لمواقف الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه ودوره في تثبيت قرار الخلافة الراشدة لا يعنى انشغالنا بالتاريخ الأول في ذلك العصر فحسب، وإنما نحن من خلال القراءة لفقه المتغيرات الشرعي نربط بين مواقف الإمام علي وبين تثبيت تعريف الخلافة الراشدة حكماً وعلماً عبر تاريخ الحياة الإنسانية إلى قيام الساعة.

الخلافة الراشدة مستمرة في أحد معانيها الشرعية

فإذا ثبت بهذا العلم المشروع سلامة الخلافة الراشدة في عصر الخلفاء الخمسة، فالخلافة الراشدة بعد هذه المرحلة لم تنقطع في تسلسلها الشرعي بمعانيها الأساسية في مفهوم الخلفاء الراشدين المهديّين إلى أن يقضي اللّه أمراً كان مفعولا[1].

---

(١) والمقصود بالمعاني الأساسية سلامة خلافة العلم وإن كانت خلافة الحكم معلولة

لأننا عند التناول لمفهوم الهداية والرشد في (الحكم والعلم) نربط بين الخلفاء الخمسة والخليفة السادس عمر بن عبد العزيز لا ارتباطاً بالذات ولا بالمرحلة، وإنما ارتباطاً بالمواقف والدلالات مع البشارات الاستباقية لسلامة الذات.

موقع الإمام الحسن من الربط بين الخلافة الراشدة ومواقف الخلفاء العدول عبر التاريخ

وعند تناولنا للخلافة الراشدة في العلم مجرداً عن الحكم، فإننا نربط بين الخليفة الخامس الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وموقفه التاريخي في ربط الهداية والرشد بالمواقف والدلالات بعيداً عن الحكم والسلطان المعلول، وما تسلسل منذ ذلك الحين من تعيين الخلافة الراشدة في الوراث والعدول الذين وصفهم الحديث: «**يرث هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[1].

والإرث المشار إليه بالعلم يقطع طريق العدالة الكلية في الميراث النبوي عن كافة المرتبطين بسياسة الحكم العضوض أو ما يطابقه ويوافقه في الاسم والمسمى والمواقف والدلالات على مدى تاريخ الأمة الإسلامية إلى يوم الدين، وهنا تكمن أهمية دراسة فقه التحولات على ضوء نصوص العلم بعلامات الساعة.

العلة التي طرأت في قرار الحكم ألزمت الإمام الحسن الفصل بين خلافة الحكم وخلافة النبوة

لأن العلة وقد طرأت في قرار الحكم وصارت عند الخليفة الخامس معضلة خطيرة يشهد بها في واقعه المعاش أسبابها ومسبباتها ويستطلع بثاقب فراسته ثمراتها ونتائجها، فليس لها من علاج إلا سُنَّةُ المواقف، وهي السنة الأساسية في فقه التحولات المقتبسة من قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين..**»[2].

والإمام الحسن بن علي من الخلفاء الراشدين المهديين حكماً وعلماً، وكان من سنته التي أُمرنا نصًّا بالاهتداء بها فصل قرار الحكم عن قرار العلم، أو بمعنى أدق فصل أوعية قرار الحكم ومتعلقاته عن أوعية العلم الموروث نصاً ومتعلقاته

بالعضوضية أو غيرها، فخلفاء العلم الوارثين لا علاقة لهم بعضوضية الحكم وإن عاشوا في مرحلته.

(١) تقدم.

(٢) مسند أحمد (١٧١٤٤).

، فاجتمعت سنّة النبي المقررة عن تحول المرحلة من الخلافة الراشدة إلى الملك العضوض مع سنة الإمام الحسن المقررة فصل قرار وراثة العلم عن سياسة الحكم ، وفيها قال الإمام الحسن في وصيته لأخيه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين : (إني والله ما أرى أن يجمع الله فينا آل البيت النبوة والخلافة) ، وللوصية بداية ونهاية تراجع في موقعها – راجع التليد والطارف ص (٢٢٩) ، أو تاريخ الخميس ص (٢٩٣) ، وبها يجتمع المعنى من الحديث الشريف : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ فإن من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً»[1] ، قال الشاطبي عند شرحه لقول النبي ﷺ : «ما أنا عليه وأصحابي» فإنه راجع إلى ما قالوه وسنّوه ، وما اجتهدوا فيه حجة على الإطلاق ، وبشهادة رسول الله ﷺ لهم بذلك خصوصاً إلى أن قال : فإذاً كل ما سنّوه فهو سنّة من غير نظير فيه بخلاف غيرهم ، وقال في الموافقات : سنة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يعمل عليها ويرجع إليها.

والنصوص في فقه التحولات هي أصل الاحتكام ومصدر الحجة في السلامة من الفتنة ، أو الارتكاس فيها.

مواقف الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حصناً حصيناً للإسلام كله

وقد ظلت مواقف الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مدى تاريخ الخلافة الراشدة حصناً حصيناً للإسلام كله يشهد بهذا الأمر كافة الخلفاء الثلاثة وجمهور الآل والصحابة والتابعين.

بسط الإمام علي يده للمبايعة الصديق حسم نهائي للاعتراض على قرار السقيفة

فدور الإمام في بسطه يده للمبايعة كان حاسماً قطعياً لتثبيت خلافة أبي بكر الصديق ومساعداً عملياً لاجتماع كلمة الأمة ، وروي عنه قوله في خطبته على منبر الكوفة مثنياً على خلافة أبي بكر (فأعطى المسلمون البيعة طائعين ، فكان أول من سبق في ذلك من ولد عبد المطلب أنا).[2]

مدلول عجزت النساء أن تلدن مثل ابن طالب

وفي عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ظل الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عضواً بارزاً

---

(١) مسند أحمد (١٧١٤٥) ، وسنن الدارمي (٩٦) ، وسنن ابن ماجه (٤٢)، وسنن الترمذي (٢٦٧٦) .

(٢) أسد الغابة (٤/ ١٥٦) .

في شـؤون الدولـة العمرية ، ومُعترفاً بفضله وفقهه وحكمتـه ، وفيه يقول الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (أعـوذ باللّـه من معضلة ليس لها أبو الحسـن) ، وفـي موقف آخر يقول : (عجزت النساء أن تلدن مثل علي بن أبي طالب ، ولولا علي لهلك عمر)[١] .

مواقف الإمام علي في مرحلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وفـي عهـد عثمـان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت مواقـف الإمام علـي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثلها مثـل مواقفه مع الخلفاء السـابقين وهي السـمع والطاعة ، والإدلاء بالمشـورة والنصح ، وكان عاصمـاً من فتنـة الاندفاع لدى الثـوار والمحيطين بهم الذين نـووا الضرر بعثمان وأقاربه ، بل ظل الإمام واسطة بين الفريقين لتهدءة الأوضاع ومحاولة التوفيق بين الفرقـاء ، حتـى تفاقم الأمر وخرج عن شـروط الضبط والالتزام فعـاد الإمام علي إلى منزله مسـتقبحاً كافة المواقف المتناقضة ، وحريصاً كل الحرص على سـلامة الخليفـة عثمـان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ودافعـاً بأبنائه وجملة من المقربين إليـه كي يحموا منزل عثمـان من غوغائيـة المعتدين والمتعدّين حتى جرى أمر اللّه كما كان ، ولم يسـع الإمام عليا إلا أن يقول : (كيف قتل عثمان وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن وكان قد جرح ، وضرب صدر الحسـين ، وشـتم ابن الزبير وابن طلحة ، وقال: تبّاً لكم سائر الدهر ، اللّهم إني أبرأ إليك من دمه أن أكون قتلتُ أو مالأتُ على قتله)[٢]

وتبـرُّؤ الإمـام علي من مقتـل عثمان إشـارة إلى عظـم الحدث وخُطـورة الفتنة وعلمـه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعلاقـة الأمر بفتنة الدجـال .. وقد أخرج ابن عسـاكر عن جابر بن عبـد اللّـه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن علياً أرسـل إلى عثمان فقـال : (إن معي خمسـمئة ذراع – أي مقاتل – فأذن لي فأمنعك من القوم ، فإنك لم تحدث شـيئاً يسـتحل به دمك) فقال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :جزيت خيراً ما أحب أن يهراق دم في سببي.[٣] .

---

(١) سنن البيهقي (١٥٥٥٨) . .

(٢) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (١/ ٢٢٢) .

(٣) تاريخ دمشق ص (٣٩/ ٣٩٨) .

مرحلة الاختراق الدّجالي وموقف الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منها

بدء مرحلة الاختراق الدجالي موقع القرار السياسي في الإسلام

أثبتت النصوص الاستباقية التي نطق بها خير البرية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن بدء مرحلة الإختبار السياسي بين مدارس الإسلام الحق، ومدارس الجنوح والارجاف كان مع موت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حيث بدأ العمل المنسق لهذه المدارس السلبية مع هذا المفصل الخطير الذي قال عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الحديث: «**من نجا من ثلاث فقد نجا** قالها ثلاث مرات» قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: «**موتي ومن قتل خليفة مصطبر بالحق يعطيه، والدجال**»[1]، وحديث: «**اعدد ستاً موتي.....**»[2] الخ، وموت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علامة من علامات الساعة ومفصل من مفاصل التحولات أدخل المرحلة الجديدة ورموزها في محك الاختبار، وبرزت من خلال هذه الاختبارات مواقف الثبات، ومواقف السلامة لدى أهل الحصانة والعدالة وحفظ الله بها الأمة من الزيغ والضلال والاختلاف في ساعة موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واضطراب الجميع في هذه الحادثة وثبات الصديق وإنقاذه الموقف بما تلاه على الأسماع من قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٤]، ومروراً بمواقفه وحسمه قضية ردة العرب ومنعهم للزكاة ومحاربتهم على ذلك ثم قطعه دابرة فتنة مدارس الإفك التي ادعت النبوة كالمدرسة المسيلمية والأسدية وغيرهم، ويلي ذلك مرحلة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتأكيد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنها مرحلة (غلق الفتنة)، وأن عمر بن الخطاب (باب غلق الفتنة) كما جاء في البخاري ومسلم بسنديهما إلى أبي وائل شفيق ابن سلمة قال: سمعت حذيفة يقول: (بينا نحن جلوساً عند عمر إذ قال: أيكم يحفظ قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الفتنة؟ قال: (**فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يكفرها الصلاة**

---

(١) مسند أحمد (٢٢٤٨٨)، المستدرك على الصحيحين (٤٥٤٨).

(٢) صحيح البخاري (٣١٧٦).

والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ليس عن هذا أسألك ولكن التي تمـوج موج البحر قال: ليـس عليك منها بأس يا أمير المؤمنيـن إن بينك وبينها باباً مغلقا ، فقال عمر: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: بل يكسر ، قال عمر إذاً لا يغلق أبدا قلت أجل قلنا يا حذيفة أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كمايعلم أن دون غد الليلة ، وذلـك أني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط ، فهبنا نسـأله من الباب؟ فأمرنا مسـروقاً فسأله فقال من الباب؟ قال عمر)[1].

المشار هنا بالفتنة السياسية التي يخترق القرار منها عناصر الدجال ، وهي الفتنة التي مهدت فيما بعد لقتل الخليفة المصطبر عثمان وخلال هذه المرحلة التي بدأت بمـوت النبـي ﷺ إلى مرحلة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، بقيت في نفـوس المدارس الأخرى مـا بقي من الفتنة والتربص والانتظار للفرص والمناسـبات لتصبح مسـألة (موت النبي ﷺ) إحدى أسـباب الخوض في الملابسـات وفقـه المغالطات والمبررات إلـى يومنـا هذا ، وإلـى أن يقضي اللّـه أمـراً كان مفعولا .. وقد شـملت الطعن في قراري الحكم وقراري العلم وما ترتب على مسألة الخلافة الراشدة وثمراتها.

وجاءت المرحلة الثانية المشـار إليها في الحديث ، (مقتل خليفة مصطبر بالحق يعطيـه) ، وهـي مرحلة الخليفـة المصطبر عثمـان بن عفـان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومقتله علامة خطيرة من علامات الاختراق الدجالي لموقع القرار في الأمة الإسلامية ، وأنّ هذا الأمر السياسـي فتنة خطيرة على كثير من العقول المترسـمة بالعلم وقراءة التاريخ حيث قال المصطفى ﷺ : **«والذي نفسـي بيده ما من رجل في قلبه مثقال حبة من قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه ، وإن لم يدركه آمن به في قبره»**[2] ، ومثل هذا التوجيـه النبوي المسـتقبلي هو عيـن ما كان يحذره أصحـاب النبي ﷺ ويخافون منـه .. لأنه يربط بين حوادث المراحـل وبين مجريات القضاء والقدر المبنيّ على النذارة والتحذير ، ومنها قوله ﷺ : **«إن للّه سيفاً مغموداً في غمده ما دام عثمان بن**

---

(١) رواه البخاري (٥٢٥) (٣٥٨٦) (٧٠٩٦) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٤٧) ، وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ١٩٢) .

عفان حياً ، فإذا قتل عثمان جرّد ذلك السيف فلم يغمد إلى يوم القيامة »[1].

خطورة القراءة لنصوص مقتل عثمان كانت سبباً في الاختلاف حول مصير قتلته

ولعل كثيرا من الإرباكات والخلافات الجارية بين مجموعة النمط الأوسط من آل البيت وأصحاب رسول اللّه ﷺ خلال وبعد مقتل عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ راجع إلى قلقهم وخوفهم من تحذيرات النبي ﷺ خطورة هذه الفتنة على الأمة جميعا .. فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : قال رسول اللّه ﷺ لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «إن اللّه مقمّصك قميصاً» أي: موليك الخلافة «فإذا أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه»[2] ، وفي رواية الطبراني في الأوسط : «وصم ذلك اليوم تفطر عندي»[3] .

وفي ذلك يقول الإمام السيوطي في تاريخ الخلفاء وأخرج عن سمرة قال : (إن الإسلام كان في حصن حصين وأنهم ثلموا في الإسلام ثلمة بقتلهم عثمان لاترد إلى يوم القيامة)[4] ، وحديث عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول اللّه ﷺ : «إن للّه سيفاً مغموداً في غمده ما دام عثمان بن عفان حياً ، فإذا قتل عثمان جرّد ذلك السيف فلم يغمد إلى يوم القيامة »[5].

مواقف ومقولات الخلفاء العدول عند مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ولأجل هذا التحذير والإنذار رفع الإمام علي يده إلى السماء ساعة علمه بمقتل الخليفة عثمان قائلاً : (اللّهم إني أبرأ إليك من دم عثمان)[6] ، وهرع حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : (اللّهم إنك تعلم براءتي من دم عثمان ، فإن كان الذين قتلوه أصابوا فإني بريء منهم ، وإن كانوا أخطأوا فقد تعلم براءتي من ذمته ، وستعلم العرب لئن كانت أصابت لتحلبن بذلك لبنا ، وإن كانت أخطأت بقتله لتحلبن بذلك دماً ، فاحتلبوا بذلك دماً ، ما رفعت منهم السيوف ولا القتل.[7]

---

(١) تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٤٤) .
(٢) مسند أحمد (٢٤٤٦٦) والمستدرك على الصحيحين (٤٥٤٤) .
(٣) تاريخ دمشق (٣٩/ ٢٩٠) .
(٤) تاريخ الخلفاء (١/ ١٢١) .
(٥) تاريخ الخلفاء (١٥٢) .
(٦) المستدرك على الصحيحين (٤٥٥٦) .
(٧) فضائل الصحابة لأحمد (٨٠١) .

لقد ظلّ الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طيلة مرحلة (الصراع المحتدم) بين المعارضة والدولة على عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في موقع العدل والتوسط بين الفريقين مستخدماً شتى الوسائل التي يعلمها ويحسن المعاملة بها مع كل عصر سبق ومرحلة ذهبت ، وكانت القوى المتصارعة والمتنافسة داخل دائرة الحكم وخارجه تعلم مكانة الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وآل بيته ومكانة من يليه من بقية أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتعلم مقدار الجهد المبذول من هذا التيار الخير في تثبيت دعائم موروثات الرسالة النبوية وحفظها بين الناس ، وأمّا الناس فهم لفيف بين أولي المصالح والعامة ونُزّاع القبائل ، وفيهم من أولي الفتنة وأرباب الشر قوم كثر وخاصة ممن قد أشار إلى امتداد فتنتهم من لا ينطق عن الهوى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وممن وصفهم اللّٰه تعالى بقوله : ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ [الأحزاب : ٦٠] .

وهؤلاء فئات لم يسلم من فتنتهم عصر الوحي والعصمة والنبوة والمعجزات فكيف بالمراحل اللاحقة بعد شمول الفتن المتلاحقة...

وقد كان مقتل الخليفة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمعة ١٨ من شهر ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، وكان الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في منزله فأتى إليه رجل فقال : (إن أمير المؤمنين مقتول الساعة ، فقام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخذ ابنه محمد ابن الحنفية بوسطه مانعاً له من الخروج ، فقال: خل لا أم لك ، فخرج فأتى إلى دار عثمان وقد قُتل رحمه اللّٰه ، فرجع الإمام علي ودخل داره وأغلق بابه ، فأتاه الناس فضربوا الباب عليه حتى دخلوا فقالوا: إن هذا قُتل ولا بدّ للناس من خليفة ولا نعلم أحداً أحق بها منك ، فقال : (لا تريدوني فإني لكم وزيراً خير مني لكم أميرا ، فقالوا: لا واللّٰه لا نعلم أحد أحق بها منك ، قال: فإن أبيتُم علي فإن بيعتي لا تكون سرّاً ، ولكن أخرج إلى المسجد' فلما دخل المسجد جاء المهاجرون والأنصار فبايعوا وبايع الناس.[1]

(١) فضائل الصحابة (٩٦٩) . .

وقد كان الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منكراً كل الإنكار موقف أهل الفتنة، وكان يقسم على ذلك في خطبه وكلامه وأنه لم يشترك في قتله ولا مالأ ولا رضي بذلك، وكان يقول: (اللّهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل وأنكرت نفسي، وجاؤوني للبيعة، فقلت: واللّه إني لأستحي من اللّه أن أبايع قوما قتلوا رجلاً قال فيه رسول اللّه: **«ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة»** وإني لأستحي من اللّه أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد فانصرفوا، فلما دفن رجع الناس فسألوني البيعة فقلت: (اللّهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعتُ، فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين، فكأنما صدع قلبي، وقلت: (اللّهم خذ مني لعثمان حتى ترضى).[1]

وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد بن الحنفية قال: بلغ علياً أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد،قال: فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان لعنهم اللّه في السهل والجبل، قالها مرتين أو ثلاثا.[2]

وفي خطبة لأمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشية الصلح مع طلحة والزبير وعائشة، فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الإسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة، وأن اللّه جمعهم بعد نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على الخليفة أبي بكر، ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم بعده على عثمان، ثم حدث هذا الحدث الذي جره على الأمة أقوام قتلة عثمان طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم اللّه بها عليه، وعلى الفضيلة التي من اللّه بها، وأرادوا رد الإسلام والأشياء على أدبارها، واللّه بالغ أمره).

ثم قال: ألا وإني راحل غداً فارتحلوا، ولا يرتحلن غداً أحدٌ أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس، وليغن السفهاء عني أنفسهم.

أسباب قبول الإمام علي للبيعة بعد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وكان قبول الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للبيعة في هذا الظرف موقفاً شرعياً عزم عليه به المهاجرون والأنصار وهم أهل الحل والعقد، وأما أهل الفتنة وقتلة عثمان فلا علاقة للإمام في قبوله المبايعة إرضاء لهم أو استناداً على رغبتهم، وإنما هي

(١) المستدرك (٣/ ٩٥).

(٢) فضائل الصحابة (٧٣٣).

مصلحة المسلمين في سائر الأقطار وقطعاً لدابر الفتنة القائمة على ساقها بعد قتل عثمان شهيد الدار، وتستمدّ البيعة مشروعيتها من أهل الحل والعقد، ومن حديث رسول اللّٰه ﷺ بأن الخلافة ثلاثون عاماً، وكانت بقية الثلاثين عاماً بنص الحديث مرحلة الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وما بقي منها في خلافة ولده الإمام الحسن .. ويدل على ذلك حديث سفينة مولى رسول اللّٰه ﷺ عن رسول اللّٰه ﷺ قال: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي اللّٰه ملكه من يشاء**»[1].

لقد بلغ الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى قرار الحكم كارهاً له مضطراً للقيام به، راغباً في إصلاح ما يمكن إصلاحه، ولكن الواقع السياسي والاجتماعي قد بلغ إلى حالة من المتناقضات والرؤى المتنافسة نشأت وتراكمت بفعل الأحداث الجارية في عهد عثمان وبعد مقتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المدرسة السبأئية ودورها في الفتنة

فهناك المدرسة السبئية المنسوبة إلى عبد اللّٰه بن سبأ اليهودي[2] وما قامت به من الاختراق الفكري في المجتمع الإسلامي آنذاك.

وسواء صحت رواية المؤرخين بوجود عبد اللّٰه بن سبأ أو لم تصح كما يذكر بعض المؤرخين حقيقة وجوده، فإن (المدرسة السبئية) كانت منتشرة وظاهرة في المجتمع الإسلامي خلال تلك الفترة الزمنية، وكانت سبباً من أسباب الفتنة المنتهية بقتل عثمان وما ترتب عليها من الاختلاف والنزاع وطرح أفكار الغلوّ والإفراط في الإمام علي وآل البيت الأطهار، مما جعل الإمام علي يقف من الغلاة موقفاً حاسماً لا هوادة فيه ولا تراجع.

اختلاف الصحابة حول مصير قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأثر ذلك على وحدة الصف

وهناك أيضاً مسألة اختلاف الصحابة في طريقة الأخذ بالقصاص من قتلة عثمان، وكان لهذا الاختلاف أثر خطير في ملابسات الأمور وشبّ نيران

---

(١) سنن أبي داود (٤٦٤٦).

(٢) أصل عبد اللّٰه بن سبأ من يهود اليمن أظهر الإسلام وغلا في أمر الاعتقاد في الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واجتهد في وضع قواعد التأليه للإمام علي وقواعد الوصية، والتناسخ، وكون له اتباعاً وأشياعا يعتقدون اعتقاده، ويقولون بأرائه وأفكاره حتى تحولت إلى مدرسة بدعية ذات قواعد وأهداف معروفة.

الفتنة بين المختلفين ، وتدخل عناصر الفتن والمصالح للاستفادة من هذه الاختلافات واستثمارها لتعميق الصراع المفضي إلى صيد العناصر المفتونة في الماء العكر ، وهم العناصر التي سماها رسول اللّٰه ﷺ بتسمية كتاب اللّٰه بأهل النفاق والارجاف والذين في قلوبهم مرض ، مما حدا ببعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى اعتزال المجموعات كلها وعدم المشاركة مع أحد ضد أحد ، ومن أولئك المعتزلين فتنة المشاركة سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وعبد اللّٰه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، ومحمد بن مسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وغيرهم.

مواقف بعض الصحابة قائمة على قراءة علامات الساعة

وكانت مواقفهم تلك مبنية على قراءتهم نصوص فقه التحولات ، وأحاديث علامات الساعة والفتن المضلة ، فقد أخرج مسلم من حديث عامر قال : كان سعد بن أبي وقاص في إبله ، فجاءه ابنه عمرو فلما رآه قال: أعوذ باللّٰه من شر هذا الراكب فنزل فقال له : أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال : اسكت سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : «**إن اللّٰه يحب العبد التقي الغني الخفي**»[1].

وعن الحسن أن عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعث إلى محمد بن مسلمة فجيء به فقال ما خلفك عن هذا الأمر قال: دفع ابن عمك – يعني النبي ﷺ سيفاً لي فقال : «**قاتل به ما قوتل العدو ، فإذا رأيت الناس يقتل بعضهم بعضاً ، فاعمد به إلى صخرة فاضربه بها ، ثم الزم بيتك ، حتى تأتيك منية قاضية ، أو يد خاطئة**» قال: خلّوا عنه[2].

وعن سعيد بن جبير قال خرج علينا عبد اللّٰه بن عمر ، فرجونا أن يحدثنا حديثاً حسناً ، قال فبادرنا إليه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن حدثنا عن القتال في الفتنة ، فاللّٰه يقول : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة : ١٩٣] – فقال هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك؟ إنما كان محمد ﷺ يقاتل المشركين ، وكان الدخول في دينهم فتنة ، وليس كقتالكم على الملك[3].

---

(١) مسلم (١٤٤١).

(٢) مسند أحمد (١٧٩٧٩) .

(٣) صحيح البخاري (٧٠٩٥) مسند أحمد (٥٣٨١) .

وعـن نافـع أن رجـلاً قال لابن عمر ، يا أبـا عبد الرحمن ألا تسـمع قوله تعالى : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحُجُـرات : ٩] فقـال : لأن أعتبـر بهذه الآيـة فلا أقاتل ، أحب إليّ من أن أعتبر بالآية التي يقول فيها : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النسـاء : ٩٣] ألا تـرى أن اللّـه تعالـى يقول : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة : ١٩٣] قد فعلنا على عهد رسـول اللّه ﷺ إذ كان الإسلام قليلاً ، وكان الرجل يفتن في دينه ، إما أن يقتلوه ، وإما أن يسترقوه حتى كثر الإسلام ، فلم تكن فتنة)[١].

ثناء الإمام علي رضي الله عنه على أصحاب المواقف

وورد أن أميـر المؤمنيـن علـي بن أبي طالـب رضي الله عنه حَمِدَ لابن عمر وسـعد بن أبي وقاص هذه المنزلة التي ارتضيا وشـكر لهما الموقف الذي اتخذاه .. إذ قال : (للّـه درّ مقام قامه سـعد بن مالك ، وعبد اللّـه بن عمر ، إن كان برّا إن أجره لعظيم ، وإن كان أثمـاً إن خطـأه ليسـير) ، وفي روايـة : (للّه درّ منزل نزله سـعد بن مالك وعبد اللّه بن عمر ، واللّه إن كان ذنباً إنه لصغير مغفور ، وإن كان حسـناً إنه لعظيم مشكور)[٢].

وهـذا مثال مقتبس من موقف بعض الصحابة فـي مجريات الأحداث بعد مقتل عثمـان ، مع أن المعتزليـن فتنة الصراع كانوا أكثر من هـذا النموذج ومنهم عمران بن حصين ، وسـعيد بن العاص ، وأسـامة بن زيد ، وعبد اللّه بن عمرو بن العاص ، وصهيـب بن سـنان الرومي ، وأبو أيوب الأنصاري ، وأبو هريـرة ، وعبد اللّه بن سـعد بن أبي سـرح بعد عزله من ولاية مصر انزوى في الرملة [٣] كما أن رجالًا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد مقتل عثمان فلم يخرجوا إلاّ إلى قبورهم[٤].

كلّ هـذا كان لعظـم الحدث الـذي وقر في نفوسـهم (بمقتل عثمـان) ولما كان

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٢٩) .

(٢) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (١/ ٥٢٧) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣)..

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٨١) .

لمقتله من تحذير في الأحاديث الاستباقية التي أخبر عنها ﷺ.

ومثـل هذا التعليـل الواعي يميَّز بين موقـف الصحابة القارئين سـنن المتغيرات وبين مواقف أهل الفتنة المتسببين في الإثارة والتحريش والمستثمرين لها.

مواقف الخارجين على قرار الخلافة من أصحاب الرسول ى

موقف الخارجين من أصحاب رسول الله ﷺ في الأخذ بثأر عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

كبـرت في صـدور الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قضيـة مقتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وشـهدوا عياناً خطـورة النذارات التي أشـار إليها ﷺ بعد مقتله، وعلاقـة الأمر بالدجال وفتنته، فاختلفوا في شأن المسألة إلى فريقين:

١. فريـق الإمـام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد توليه الخلافة، وهـو الفريق الراغب في توطيد أمـر القـرار والخلافـة، وتتبـع القتلة والأخذ بثـأر عثمان من خلال اسـتقرار الأمور والسـيطرة الكاملة علـى الوضع المضطرب، وهو الـرأي الذي أيدته النصوص الاستباقية.

٢. والفريق الآخر كان فريق طلحة والزبير وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين، وهم الذين قدروا الأمور بمجريات الأحداث، ويرى هذا الفريق ضرورة الأخذ بالثأر من القتلة قبل مشـروع الاسـتقرار وعدم انتظار الوقت حتى سيطرة الخليفة على الأمـور، فالزمن يكسـب القتلة مواقف جديدة فـي التمويه والغدر والخديعة، وخاصـة أن كثيراً منهم قـد اندرجوا ضمن جيش الإمام علي بعد المبايعة له بالخلافة وتحول الأمر بعد ذلك إلى فتنة وتعصب على الرأي والمواقف.

فعائشـة كانت تقـول: (إن عثمان قتل مظلوماً واللّـه لأطالبن بدمه) [(١)]، وطلحة يقـول: (إنـه كان مني في عثمان شـيء، وليس توبتي إلا أن يسـفك دمي في طلب دمه)[(٢)]، والزبير يقول: (نُنهضُ الناس فيدرك بهذا الدم لئلا يبطل، فإن في إبطاله توهين سلطان اللّه بيننا أبدا، إذا لم يفطم الناس عن أمثالها لم يبق إمام إلاّ قتله هذا الضرب)[(٣)].

وهذه عبارات تشـير إلى عظم الحدث في نفوسـهم وتأثرهم بها أكثر من تأثرهم بما عرفوه بينهم من العلاقة المحصنة على عهد صاحب الرسالة، وما اشتبه عليهم

---

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٥٩)..

(٢) المستدرك على الصحيحين (٥٥٩٥).

(٣) تاريخ الطبري (٤/ ٤٦١).

فيه الأمر من اختلاط العدول بأهل الفتنة في قضية مقتل الخليفة الثالث .

تفاقم الأمور بين أطراف العدالة واختراق أهل الخيانة

وتفاقمت الأمور في أحداث متلاحقة نصّ النبي ﷺ على كونها (فتنة) لا يسلم منها القوم ولا يدركون خطرها إلاّ بعد إسالة الدماء ، ونشوب القتال ، وخلال ذلك أرسل الإمام علي القعقاع بن عمرو إلى عائشة ومن كان معها يسألها عن سبب قدومها إلى العراق ، ودخل عليها القعقاع فسلم عليها ، وقال أيْ أَمَةُ ، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت : أي بني إصلاح بين الناس ، وكانت حينها لم تدرك خطر الفتنة الموعودة ومقدار آثارها.

عائشة في موقفها تدعوا إلى الإصلاح

وبعد انتهاء حرب الجمل جاء علي إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعنه فقال لها : غفر اللّٰه لك ، قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح)[1].

ماء الحوأب وعلاقته بفقه التحولات

وثبت في الحديث إشارة النبي ﷺ في أحاديثه الاستباقية (مرور عائشة على ماء الحوأب) بقوله : «كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب»[2] ، وورد أن عائشة لما أتت على الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت ما أظنني إلا راجعة ، إن رسول اللّٰه ﷺ قال لنا : «أيتكن تنبحها كلاب الحوأب ، أو تنبح عليها كلاب الحوأب» ، فقال لها الزبير: عسى اللّٰه عزّ وجل أن يصلح بك بين الناس[3] ، وفي رواية أخرى تكلم بها علماء الحديث بالتضعيف أنّ مروان جمع أربعين من القوم يحلفون بأن المكان ليس ماء الحوأب حتى مضت عائشة معهم لقدر اللّٰه .

الأطراف المستفيدة من اختلاف العدول

ويهمنا هنا في دراسة مواقف أهل النمط الأوسط من هذا الفريق المشهود له بسلامة الاجتهاد وحصانة العاقبة أن الأطراف المستفيدة من اختلاف وجهات النظر بين هؤلاء والصحابة لعبت دور الإثارة والتحريش للوقيعة بين الفئتين ، ليضيع الحق المطالب به من كلا الجهتين دون القدرة على تحقيق الحل الأمثل والعلاج الأفضل.

---

(١) شذرات الذهب (١/ ٤٢).

(٢) مسند أحمد (٢٤٢٥٤) ، صحيح ابن حبان (٦٧٣٢) ، المستدرك على الصحيحين (٤٦١٤) .

(٣) مسند أحمد (٢٤٦٥٤) .

الأحاديث الاستباقية وأهميتها في قراءة التاريخ

كما نستفيد من دراسة أحاديث فقه التحولات سلامة موقف الإمام علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في كافة مواقفه التي اتخذها ، وشاهدها نصوص النبي ﷺ الاستباقية عن توصيف الحوادث ومجرياتها ، ومنها :

قوله ﷺ لعلي عن موقف أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا : «**وسيكون بينك وبينها أمر**» إلى أن قال : «**فإن قدرت عليها فارجعها إلى مأمنها ، أو قال: مكمنها**»[1].

وقوله ﷺ للزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن موقفه من علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : «**لتقاتلنّه وأنت له ظالم**»[2] ، واعتراف الزبير أثناء المعركة بصحة هذا القول وانسحابه من المعركة كاف لمعرفة الحق وأهله .

وخلاصة الأمر السلامة من الفتنة لمن أراد اللّٰه له السلامة من الفريقين ، وأما المعركة وضحاياها فأمرٌ بدأ به أهلُ الفتنة واستجلبوه أماناً لأنفسهم وهلاكاً للأمة ، وكما قال الإمام الطحاوي : (فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة ، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين)[3].

موقف الإمام علي من فتنة الحرب وموقعة الجمل

وهذا الإمام علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في نهاية المعركة وهو يرى القتلى والجرحى في الجانبين فيتألم ويحزن ويقبل على ابنه الحسن ويضمه إلى صدره وهو يبكي ويقول: يا بني ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاماً ، فقال الحسن: يا أبت لقد كنتُ نهيتُك عن هذا ، فقال علي: ما كنتُ أظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد ، وما طعم الحياة بعد هذا؟ وأي خير يرجى بعد هذا ..؟

إنه وصف عجيب في موقف عصيب .

وبعيد معركة الجمل ودفن قتلاها والترحم عليهم من أمير المؤمنين علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ دخل الكوفة وأبى أن ينزل بالقصر الأبيض وقال : (إن عمر بن الخطاب كان يكره

---

(١) مسند أحمد (٢٧١٩٨) ، ونصه : أن رسول اللّٰه ﷺ قال لعلي : «**إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر قال : أنا يا رسول اللّٰه؟ قال : نعم ، قال أنا؟ قال : نعم ، (قلت) : فأنا أشقاهم يا رسول اللّٰه . قال : لا ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها**» .

(٢) المستدرك على الصحيحين (٥٥٧٤) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوي ص (٥٤٦) .

نزوله فأنا أكره لذلك نزوله فنزل بالرحبة وصلى بالجامع الأعظم ركعتين وخطب الناس وحثهم على الخير ونهاهم عن الشر، ثم قام يأخذ البيعة، وأرسل جرير بن عبد اللّه البجلي إلى معاوية يدعوه إلى البيعة، فلما انتهى إليه جرير بن عبد اللّه أعطاه الكتاب وجمع معاوية رؤوس أهل الشام واستشارهم فأبوا المبايعة حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم، فرجع جرير إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخبره بما قالوا[1].

موقف معاوية من البيعة للإمام علي

واجمع رأي الإمام علي ومن معه على المسير إلى الشام للفصل في الأمر وجهز جيشاً كبيراً وخرج به إلى (النخلة)[2] ومنها إلى صفين، وجهز معاوية جيشاً آخر من أهل الشام وأجنادها وخرج بهم إلى ناحية صفين.

معركة صفين مدلولات النصوص

وتكاد تفاصيل المعركة وما سبقها أو لحقها معروفة في جملة الروايات التاريخية، أمامفاصلها التي تعنينا هنا تتلخص في موقفين:

الأول: مقتل عمار بن ياسر وعلاقته بعدالة المعركة.

الثاني: قضية التحكيم وما ترتب عليها.

أما الموقف الأول وعلاقته بالمعركة، أن الشاهد على بغي الفئة الأخرى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**ويح عمار تقتله الفئة الباغية**»[3]، وفي رواية أخرى «**تقتلك الفئة الباغية**»[4]، وكان لمقتل عمار أثر على الفئتين، ففئة الإمام علي كانوا يتبعونه حيث سار وجعلوه علما وشارة يتبين بها الحق من الباطل، وازداد حماسهم في المعركة، وقد ورد أن خزيمة بن ثابت حضر صفّين وكان كافاً سلاحه فلما رأى مقتل عمار سلّ سيفه وقاتل أهل الشام، وذلك لأنه سمع حديث رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن عمار: «**تقتله الفئة الباغية**»[5]، واستمر في القتال حتى قتل، وكان لمقتل

---

(١) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ().

(٢) موقع قرب الكوفة على جهة الشام.

(٣) صحيح البخاري (٤٤٧) (٢٨١٢).

(٤) صحيح مسلم (٢٩١٦).

(٥) هذا الحديث من أدق الأحاديث الاستباقية الفاصلة في الحكم على الحوادث

عمار أثر عظيم على جند الشـام بسبب هذا الحديث ، بل ذكر بعض المؤرخين أن استشهاد عمار كان دافعاً للسعي في إنهاء الحرب.[1]

ومواقـف الرجـال ، وهـي دليـل قاطـع علـى أهميـة أحاديث النبـوة الخاصـة بفقه التحـولات وفقـه الفتـن والمتغيرات ، وهي العلاج الحاسـم في ترجيـح كفة الحق بصـرف النظر عن اجتهاد الجانب الآخر وعدالة قضيته ومطلبه وسـلامة مقصده أو عدم سلامته ، كما أنّه اختبار حقيقي للبواطن والتمييز بين فقه العدالة والصدق وفقه المغالطة والمبرارت ، ففي رواية صحيحة جاء رجلان عند (معاوية) يختصمان في رأس عمـار يقـول كل واحد منهمـا : أنا قتلته ، فقال عبد اللّٰه بـن عمرو بن العاص ، ليطـب به أحدكم نفسـا لصاحبه فإني سـمعت رسـول اللّٰه ﷺ يقـول : «**تقتله الفئة الباغية**» قال معاوية فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شـكاني إلى رسـول اللّٰه ﷺ فقال: «**أطع أباك ما دام حيّا ولا تعصه** » ، فأنا معكم ولسـت أقاتل. مسـند أحمد (٦٥٣٨) راجع سـيرة أميـر المؤمنين / الصلابي ، والمعلوم أن فقـه المغالطة والمبرارت فقه مبنيّ على تحريف المعاني في مقتضى النصوص ومواضعها ، وقلب ثمرات ونتائج الاسـتدلال لمصلحة الجانب الآخر ، فقد ورد في رواية صحيحة أنّ عمرو بن حزم دخـل علـى عمرو بن العاص فقال: قتل عمار وقد قال فيه رسـول اللّٰه ﷺ : «**تقتله الفئـة الباغيـة**» فقـام عمرو بن العاص فزعـاً يرجّع حتى دخل علـى معاوية ، فقال له معاوية: ما شأنك؟ فقال: قتل عمار ، قال معاوية: فماذا؟ قال عمرو : سمعت رسول اللّٰـه ﷺ يقـول : «**تقتلـه الفئة الباغيـة**»، فقال معاويـة: دَحَضْتَ في بولـك أَوَ نَحْنُ قتلنـاه؟! إنمـا قتلـه علي وأصحابه وجـاؤا به حتى ألقـوه بين رماحنـا ، أو قال : بين سيوفنا)اهـ مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٤) بسند صحيح.

(١) سيرة الإمام علي / الصلابي ص (٤٧٥) ، ومما يؤكد عدالة موقف الإمام علي على قوله ﷺ : في قاتل عمار : «**قاتل عمار وسالبه في النار**» المستدرك على الصحيحين (٥٦٦١) ، والمعلـوم أن قاتلـه مـن جند الشـام المطلق عليهم عمـوم لفظ الحديث (بالفئة الباغية) اهـ بتصرف من سيرة الإمام علي.

آثار ونتائج معركة صفين وانعكاساتها قراءة نصية تحليلية

آثار ونتائج معركة صفين وانعكاساتها قراءة نصية تحليلية

ثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»[1]، وقد جاء الوصف النبوي للمعركة بما يلي:

تحليل النص النبوي عن معركة صفين

١- وصف المخالفين بالمارقة

٢- حصول هذه الحالة عند فُرقة واختلاف.

٣- شهادة النبي لكلا الفريقين بأنهما من المسلمين قبل وخلال وبعد المعركة.

٤- أن الفرقتين متعلقتان بالحق لا خارجا عنه، ولكن الفتنة أصابت أحداهما.

٥- عدالة موقف الفئة المقاتلة إلى جانب الإمام علي وهي أولى الطائفتين بالحق.

الإفراط والتفريط لا علاقة لهما بالنصوص النبوية

وبهذا التفصيل استقامت القراءة التاريخية للحق المختلف حوله لدى العلماء، وانتفى خوض الخائضين عن دائرة الحق إلى الإفراط أو التفريط.

وكلا الدائرتين (الإفراط والتفريط) لا علاقة لها بالنصّ النبوي، وإنما علاقتها بالأحداث والنظر العقلاني في ملابساتها، ولنا أن نقرأ مقالات الأئمة الوارثين في هذه المسألة باعتبارها نصوص أبوية معتمدة قائمة على العدالة المسنده والوراثة الشرعية المؤكدة.

أهمية النصوص النبوية والأبوية

فهذا عمر بن عبد العزيز الخليفة السادس يجيب على من سأله عن القتال الذي حصل بين الصحابة فقال: (تلك دماء طهّر اللّه يدي منها أفلا أطهر منها لساني، مثل أصحاب رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها)، قال الإمام البيهقي معلقاً على مقالة عمر بن عبد العزيز: هذا حسن جميل لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه عين الصواب، وسئل الحسن البصري رحمه اللّه عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا).

---

(١) صحيح مسلم (١٠٦٤).

وسئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة فأجاب : أقول ما قاله اللّه : ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه : ٥٢] [١] ، ومثل هذه المقولات الأبوية شاهدة لفريق من أهل الدين والعلم صانوا ألسنتهم وقلوبهم عما لا حاجة لهم به في الانحياز ضد أحد من أهل الاختلاف ، وهم بهذا قد نجوا وأنجوا كما سبق ذكره من توقف جملة من الصحابة وأهل بدر بعد فتنة مقتل عثمان من الدخول في أمر الفتنة وملابساتها وهذا مخرج سليم لكل ذي قلب سليم ، وأما من رغب النظر في الأمر من حيث يجب معرفته فما عليه إلا النظر في نصوص المتغيرات والتعمق في مدلولاتها دون الحاجة للنظر في تعليل المؤرخين والمؤلفين المتنازعين بين سلامة هذا وإدانة الآخر ، فالسلامة والإدانة مقرونة بما قاله من لا ينطق عن الهوى ﷺ في الحالتين ، وأما اللجاج والجدل وبسط الألسنة والأقلام بكل ما يروى وبكل ما يقال فأمر يفقد الحقيقة شرفها وتفردها المشروع مقدماً التحكيم وآثارها ، وكفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع.

وآلت المسألة في معركة صفين إلى ما عرف بالتحكيم بين الفريقين ، وقد اختلطت الروايات المعبرة عن الحقيقة في هذه المسألة ، وكثر لجاج المؤرخين في وصف أسباب التحكيم ومجرياته ، وهناك رواية ذكرتها كتب السير منسوبة للإمام أحمد بن حنبل عن طريق حبيب بن أبي ثابت تروي قصة التحكيم والصلح برواية لا يتهم أصحابها وليس في روايتها أو رواتها علة جاء فيها : (كنا بصفين

---

(١) سيرة الإمام علي بن أبي طالب (د/ الصلابي ص ٥٠٢ ، ٥١٢) ، وجاء في بعض الروايات أن مجموعة ممن عرفوا بالقرّاء من تلامذة عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه من أهل الشام ، لم ينضموا إلى الإمام علي ، ولا إلى معاوية في معركة صفين ، وقالوا: إنا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم ، ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم ، فمن رأيناه أراد ما لا يحلّ له أو بدا منه بغي كنا عليه فقال علي: مرحباً أهلاً ، هذا هو الفقه في الدين والعلم بالسنة: من لم يرض بهذا فهو جائر خائن. اهـ سيرة الإمام علي (د/ الصلابي ص ٤٧٠).

فلما استحر القتل بأهل الشام قال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل إلى علي بالمصحف فادعه إلى كتاب اللّه، فإنه لا يأبى عليك، فجاء به رجلٌ فقال: بيننا وبينكم كتاب اللّه، فقال علي: نعم أنا أولى بذلك، فقام القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج بأسيافهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين ألا نمشي إلى هؤلاء حتى يحكم اللّه بيننا وبينهم؟ فقام سهل بن حنيف الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا[1]، وذلك في الصلح الذي بين رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبين المشركين، ثم حدثهم عن معارضة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للصلح يوم الحديبية ونزل سورة الفتح على رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقال علي: أيها الناس إن هذا فتح فقبل القضية ورجع ورجع الناس)[2].

وعلى هذه الرواية يعلم أن الإمام علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل وقف القتال في صفين، ورضي التحكيم وعدّ ذلك فتحاً ورجع إلى الكوفة، وعلق على أمر التحكيم صلاح الأمر بين الفريقين.

سلام الإمام علي على قتلى صفين

وورد أن أمير المؤمنين مرّ على مقابر قتلى صفين من الفريقين عند عودته فقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا سلف فارط، ونحن لكم تبع، وبكم عما قليل لاحقون، اللّهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، الحمد للّه الذي جعل الأرض كفاتا، أحياءً وأمواتا، الحمد اللّه الذي خلقكم وعليها يحشركم، ومنها يبعثكم، وطوبى لمن ذكر المعاد، وأعدّ للحساب، وقنع بالكفاء)[3].

سنن المواقف مدرسة الأخلاق الفاصلة في مراحل الفتن المضلة

وهذه الكلمات والدعاء من لسان الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دلالة على ارتباط مواقفه بمراقبة مولاه، وما يعلمه من واجب الدعاء في السراء والضراء، وهي – أي المراقبة – للّه تعالى جزء من سنة المواقف التي يتحلّى بها الخلفاء الراشدون المهديون، ممن قال فيهم المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**

(١) مسند أحمد (١٥٩٧٥).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٩١٤).

(٣) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص (٢/ ٦٥٧).

المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ» ، وهذه السنة المشار إليها هي ملحظ الاهتداء والاقتداء في مراحل الفتن ومفاصل الاختلاف الموصوفة في الحديث : **«فإن من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيرا»**.

وقد كانت هذه السنن مدرسة الأخلاق الفاصلة بين سلوك الفريقين ، فقد ورد أن الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم جند الشام ولعنهما. فأرسل إليهما أن كفّا عما يبلغني عنكما ، فأتياه فقالا : يا أمير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى وربّ الكعبة المسدّنة ، قالا: فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين ، ولكن قولوا: اللّهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، وأبعدهم عن ضلالتهم حتى يَعرِف الحق من جهله ويرعوي عن الغيّ من لجج به[1].

(١) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص (٢/ ٦٥٨)..

قصة التحكيم وآثارها

قصة التحكيم وآثارها

تمّ الاتفاق بين الفريقين على التحكيم بعد انتهاء الحرب في صفين فأوكل الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأمر في التحكيم بعد التشاور مع أتباعه إلى أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وكان محايداً لم يشترك في المعركة بين الفريقين ، وأوكل جند الشام أمر التحكيم إلى عمرو بن العاص وكان أحد قادة المعركة.

ظهور الخوارج وموقف الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منهم .

وأول فتنة ترتب عليها قبول التحكيم خروج قسم من جيش الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورأوا أن التحكيم ذنب يوجب الكفر ، وهم الخوارج(١).

أما الفريق الثاني من جيش الإمام علي فهم الذين قبلوا التحكيم وارتضوه كحدّ بين الفريقين وحقنا للدماء بين المسلمين.

ووقع الوثيقة كل من الإمام علي ، ومعاوية بن أبي سفيان وشهد عليها كل من الإمام الحسن والحسين ، وعبد اللّٰه بن عباس ، وعبد اللّٰه بن جعفر بن أبي طالب ، والأشعث بن قيس الكندي ، والأشتر بن الحارث ، وسعيد بن قيس الهمداني ،

---

(١) والخوارج قوم أو أقوام أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن ظهورهم في هذه الأمة بدءًا من معركة هوزان التي اعترض فيها ذو الخويصرة التميمي على رسول اللّٰه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ومروراً بالذين خرجوا على الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد قضية التحكيم ومواقفهم المتشددة حتى معركة النهروان وإبادة الكثير منهم ، ثم قول الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن سمع أحد أتباعه يقول : الحمد للّٰه الذي خلصنا منهم ، أو قال: الحمد للّٰه الذي أبادهم وأراحنا منهم ، فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (لا والذي نفسي بيده ، إن فيهم لمن في أصلاب الرجال لم تحمله النساء بعد وليكونن آخرهم لصاصا حرادين) اهـ مسند عبد الرزاق (١٨٦٥٥) ، ونهاية بما تبقى من أتباع مدارسهم التي قال عنها من لا ينطق عن الهوى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : كلما قطع قرن نشأ غيره حتى يظهر في أعراضهم الدجال ، وهذا وعد نبوي استباقي ببقاء هذه الفتنة وتعدد صورها ونماذجها وأوعيتها في حياة الأمة الإسلامية مرحلةً بعد أخرى ، مما يلزمنا عمق النظر في الدلالات والمواقف التي جعلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علامة لهم ولمتدادهم ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ .

والحصين والطفيل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأبو سعيد بن ربيعة الأنصاري ، وعبد اللّٰه بن خباب بن الأرت ، وسهل بن حنيف ، وأبو بشر بن عمر الأنصاري ، وعوف بن الحارث بن عبد المطلب ، ويزيد بن عبد اللّٰه السلمي ، وعقبة بن عامر الجهني ، ورافع بن خديج الأنصاري ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، والنعمان بن عجلان الأنصاري ، وحجر بن عدي الكندي ، ويزيد بن حجية الكندي ، ومالك بن كعب الهمداني ، وربيعة بن شرحبيل ، والحارث بن مالك ، وحجر بن يزيد ، وعلبة بن حجيه ، وهؤلاء من جند الإمام علي.

أما جند أهل الشام فمنهم حبيب بن مسلمة الفهري ، وأبو الأعور السلمي ، وبسر بن أرطأة القرشي ، ومعاوية بن خديج الكندي ، والمخارق بن الحارث الزبيدي ، ومسلم بن عمرو السكسكي ، وعبيد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وحمزة بن مالك ، وسبيع بن يزيد بن أبجر العبسي ، ومسروق بن جبلة العكي ، وبسر بن يزيد الحميدي ، وعبد اللّٰه بن عامر القرشي ، وعتبة بن أبي سفيان ، ومحمد بن أبي سفيان ، ومحمد بن عمرو بن العاص ، وعمار بن الأحوص الكلبي ، ومسعدة بن عمرو العتبي ، والصباح بن جلهمة الحميري ، وعبد الرحمن بن ذي الكلاع ، وثمامةبن حوشب ، وعلقمة بن حكم.

وكتبت الوثيقة يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقين من صفر سنة ٣٧ هـ)[١] ، وتفرق جمع الفريقين بعد توقيع الاتفاقية وعاد كل منهما إلى مستقره وبلاده.

معالجة أمر الخوارج ومناظرتهم

واشتغل الإمام علي منذ رجوعه من صفين بأمر الخوارج الذين آذنوه بالحرب وقالوا: لا حكم إلا للّٰه ، وأرسل إليهم عبد اللّٰه بن عباس لمراجعتهم ومناظرتهم فقالوا له : نقمنا على علي ومن معه ثلاث : إحداهن أنه حكّم الرجال في أمر اللّٰه ، واللّٰه يقول : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[الأنعام : ٥٧] ، والثانية : قاتل ولم يسب ولم يغنم ، فإن كانوا كفارا حل سبيهم ، وإن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتلهم ، والثالثة محا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦٦٥) ، والبداية والنهاية (٧/ ٢٧٦ – ٢٧٧) ، وفي رواية أن أول الاجتماع كان في دوامة الجندل في شهر رمضان ٣٧ من الهجرة.

، فرد ابن عباس وقال : (أما قولكم: حكم الرجال في أمر اللّٰه فإني أقرأ عليكم من كتاب اللّٰه أن قد صيّر اللّٰه حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم فأمر اللّٰه تبارك وتعالى أن يحكموا فيه قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة : ٩٥] ، وفي المرأة وزوجها قال تعالى : ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾[النساء : ٣٥] .

وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم ، أفتسبون أمكم عائشة ، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم ؟

والثالثة : وأما محا نفسه من أمير المؤمنين فإن نبي اللّٰه ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي : «اكتب يا علي ما صالح عليه محمد رسول اللّٰه، قالوا: لو نعلم أنك رسول اللّٰه ما قاتلناك، فقال رسول اللّٰه ﷺ : امح يا علي ..اللّٰهم إنك تعلم أني رسول اللّٰه ، امح يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد اللّٰه ، واللّٰه لرسول اللّٰه خير من علي وقد محا نفسه ولم يكن محوه نفسه ذلك محا النبوة[1] .. فرجع بقول بن عباس ألفان منهم، وأبى سائرهم الرجوع فقاتلهم الإمام علي في معركة النهروان الشهيرة وذلك بعد أن تفرق الحكمان بعد صفيّن على غير رضى ، وأيس الإمام علي من رجوعهم إلى الحق وخاصة بعد أن كتب إليهم : (ارجعوا إلى ما كنتم عليه وسيروا بنا إلى قتال أهل الشام ، فردّوا عليه : حتى تشهد على نفسك بالكفر وتتوب...) فلما قرأ كتابهم أيس منهم وخرج لمقاتلتهم ، وسواء صحّت رواية طلبهم التوبة من الإمام علي أم لم تصحّ على ما ذكره بعض الرواة فإن مواقفهم وآراءهم أجمعت على تكفير علي رضي الله عنه وعلى تكفير عثمان رضي الله عنه من قبل..

الإمام علي رضي الله عنه يقاتلِ المارقين اعتماداً على النص

وقد أطلق عليهم الإمام علي صفة المارقين وقال : (أُمرت بقتال المارقين

---

(١) مسند أحمد (٣١٨٧) .

وهؤلاء المارقون ..)[١] ، وكان علامةَ مروقهم كما ورد في الحديث : (ذو الثديّة) ، وقد أمر الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أصحابه بالبحث عنه بعد انتهاء المعركة لأن وجوده في القتلى من الأدلة على عدالة الإمام علي وصواب فعله وقتاله ، وبعد جهد ومدة من البحث وجدت جثة ذو الثديين المخدج عند شفير النهر فقال الإمام علي لأصحابه أخرجوه فأخرجوه وكبر الإمام علي وقال صدق اللّٰه وبلغ رسوله ، وسجد سجود الشكر ، وكبّر الناس حين رأوا ذلك واستبشروا[٢].

آداب المعركة من واقع الخليفة الراشد

وأمر الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أصحابه بعد نهاية المعركة أن لا يتبعوا مدبرا أو يُذَفّفوا على جريح ، أو يمثلوا بقتيل ، ولم يقسم بين جنده إلا ما حمل عليه الخوارج في الحرب من السلاح والكراع فقط ، ولم يكفّر أحد منهم ، وقد سئل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أكفارٌ هُم؟ قال : من الكفر فروّا ، فقيل: منافقون؟ قال : المنافقون لا يذكرون اللّٰه إلا قليلا ، قيل: فمن هم؟ قال : قوم بغوا علينا فقاتلناهم ، وفي رواية : قوم بغوا علينا فنُصرنا عليهم ، وفي رواية : قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا [٣].

الفرق بين معركة صفين والجمل ومعركة النهروان

ومن مميزات ومواقف الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في معركة النهروان دون معركة الجمل وصفين أنه في قتاله للخوارج أظهر السرور والفرح بقتالهم .. قال العلماء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ : أنه قاتل الخوراج بنص رسول اللّٰه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ففرح بذلك ، ولم ينازعه أحد من الصحابة ، وأما القتال في الجمل وصفين فقد ظهر منه من كراهته والندم عليه ما ظهر.. نتيجة لما رأى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من اشتباك الأمر واشتباهه على جملة من أهل الحصانة والرأي من أصحاب رسول اللّٰه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وقد كان رضي الله تعالى عنه يقول وهو يمشي في السوق : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٤-١٠٥] أولئك هم الخوارج[٤].

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (٩٠٧) .

(٢) مسند أحمد (٦٧٢) .

(٣) أسمى المطالب سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص ٢/ ٧٣٧بتصرف.

(٤) «الكنز الثمين» للسيد محمد المحضار .

بداية النهاية

بداية النهاية للإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عانى الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما عاناه من الجهد والعناء لنصرة الحق والقيام بأمره، وكأني بمقولة رسول اللّٰه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ له يوم ذهب لقتل ذلك الرجل الذي تمثلت به الفتنة وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ له : «**أنت صاحبه إن أدركته**» ، ولكنه لم يدرك الرجل، ولم يتمكن من قطع دابر الفتنة لاستفحالها ، وهاهو بعد اختلاف الحكمين منصرفه من صفين ، وبعد فراغه من معركة الخوارج بالنهروان يخاطب أصحابه ويقول : (فيا عجباً واللّٰه يميت القلب ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن الحق ، فقبحاً لكم وترحا، حيث صرتم غرضاً يرمى ، يُغار عليكم ولا تُغيرون ، وتَغزَون ولا تغزُون ، ويُعص اللّٰه ورسوله وترضون ، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم هذه حمارة القيظ ، أمهلنا يسبخ عنا الحر ، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صيّارة القر ، أمهلنا يسبخ عنا البرد ، كل هذا فراراً من الحر والقر ، فإذا كنتم من الحر والقرّ تفرون ، فإذاأنتم واللّٰه من السيف أفر.

مخاطبة الإمام علي لأصحابه تحمل صفة المعاتبة

يا أشباه الرجال ولا رجال ، حلوم الأطفال ، وعقول ربات الحجال ، لوددت أني لم أراكم ولم أعرفكم ، معرفة واللّٰه جرت ندماً ، وأعقبت سدماً ، قاتلكم اللّٰه لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم صدري غيضا ، وجرعتموني نُغَبَ التهام أنفاسا ، وأفسدتم علي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب .. للّٰه أبوهم ، وهل أحد منهم أشد لها مراساً مني ، وأقدم فيها مقاماً لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أنذا قد ذرفت على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع)[1] .

إن هذه الخطبة للإمام علي تقرير حالة ومرحلة ، وكفى بهذا النصّ الأبوي استطلاعا لما دار ويدور .

فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد هذا العمر المديد والجهد الشديد يستشعر خذلان القوم لآماله

(١) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (٢/ ١٠٢٢).

ورغباته العادلة ، حتى اضطرّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سنة أربعين للهجرة أن يوافق لمعاوية بالشام ، على أن يكون العراق له ، ولا يدخل أحدهما على الآخر بغزو ولا غارة .. قال الطبري في تاريخه : (وفي سنة أربعين جرت بين علي ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات جرت بينهما يطول ذكرها على وضع الحرب بينهما ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام ، فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو.[1] .

الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يضع الخطوط العريضة لمواقف إبنه الحسن من بعده

وتلفت الإمام علي في وجوه القوم حوله فما رأى غير الخذلان والعصيان والخلود إلى الأرض واستتباع النفس والهوى والشيطان ، وكأني به يضع الخطوط العريضة لابنه الإمام الحسن كي يتخذ الموقف الأخير عند توليه الأمر من بعده بيسر ... فقد روي أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطب يوماً فقال : (اللّهمّ إني سئمتهم وسئموني ، ومللتهم وملوني فأرحني منهم وأرحهم مني ، فما يمنع أشقاهم أن يخضبها بدم ، ووضع يده على لحيته)[2]اهـ .

الإمام علي يتمنى النقلة عن الحياة

وفي رواية أخرى عن أبي صالح قال : (شهدت علياً وضع المصحف على رأسه حتى تقعقع الورق فقال : (اللّهم إني سألتهم ما فيه فمنعوني ، اللّهم إني قد مللتهم وملوني ، وأبغضتهم وأبغضوني ، وحملوني على غير أخلاقي ، فأبدلهم بي شراً مني ، وأبدلني بهم خيراً منهم)[3]اهـ ، وفي رواية : (فلم يلبث إلا ثلاثاً أو نحو ذلك حتى قتل رحمه اللّه) ، وقال الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سنح لي الليلة في منامي فقلت: يا رسول اللّه : ماذا لقيتُ من أمتك من الأود واللدد ، فقال: «ادعُ عليهم» قلت : اللّهم أبدلني بهم من هو خير منهم وأبدلهم من هو شر منيّ لهم)، قال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فخرج فضربه الرجل..[4].

وقد علم من الأحاديث الاستباقية أن أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان على علم بشهادته

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٤٠).
(٢) مصنف عبد الرزاق (١٨٦٧٠) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٤) .
(٤) الشريعة للآجري (١٥٩٨) .

، وكيفية قتله ، وكان الإمام علياً يتحدث بذلك متيقناً ، فقد روى أبو الأسود الدؤلي قوله : سـمعت علياً يقول : أتاني عبد اللّٰه بن سـلام وقد أدخلت رجلي في الغرز ، فقـال لـي : أين تريد؟ فقلت: العراق ، فقال: أما إنـك إن جئتها ليصيبنك بها ذباب السـيف ، فقال علي : وأيم اللّٰه لقد سـمعت رسـول اللّٰه ﷺ قبلك يقوله ، قال أبو الأسود: فعجبت منه وقلتُ : رجل محارب يحدث بمثل هذا عن نفسه[١].

وروي أيضـاً مثـل هذا قبل توليته الخلافة عند ما مـرض في (ينبع النخل) وعاده أبـو فضالـة الأنصـاري البدري رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ وقـال له الإمام علـي : (إني لسـت ميتاً في مرضـي هـذا ، أو من وجعي هذا إنه عهد إليّ النبي ﷺ أني لا أموت حتى تخضب هذه يعني لحيته من هذه يعني هامته)[٢]

وصية الإمام لأتباعه وأهل بيته

وعن عبد اللّٰه بن واسـع قال : سـمعت علياً يقول : (لتخضبن هذه من هذه، فما ينتظـر بي الأشـقى؟ قالوا : يا أمير المؤمنين فأخبرنا به نَبيـرُ عِترَتَه ، قال : إذن تاللّٰه تقتلـون بـي غيـر قاتلي ، قالوا : فاسـتخلف علينـا ، قال : لا ولكـن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول اللّٰه ﷺ)[٣] .

---

(١)تاريخ دمشق (٤٢/ ٥٤٥) .

(٢)دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤٣٨) .

(٣) مسـند أحمد (١٠٧٨) . وهذه إشارة واضحة من لسان الإمام علي رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ بعد الوصية بالحكم من بعد لأحد وترك الأمر شورى.

الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعلمه بفقه التحولات

ما كان علم فقه التحولات أو فقه علامات الساعة إلا ذرة من العلم الذي أحاط به الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، فقد كان الإمام باب مدينة العلم وما من علم من العلوم إلا وكان له فيه باع كبير، وقد أشار إلى ذلك ابنه الحسن عند وفاة أبيه الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إذ قام على المنبر وقال: فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون بعلم.

وقال سعيد بن المسيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما كان أحد بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أعلم من علي بن أبي طالب).

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول عن نفسه: أما إني فقأتُ عين الفتنة، وإني وايم الله لولا أن تتكلوا فتدعوا العمل لحدثتكم بما سبق على لسان نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم قال: سلوني، فإنكم لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا حدثتكم.

وقد ورد من كلامه في بعض خطبه قوله: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو أشاء لأخذتكم بخراب العرصات عرصة عرصة متى تخرب ومتى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة، وإن عندي من ذلك علماً جماً، وإن تسألوني تجدوني به عالماً لا أخطئُ به عاماً ولا دافئاً، ولقد استودعتُ علم القرون الأولى، وما هو كائن إلى يوم القيامة ..) اهـ.

ومما كان يعلم به قيام الأمر أي الحكم لمن ينازعه عليه وليس له ففي كتاب الفتن (ج٢/ ص٧٩) عن أبي سالم الجيشاني، قال سمعت عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالكوفة يقول: (إني أقاتل على حق ليقوم، ولن يقوم والأمر لهم)، قال: فقلت لأصحابي: ما المقام هاهنا، وقد أخبرنا أن الأمر ليس لهم فاستأذناه إلى مصر، فأَذِنَ لمن شاء منا، وأعطى كل رجل منا ألف درهم، وأقام معه طائفةٌ منا .اهـ. قال المحقق: إسناده حسن رقم (٣٠٠).

ومن علمه في هذا الصدد قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا يزال هؤلاء القوم آخذين بثبج هذا

الأمر ما لم يختلفوا بينهم، فإذا اختلفوا بينهم خرجت منهم فلم تعد إليهم إلى يوم القيامة ـ يعني بني أمية ـ . كتاب الفتن ص ١٢٤ رقم ٥١٢ إسناده حسن .

وفي الفتنة الرابعة يقول الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (جعلت في هذه الأمة خمس فتن ، فتن عامة ، ثم فتن خاصة ، ثم فتن عامة ، ثم فتن خاصة ، ثم الفتنة السوداء المظلمة التي يصير فيها الناس كالبهائم، ثم هدنة، ثم دعاة إلى الضلالة ، فإن بقي يومئذ خليفة فالزمه) اهـ .

وقال كرم الله وجهه : يَأْتي على النَّاسِ زَمَانٌ[1] لا يُقَرَّبُ فيه إلا الماحِلُ، ولا يُسْتَظْرَفُ فيه إلا الفَاجِرُ، ولا يُضَعَّفُ فيه إلا المُنصِفُ، يَعُدُّونَ الصَّدَقَةَ غُرْماً، وصِلَةَ الرَّحِم مَنَّاً، والعِبَادَةَ اسْتِطَالةً على النَّاسِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يكونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ النِّسَاءِ، وإِمَارَةِ الصِّبيانِ، وتَدْبِيرِ الخِصْيانِ.

وقال كرم الله وجهه: يأتي على النَّاسِ زَمَانٌ لا يَبْقَى فِيهِم مِن القُرآنِ إلا رَسْمُهُ، ومِن الإِسْلامِ إلا اسْمُهُ، مَسَاجِدُهُم يومَئِذٍ عامِرَةٌ مِن البِنَاءِ، خَرَابٌ مِن الهُدَى،

---

(١) روى أحمد في «مسنده» من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: (اللهم لا يدركني زمان ، أو لا تدركوا زمانا ، لا يتبع فيه العليم ولا يستحي فيه من الحليم ، قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب ، هكذا والله حالهم فهم أعاجم القلوب والميل والهوى ، ليس لهم من الإسلام إلا الاسم الذي سماهم به آباؤهم ، ولا من العروبة إلا اللسان).

وقال الديلمي في «مسند الفردوس»: أخبرنا أبي أخبرنا ابن النقور أخبرنا أبو سعد الإسماعيلي ثنا أبوبكر محمد بن أحمد بن حفص الدينوري ثنا عبدالله ابن محمد بن حمدان الدينوري ثنا إسماعيل بن توبة الثقفي ثنا خلف بن خليفة عن أبي هاشم الروماني عن زاذان عن سلمان عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (يأتي على الناس زمان لا يتبع فيه العالم، ولا يستحي فيه من الحليم ، ولا يوقر فيه الكبير ، ولا يرحم فيه الصغير ، يقتل بعضهم بعضا على الدنيا، قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب ، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ، يمشي الصالح فيهم مستخفيا ، أولئك شرار خلق الله ، ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة).

سُـكَّانُها وعُمَّارُها شَرُّ أهلِ الأَرْضِ، مِنْهُم تَخْرُجُ الفِتْنَـةُ وإِلَيْهِم تَأْوِي الخَطِيئَةُ، يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا، ويَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْها إِلَيْها، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: فَبِي حَلَفْتُ لأَبْعَثَنَّ على أُولَئِكَ فِتْنَةً تَتْرُكُ الحَلِيمَ فيها حَيرَانَ، وقَدْ فَعَلَ، ونَحْنَ نَسْتَقِيلُ اللهَ عَثْرَةَ الغَفْلَةِ.

وقالَ كرم الله وجهه : يَأْتِي على النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ، يَعُضُّ المُوسِرُ فيه على ما في يَدَيهِ ولَمْ يُؤْمَرْ بذَلِكَ، قالَ الله سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾ تَنْهَدُ فيهِ الأَشْرَارُ وتُسْتَذَلُّ الأَخْيارُ، ويُبَايِعُ المُضْطَرُّونَ، وقَدْ نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عن بَيْعِ المُضْطَرِّينَ.

وقـالَ كـرم الله وجهه : يَظْهَرُ في آخِرِ الزَّمانِ واقـترابِ القِيَامَةِ -وَهُوَ شَرُّ الأَزْمِنَةِ- نِسْـوَةٌ مُتَبَرِّجَـاتٌ كَاشِـفَاتٌ، عَارِيَاتٌ مِـن الدِّينِ، دَاخِـلاتٌ في الفِتَـنِ، مَائِلاتٌ إلى الشَّهواتِ، مُسْرِعَاتٌ إلى اللَّذَّاتِ، مُسْتَحِلاَّتٌ للمُحرَّماتِ، في جَهَنَّمَ خَالِدَاتٌ.

وقـالَ كرم الله وجهـه : يأتي على النَّاسِ زَمـانٌ يُقْتَلُ فيه العُلَماءُ كـما تُقْتَلُ الكِلابُ، فَيَالَيْتَ العُلَماءَ في ذَلِكَ الزَّمَانِ تَحَامَقُوا.

وقـالَ كـرم الله وجهه : يأتي عـلى النَّاسِ زَمَانٌ هَمُّهُـم بُطُونُهُم، وشَرَفُهُـم مَتَاعُهُم، وقِبْلَتُهُم نِسَاؤُهُم، ودِينُهم دَرَاهِمُهُم ودَنانِيرُهُم، أُولَئِكَ شَرُّ الخَلْقِ، لا خَلاقَ لهم عِنْدَ الله.

المَهْدِيُّ المُنْتَظَرُ

قالَ كرم الله وجهه : إذا نَادَى مُنادٍ مِن السَّماءِ: إنَّ الحَقَّ في آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ المَهْدِيُّ على أَفْواهِ النَّاسِ، ويُشْرَبُونَ حُبَّه، ولا يَكُونُ لهم ذِكْرٌ غَيْرُهُ.

وقالَ كرم الله وجهه : حِينَ وَلَجَ هو وعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ البَيْتَ، فقالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : والله ما أَدْرِي! أَأَدَعُ خَزَائِنَ البَيتِ وما فيهِ مِن السِّـلاحِ والأَمْوالِ أو أُقَسِّـمُهُ في سَبيلِ الله؟ فقـالَ له عَلِيٌّ كرم الله وجهه : اِمْضِ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَلَسْـتَ بِصَاحِبِهِ، إنَّما صَاحِبُهُ مِنَّا شَابٌّ مِن قُرَيشٍ، يُقَسِّمُهُ في سَبيلِ الله في آخِرِ الزَّمَانِ.

اقْتِرَابُ السَّاعَةِ

قالَ كرم الله وجهه : مِن اقْتِرَابِ السَّـاعَةِ: إذا كَثُرَ خُطَبَاءُ مَنَابِرُكُم، ورَكَنَ عُلَماؤُكُم إلى وُلاتِكُم، فأَحَلُّوا لهم الحَرَامَ، وحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الحَلالَ، فَأَفْتَوهُم بِما يَشْتَهُونَ.

وقالَ كرم الله وجهه : مِن اقْتِرَابِ السَّـاعَةِ: إذا تَعَلَّمَ عُلَماؤُكُم لِيَجْلِبُوا بِهِ دَنَانِيرَكُم ودَرَاهِمَكُم، واتَّخَذْتُمُ القُرآنَ تِجَارَةً.

وقـالَ كـرم الله وجهه : مِـن اقْتِرَابِ السَّـاعَةِ: حَيفُ الأَئِمَّـةِ، وتَصْدِيـقٌ بِالنُّجُومِ، وتَكْذِيبٌ بِالقَدَرِ.

وقـالَ كـرم الله وجهه : مِن اقْـتِرَابِ السَّـاعَةِ: إذا رأيتُـمُ النَّاسَ أَضَاعُـوا الصَّلاةَ، وأَضَاعُوا الأَمَانَةَ، واسْـتَحَلُّوا الكَبَائِرَ، وأَكَلُوا الرِّبَا، وأَكَلُوا الرِّشَـا، وشَـيَّدُوا البِناءَ، واتَّبَعُوا الهَوَى، وبَاعُوا الدِّينَ بالدُّنْيا، واتَّخَذُوا القُرآنَ مَزَامِيرَ، واتَّخَذُوا جُلُودَ السِّـباعِ صِفافاً، والمَسَـاجِدَ طُرُقـاً، والحَرِيرَ لِباسـاً، وأَكْثَـرُوا الجَوْرَ، وفَشَـا الزِّنَـا، وتَهَاوَنُوا بِالطَّـلاقِ، وائْتُمِنَ الخَائِنُ، وَخُـوِّنَ الأَمِينُ، وصارَ المَطَرُ قَيظاً، والوَلَـدُ غَيْظاً، وأُمَرَاءُ فَجَـرَةٌ، وَوُزَرَاءُ كَذَبَـةٌ، وأُمناءُ خَونَـةٌ، وعُرَفَاءُ ظَلَمَـةٌ، وقَلَّتِ العُلَمَاءُ، وكَثُـرَ القُرَّاءُ، وَقَلَّتِ الفُقَهاءُ، وحُلِّيَتِ المَصَاحِفُ، وزُخْرِفَتِ المَسَـاجِدُ، وطُوِّلَتِ المَنَابِرُ، وفَسَـدَتِ القُلُـوبُ، واتَّخَـذُوا القَينَـاتِ، واسْـتُحِلَّتِ المَعَـازِفُ، وشُرِبَـتِ الخُمُـورُ، وعُطِّلَـتِ الحُدُودُ، ونَقَصَتِ الشُّـهُورُ، ونُقِضَتِ المَوَاثِيقُ، وشَـارَكَتِ المَـرْأَةُ زَوْجَها في التِّجَارَةِ، ورَكِبَ النِّسَـاءُ البَرَاذِينَ، وتَشَـبَّهَتِ النِّسَـاءُ بِالرِّجَالِ والرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ، وَحُلِفَ بِغَيرِ اللهِ، وشَهِدَ الرَّجُلُ مِن غَيرِ أَنْ يُسْتَشْهَدَ، وكَانَتِ الزَّكَاةُ مَغْرَماً والأَمَانَةُ مَغْنَماً، وأَطَاعَ الرَّجُـلُ امْرَأَتَهُ وَعقَّ أُمَّهُ، وقَرَّبَ صَدِيقَهُ وأَقْصَى أَبَـاهُ، وصَارَتِ الإِمَارَاتُ مَوَارِيثَ، وَسـبَّ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَـا، وأُكْرِمَ الرَّجُلُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ، وكَثُـرتْ الشُّرَطُ، وَصَعَدَتِ الجُهَّالُ المَنَابِرَ، ولَبِسَ الرِّجَالُ التِّيجَانَ، وضُيِّقَتِ الطُّرُقَاتُ، وشُـيِّدَ البِنَاءُ، واسْـتَغْنَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ، والنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ، وضَيَّعْتُم حَقَّ اللهِ في أَمْوالِكُم، وصَارَتْ أَمْوالُكُم عنـدَ شِرَارِكُـم، وقَطَعْتُـم أَرْحَامَكُـم، وشَرِبْتُم الخُمُـورَ في نادِيكُم، ولَعِبْتُـم بالمَيْسِرِ، وضَرَبْتُـم بالكَـبَرِ والمَعْزَفَةِ والمَزَامِـيرِ، ومَنَعْتُم مَحَاوِيجَكُم زَكَاتَكُـم ورَأَيْتُمُوها مَغْرماً، وَقُتِلَ البَرِيءُ لِيَغِيظَ العَامَّةَ، واخْتَلَفَتْ أَهْواؤُكُم، وصارَ العَطَاءُ في العَبِيدِ والسِّـقَاطِ، وَطُفِّفَتِ المَكَايِيلُ والمَوَازِينُ، وَوَلِيتْ أُمُورَكُم السُّفَهاءُ.

والقـارئ بعمـق وطـول ملاحظة لحيـاة الإمام علـي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يجد كافـة تصرفاته ومواقفه قائمة على الالتزام بالنصوص في حربه وسـلمه ، ونصوص فقه علامات

الساعة هي أصل منهجه الشرعي في معالجة الأمور السياسية ومنهجه الفكري ..، ولم يتصرف يوماً بدافع طبعه ورغبته الذاتية لا في موقع الحكم ولا في موقع قرار العلم ، بل يكاد أن يتميز عن كثير من أصحاب رسول الله ﷺ في هذه المسألة ما سوى مواقف تعد بأصابع الكف الواحدة اضطر أن يتخذ فيها موقفاً ذاتياً بدافع الغيرة كما هي في عدم محوه اسم النبي ﷺ من وثيقة صلح الحديبية حتى أخذ النبي الصحيفة ومحا اسمه بيده .

والقارئ في مجموع سيرة الإمام علي ومناقبه سيرى الدلالات والمواقف الخاصة بفقه التحولات والعلم بعلامات الساعة ومستقبل الزمان بادية واضحة كل الوضوح ..

حتى إن الباحث (جوزأونيل) في كتابه القصة الحقيقة للهندسة الذرية أشار إلى الإمام علي وثاقب نظره واطلاعه العلمي على مستجدات علوم آخر الزمان فقال: (إن أحد النقط المتلألأة في القرون الوسطى تأتي من العالم الإسلامي حيث نجد ما سطره قلم علي أبو الحسن صهر محمد - ويعني به سيدنا علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أبا الحسن والحسين يقول : (إذا فلقتَ الذرة أي ذرة تجد في قلبها شمساً) وإن هذا يدل على بصيرته الصافية قد استطاعت أن تلمح حقيقة النظام الشمسي الحديث في الذرة.

إذن فمجمل القول أن اطلاع الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على دقائق هذا العلم المعروف بعلم علامات الساعة وعلم المتغيرات وعلم فقه التحولات كان بمثابة البوصلة التي يتحرك من خلالها ويحرك سفينة الحكم والعلم سر مجريات الفتن وتقلبات المراحل ملتزماً (منهج التوازن الوسطي المشروع) لا مجاملا ولا جبانا ولا نكوصا عن الحق ونصرته ..وظل هذا المنهج عين السلوك لأبنائه وأسرته بالخصوص وكل منهم أخذ منه بمقدار اجتهاده فيما قدر له وخلقه الله من أجله ..

وهذا ما يحتاج منا إلى إعادة دراسة هذه المواقف وعزلها عن مواقف المحبين وعامة المتكلمين عن آل الكساء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم .

فالتعليـلات المطروحـة في سـاحة المحبين خرجت عن التـوازن إلى الإفراط، والتعليـلات المطروحـة في سـاحة المبغضيـن والبغاة قصـرت عن التـوازن إلى التفريـط، المفضـي إلـى الوقـوع في المحـذور، وقد وقعـوا فيه .. وصـار كل من الفريقين يدافع عن موقفه لا عن موقف آل البيت، حتى بلغ الأمر مبلغه إلى ما نراه ونسمعه في عصرنا من تجييش كل فريق منهم ضد الآخر إلى اليوم وإلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا ..

إن قـراءة المحبين للإمـام علي ومنهج الإمام علي والراغبيـن في الأخذ بمبادئه وأسـلوبه فـي ريـادة الحكم والعلـم يجب عليهـم أن ينظـروا إلى مواقفـه بمنظار سلوكه وعلمه وحكمه .. وهذا هو عين المحبة ، وأما أن تكون المحبة للإمام علي ولمنهجه وسلوكه تطبيقا عكسـياً يبرز طباع المفرطين وطموحاتهم وانفعالاتهم ، وتصبـح الأمة بهذا الطباع عرضـة للنبز والهمز والتكفير واللعن والتربص وسـوء تعليل المواقف والتصورات فهذا أمر قد كلف آل البيت أنفسـهم مدفوعات كبيرة وخطيرة ، ولعل أكثرها خطرا دفعهم إلى أن يكونوا سـفن غرق الذم والدم وليسوا سفن نجاة .. وللأسف .

فهل من مستبصر ..

الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في محراب العبودية الخالصة

من معاني (الصديق الأكبر) بلوغ الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى أعلى مراتب الصديقية الكبرى وهو بلا مراء جدير بها وأهلها ، وقد عبر عنها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في بعض كلامه، كقوله : «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا» ، فاليقين الكامل قد استوعب شروطه وعرف خباياه ، وهو عين مدلول هذا العلم فيما يعرفونه بحق اليقين، وها هو يناجي ربه في بعض أدعيته فيقول في دعاء العِزة:

«ربي أوقفني موقف العز والكمال والبهجة والجلال حتى لا أجد فيّ ذرة ولا دقيقة إلا وقد غشاها من عز عزك ما يمنعها عن الذل لغيرك، حتى أشاهدُ ذلّ من سواي لعزتي بك، مؤيّداً برقيقة من الرعب يخضع لها كل شيطان مريد وجبار عنيد ، وأبق عليّ ذلّ العبودية في العزة بقاءً يبسطُ لسان الاعتراف ، ويقبض لسان الدعوى إنك أنت العزيز الجبار المتكبر القهار، وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيرا، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» .

وفي مناجاة أخرى يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «ربِّ لا تكلني إلى أحد ، ولا تُحْوِجْني إلى أحد، وَأَغْنِنِي عن كل أحد، يا من إليه المستند وعليه المعتمد، وهو الواحد الفرد الصمد لا شريك له ولا ولد ، خذ بيديَّ من الضلال إلى الرشد ، ونجِّني من كل ضيق ونكد» .

وله أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دعاء يعرف بدعاء الفرج وهو : «يا كهيعص يا نور يا قدوس يا حي يا الله يا رحمن (ثلاثاً) اغفر لي الذنوب التي تحل النقم ، واغفر لي الذنوب التي تغير النعم ، واغفر لي الذنوب التي تورث الندم ، واغفر لي الذنوب التي تحبس القِسم ، واغفر الذنوب التي تهتك العصم ، واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء ، واغفر لي الذنوب التي تعجل الفناء، واغفر لي الذنوب التي تُدِيلُ الأعداء ، واغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء، واغفر لي

الذنوب التي ترد الدعاء ، واغفر الذنوب التي تمسك غيث السماء ، واغفر لي الذنوب التي تُظْلِمُ الهواء ، واغفر لي الذنوب التي تكشف الغطاء»[1].

وله أيضاً دعاء يسمى دعاء المعراج لكشف الشدائد والنوائب وهو : «اللهم إني أسألك يا من أقر له بالعبودية كل معبود ، يا من يحمده كل محمود ، يا من يفزع إليه كل مجهود ، يا من يطلب منه كل مقصود ، يا من سائله من فضله غير مردود ، يا من بابه لِسُؤَّالِهِ غير مسدود ، يا من هو غير محصور ولا محدود ، يا من عطاؤه غير ممنون ولا منكود ، يا من هو لمن دَعَاهُ دائماً مقصود ، يا من رجاء عباده بحبله مشدود ، يا من ليس له شبيه ولا مثال موجود ، يا من ليس له والد وليس بمولود ، يا من ليس يوصف بقيام ولا بقعود ولا حركة ولا جمود ، يا الله يا رحمن يا رحيم يا ودود يا رحيم الشيخ الكبير يعقوب ، يا غافر ذنب داود ، يا كاشف ضر أيوب ، يا منجي إبراهيم من نار النمرود ، يا من ليس له شريك ولا معه أحد مقصود ، يا من لا يخلف الوعد ويعفو عن الموعود ، يا من بره ورزقه للعاصين ممدود ، يا من هو بر حليم ونعم المقصود ، يا من هو ملجأ كل ملهوف ومطرود ، يا من أذعن له جميع خلقه بالسجود ، يا من ليس عن باب جوده أحد مطرود ، يا من ليس عن باب كرمه سائل مفقود ، يا من لا يحيف في حكمه ويحلم عن الظالم الجحود ، ارحم عبداً ظالماً مخطئاً لم يوف بالعهود ، إنك فعال لما تريد ، وأنت المقصود .

يا الله (ثلاثاً) يا رب (ثلاثاً) يا رحمن (ثلاثاً) يا رحيم (ثلاثاً) يا ودود ارحمني برحمتك يا أرحم الراحمين يا رب يا معبود .

اللهم إني أسألك بحرمة هذا الدعاء وعظمته عندك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأن تغفر لي ولوالدي وللمسلمين أجمعين»، ثم يسألُ اللهَ تعالى حاجتَهُ فإنها تُقضَى بإذنِ الله.

وينسب إليه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دعاء آخر وهو : «اللهم ضمناك أنفسنا وأموالنا وأولادنا وأهلينا وذوي أرحامنا ومن أحاطت به شفقة قلوبنا وجدرات بيوتنا ومن معنا وما معنا ، وكل ما أنعمت به علينا ، فكن لنا ولهم حافظاً يا خير مستودع في

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الفرج (٦٨) والهندي في كنز العمال (٤٩٩٩).

الدين والدنيا والآخرة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم في كل لحظة أبداً عدد نعم الله وإفضاله».

ولـه رضي الله عنـه صيغة للصلاة النبوية مأثورة وهي هـذه: صلوات الله وملائكتِهِ وأنبيائِـه ورسـلِه وجميعِ خلقِـه على محمد وآلِ محمـد وعليه وعليهم السـلام ورحمة الله وبركاته[1] .

ومنها دعاء السفر ، وهو مجرَّبٌ للحفظ في السفرِ للمسافر وما معه ، وهو هذا :

١. سورة الفاتحة (ثلاثاً) . اللهم سلِّمْنِي وَسَلِّمْ ما معي واحفَظْنِي واحفظ ما معي وبلِّغْنِي وبَلِّغْ ما معي (ثلاثاً) .
٢. ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ (ثَلَاثاً) . اللهم سلِّمْنِي وَسَلِّمْ ما معي واحفَظْنِي واحفظ ما معي وبلِّغْنِي وبَلِّغْ ما معي (ثلاثاً) .
٣. آيَةُ الكُرْسِي (ثَلَاثاً) . اللهم سلِّمْنِي وَسَلِّمْ ما معي واحفَظْنِي واحفظ ما معي وبلِّغْنِي وبَلِّغْ ما معي (ثلاثاً) .
٤. الإِخْلَاص (ثَلَاثاً) . اللهم سـلِّمْنِي وَسَلِّمْ ما معي واحفَظْنِي واحفظ ما معي وبلِّغْنِي وبَلِّغْ ما معي (ثلاثاً) .
٥. ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ .

أليس هو الإمام العابد الزاهد المتململ في صلاة ليله تململ السليم ، ورد أنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ليلة صفين كان يصلي من ليله ويقول: «يا دنيا غري غيري لقد طلقتك ثلاثاً».

وكان يلـح على أتباعه وأشـياعه أن ينبذوا لغلو والاندفـاع في المحبة والولاء فهـا هـو يقـول : «لا تتجاوزوا بنـا العبودية ، ثم قولـوا فينا ما شـئتم ، وإياكم والغلو كغلوا النصارى فإني بريئ من الغالين» .

وقـال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : «إياكم والغلو فينا، قولوا : إنا مربوبون ، واعتقدوا في فضلنا ما شئتم» .

وقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : «هلك فيَّ رجلان .. محب غال ، ومبغض قال».

---

(١) الأدعية التالية من كتاب ربيع الأسرار ، جمع قسم التحقيق بدار الأصول..

الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والاعتبار بالآخرة

قالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الإكثار من ذكر الموت:
أَكْثِـرُوا ذِكْـرَ المَوتِ، ويَومَ خُرُوجِكُـم مِن القُبُورِ، وقِيامِكُم بـينَ يَدَي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ تهُونُ عَلَيْكُم المَصائِبُ.

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَن أَكْثَرَ مِن ذِكْرِ المَوتِ رَضِيَ مِن الدُّنيا باليَسِيرِ.

وقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أيُّها النَّاسُ، اتَّقوا اللهَ الَّذِي إنْ قُلْتُم سَمِعَ، وإنْ أَضْمَرْتُم عَلِمَ، وبادِرُوا المَوْتَ الَّذِي إنْ هَرَبْتُم منه أَدْرَكَكُم، وإنْ أَقَمْتُم أَخَذَكُم، وإنْ نَسِيتُمُوه ذَكَرَكُم.

وقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لكلِّ دارٍ بابٌ وبابُ دارِ الآخرةِ الموتُ.

وقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لابْنِهِ الحَسَـنِ: يابُنِيَّ، أَكْثِرْ مِن ذِكْـرِ المَوتِ، وذِكْرِ ما تَهْجُمُ عليهِ وتُفْضِي بعـدَ المَوتِ إليـه، حَتَّـى يَأْتِيَكَ وقد أَخَـذْتَ منه حِذْرَكَ، وشَـدَدْتَ له أَزْرَكَ، ولا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ.

ومِنْ شِعْرِهِ كرم الله وجهه:

الموتُ لا وَالِداً يُبْقِي ولا وَلَداً ... هَذا السَّبِيلُ إلى أَنْ لا ترَى أَحَداً
كـانَ النَّبِيُّ ولم يَخْلُدْ لِأُمَّتِهِ ... لو خَلَّدَ اللهُ خَلْقاً قَبْلَهُ خَلَدَا
لِلْمَوتِ فِينا سِهَامٌ غيرُ خاطِئَةٍ ... مَنْ فاتَهُ اليومَ سَهْمٌ لم يَفُتْهُ غَدَا

التَّشْيِيعُ للجنازَة

كانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُـومُ بتَشْـيِيعِ الجَنائِـزِ إلى مَثْواهَا الأَخِيرِ، وقَدْ شَـيَّعَ مَرَّةً جِنازَةً، فلـمّا وُضِعَـتْ في لَحْدِها عَجَّ أَهْلُهـا بالبُكاءِ، فقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما تَكُـونُ؟ أَمَا واللهِ لـو عَايَنُوا ماعايَنَ مَيِّتُهُم لأَذْهَلَتْهُم مُعايَنَتُهُم عن مَيِّتِهِم، وإنَّ له فِيهم لَعَودَةً ثُمَّ عَـودَةً، ثُـمَّ لا يُبْقِي منهم أحداً، فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ وجِـدُّوا في الطَّلَبِ، وبادِرُوا بالعَمَـلِ مَقْطَعَ النَّهَماتِ وهاذِمَ اللَّـذَّاتِ، فإنَّ الدُّنيا لا يَـدُومُ نَعِيمُها ولا تُؤْمَنُ فَجَائِعُها، غُرُورٌ حائِلٌ وسَـنادٌ مائِلٌ، اِتَّعِظُوا عِبادَ اللهِ بالعِبَرِ، واعْتَبِرُوا بالآياتِ

والأثَـرِ، وازْدَجِرُوا بالنُّذُرِ، وانْتَفِعُوا بالمَوَاعِظِ، فـكَأنْ قد عَلِقَتْكُم مَخَالِبُ المَنِيَّةِ، وضَمَّكُـم بَيْتُ التُّرَابِ ودَهَمَتْكُم مُقَطَّعاتُ الأُمُورِ بنَفْخَةِ الصُّورِ وبَعْثَرَةِ القُبُورِ وسِـياقَةِ المَحْشَرِ وموَقِفِ الحِسَـابِ بإِحَاطَةِ قُدْرَةِ الجبَّارِ، كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سَـائِقٌ يَسُوقُها لِمَحْشَرِها، وشَاهِدٌ يَشْـهَدُ عليها بعَمَلِها: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ فارْتَجَّتْ لِذَلِكَ اليوم البِلادِ، ونادَى المُنَادِ، وكانَ يومَ التَّلاقِ وكُشِـفَ عن سَـاقٍ وكَسِفَتِ الشَّـمْسُ وحُشِرَتِ الوُحُوشُ مكانَ مَوَاطِنَ الحَشْرِ، وبدَتِ الأَسْرَارُ، وهَلَكَتِ الأَشْرَارُ، وارْتَجَّتِ الأَفْئِدَةُ.

العِبْرَةُ في زِيَارَةُ القُبُورِ

قالَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لأبي ذَرٍّ: زُرِ القُبُورَ، تَذْكُرُ بها الآخِرَةَ، ولا تَزُرها باللَّيلِ، واغْسِلِ المَوتَـى يَتَحَرَّكْ قَلْبُكَ، وصَلِّ عـلى الجَنَائِزِ لعلَّ ذَلِكَ يُحْزِنُكَ، فإِنَّ الحَزِينَ في ظِلِّ الله تَعَالى.

وَلَمّـا رَجَـعَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من صِفِّـينَ ودَخَلَ أَوَائِـلَ الكُوفَةِ رأى قَبْراً فقـالَ: قَبْرُ مَن هذا؟ فقالوا: قَبْرُ خبَّابِ بنِ الأَرَتِّ ، فَوَقَفَ عليهِ وقال: رَحِمَ اللهُ خَبَّاباً، أَسْـلَم رَاغِبـاً، وهاجَـرَ طَائِعاً، وعاشَ مُجَاهِداً، وابْتُلِيَ في جِسْـمِهِ آخِـراً، ألاَ وأنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ مَن أَحْسَـنَ عَمَلا، ثُمَّ مَشَى فإذا هُوَ بِقُبُورٍ، فَجاءَ حَتَّى وَقَفَ عليها، وقالَ: السَّـلامُ عليكُـم أَهْلَ الدِّيارَ المُوحِشَـةِ ، والمَحَالِّ المُقْفِرَةِ، أَنْتُم لنا سَـلَفٌ ونَحْـنُ لَكُـم تَبَعٌ، وبِكُم عَمَّا قَلِيـلٍ لاحِقُونَ، اللَّهُـمَّ اغْفِر لَنَا ولهُـم ، وتَجَاوَزْ عَنَّا وعَنْهُم، طُوبى لِمَنْ ذَكَرَ المَعَادَ وعَمِلَ لِيَوم الحِسَـابِ وقَنِعَ بالكَفَافِ ورَضِيَ عَن الله تَعَـالى، ثُـمَّ قال: يا أَهْلَ القُبُـورِ، أمّا الأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَـتْ، وأَمَّا الدِّيَارُ فقد سُـكِنَتْ، وأمَّا الأَموالُ فَقَدْ قُسِّـمَتْ، هَذَا ما عِنْدَنا، فـما عِنْدَكُم؟ ثُمَّ التَفَتَ إلى أَصْحَابِهِ وقالَ: أمَا إِنَّهُم لو تَكَلَّمُوا لَقَالُوا : وَجَدْنَا خَيرَ الزَّادِ التَّقْوى.

ومـرَّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بمَقْبَرَةٍ فقالَ: السَّـلامُ عَلَيكُـم يا أَهْلَ الدِّيارِ المُوحِشَـةِ والمَحَالِّ المُقْفِـرَةِ مِـنَ المُؤْمِنِينَ والمُؤمِنَاتِ، والمُسْـلِمِينَ والمُسلِماتِ، أَنتُمْ لنـا فَرَطٌ ونحنُ

لَكُـمْ تَبَعٌ، نَزُورُكُم عَـمَّا قَلِيلٍ ونَلحَقُ بِكُم بعدَ زَمانٍ قَصِيرٍ، اللَّهُمَّ اغفِرْ لنا ولَهُم ، وتجـاوَزْ عنَّـا وعَنْهُـم، الحَمْدُ لله الَّـذِي جَعَـلَ الأَرْضَ كِفَاتاً، أَحْيـاءً وأَمْواتاً، والحَمْدُ لله الذي مِنْها خَلَقَنا وعليهَا تمْشَانَا وفيها مَعاشُنَا وإليها يُعِيدُنا ، فَطُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ المَعَادَ وقَنِعَ بالكَفَافِ وأعَدَّ لِلحِسَابِ.

وسُـئِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ما شَأْنُكَ جاوَرْتَ المَقْبَرَةَ؟ فقالَ: إنِّي أَجِدُهُم جِيرَانَ صِدْقٍ، يَكُفُّونَ الأَلْسِنَةَ ويُذَكِّرونَ الآخِرَةَ.

ومِن شِعْرِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ زَارَ القُبُورَ:

سلامٌ على أَهْلِ القُبُورِ الدَّوارِسِ ... كأَنَّهُمُ لم يَجْلِسُوا في المَجَالِسِ

ولم يَشْرَبُوا مِن بَارِدِ الماءِ شَرْبَةً ... ولم يَأْكُلُوا مِن خَيرِ رَطْبٍ ويَابِسِ

ألا خَـبِّرُونِي أَيْنَ قَبْرُ ذَلِيلِكُم ... وقَبْرِ العَزِيزِ البَاذِخِ المُتَنَافِسِ

ولمـا وَدَّعَ زَوْجَتَـهُ الطَّاهِرَةَ السَّـيِّدَةَ فَاطِمَـةَ الزَّهْرَاءِ البَتُـولِ عَلَيْهَا السَّلَامُ إلى مَثْواهَا الأَخـيرِ، ذَهَـبَ إلى قَبْرِ الحبيبِ المُصْطَفَـى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِزِيارَتِهِ قائلاً: السَّـلامُ عَلَيكَ يا رَسُـولَ اللهِ عَنِّـي وعنِ ابْنَتِكَ وزَائِرَتِـكَ والمُخْتَارِ لها سُرْعَـةَ اللَّحَاقِ بِكَ، قَلَّ يا رَسُـولَ اللهَ عن صَفِيَّتِـكَ صَبْرِي، وقَلَّ عَنْها تجَلُّدِي، إلَّا أنّ لي التَّأَسِّيَ بِسُـنَّتِكَ، وفي فُرْقَتِـكَ مَوْضِـعُ تَعَـزٍّ، إنَّـا لله وَإِنَّا إليـهِ رَاجِعُونَ، قـد اسْـتُرجِعَتِ الوَديعَةُ وأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ، واختُلِسَتِ الزَّهْرَاءُ، فما أَقْبَحَ الخَضْراءَ والغَبْرَاءَ يا رَسُولَ الله، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وأمَّا لَيلِي فَمُسَـهَّدٌ، ولا يَبْرَحُ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِي حَتَّى يَخْتَارَ اللهُ لي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بها مُقِيمٌ.

السَّابِقُونَ إلى الجَنَّةِ

قالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لقد سَـبَقَ إلى جَنَّاتِ عَدْنٍ أقوامٌ ما كانُوا أَكْثَرَ النَّاسِ صَلاةً ولا صِياماً ولا حَجّاً ولا اعتِـماراً، ولَكِنْ عَقَلُوا عـنِ الله أَمْرَهُ فَحَسُـنَتْ طَاعَتُهُم، وصَحَّ وَرَعُهُم، وكَمُلَ يَقِينُهُم، فَفَاقُوا غَيرَهُم بالحَظْوَةِ ورَفِيعِ المنزلةِ.

مقتل الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

مقتل الإمام علي ثمرة مؤامرات الخوارج

كان أثر معركة النهروان شديدة على من بقي من الخوارج ، وقد تفرقوا بعد المعركة هاربين في أفجاج الأرض ، وروت كتب السير اجتماع عدد منهم بعد الهزيمة وعابوا أنفسهم على مواقفهم وترحموا على قتلاهم ، وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً ، فلو شرينا أنفسنا وأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد ، وثأرنا بهم إخواننا ، وقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب ، وقال البراك بن عبد اللّه: وأنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن أبي بكر : وأنا أكفيكم عمرو بن العاص ، فتعاهدوا وتواثقوا باللّه لا ينكص رجل منا صاحبه الذي توجه إليه يقتله أو يموت دونه ، فأخذوا أسيافهم وسمّوها واتّعدوا لسبع عشرة تخلوا من رمضان أن يَثِبَ كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه.

قال ابن الحنفية : إني كنت واللّه لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم في رجال كثير من أهل المصر يصلون قريباً من السدة ما هم إلا قيام وركوع وسجود ، وما يسامون من أول الليل إلى آخره ، إذْ خرج علي لصلاة الغداة فجعل ينادي: أيها الناس الصلاة الصلاة ، فما أدري أخرج من السدة فتكلم بهذه الكلمات أم لا ، فنظرت إلى بريق ، وسمعت (الحكم للّه يا علي لا لك ولا لأصحابك) فرأيت سيفاً ، ثم رأيت ثانيا ، ثم سمعت عليا يقول: لا يفوتنكم الرجل ، وشدّ الناس عليه من كل جانب ، قال: فلم أبرح حتى أُخذ ابن ملجم وأُدخل على علي فدخلت فيمن دخل من الناس ، فسمعت علياً يقول النفس بالنفس ، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلني ، وإن بقيت رأيت فيه رأيي) [1].

وصية الإمام علي لأبنائه

ثم دعا الإمام علي بأبنائه الحسن والحسين وقال : (أوصيكما بتقوى اللّه ، وألاّ تبغيا الدنيا وإن بَغَتْكُما ، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما ، وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأغيثا الملهوف ، واصنعا للآخرة ، وكونا للظالم خصماً ، وللمظلوم

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٦٨) باختصار .

ناصرا، واعملا بما في الكتاب ولا تأخذكما في اللّه لومة لائم)، ثم نظر إلى محمد بن الحنفية، وكان حاضراً فقال: (هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم، قال: فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، ولا تقطع أمراً دونهما، ثم قال للحسن والحسين: أوصيكما به فإنه ابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه)[1] .

وصية الإمام علي عند الوفاة

ثم لما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة: (بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أوصى أن يشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للّه رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم أوصيكما يا حسن ويا حسين ويا جميع أهلي وولدي ومن بلغه كتابي بتقوى اللّه ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل اللّه جميعا ولا تفرقوا فإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: إن صلاح ذات البين أعظم من عامة الصلاة والصيام، وانظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهون اللّه عليكم الحساب، واللّه اللّه في الأيتام لا يضيعُنَّ بحضرتكم، واللّه اللّه في الصلاة فإنها عمود دينكم، واللّه اللّه في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب، واللّه اللّه في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معايشكم، واللّه اللّه في القرآن لا يسبقنكم بالعمل به غيركم، واللّه اللّه في الجهاد في سبيل اللّه بأموالكم وأنفسكم، واللّه اللّه في بيت ربكم لا يخلُوَنَّ ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا، واللّه اللّه في ذمة نبيكم ﷺ فلا تُظْلَمَنَّ بين ظهرانيكم، واللّه اللّه في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ﷺ قال: ما زال جبريل يوصيني بهم حتى ظننت أنه سيورثهم، اللّه اللّه في أصحاب نبيكم ﷺ فإنه أوصى بهم، واللّه اللّه في الضعيفين من النساء وما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة، لا تخافن في اللّه لومة لائم، اللّه يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ

[1] المعجم الكبير للطبراني (١٦٨)، تاريخ الطبري (٥/ ١٤٧).

ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٨٣] كما أمركم اللّٰه، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيُولى أمرَكم شرارُكم ثم تَدْعُون ولا يستجاب لكم، عليكم بالتواصل والتبادل، إياكم والتقاطع والتدابر والتفرق: { وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}[المائدة: ٢].

حفظكم اللّٰه من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم ﷺ، أستودعكم اللّٰه وأقرأ عليكم السلام)[١].

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ موصياً من حوله: احبسوا الرجلَ أي: بن ملجم فإن مت فاقتلوه وإن أعش فالجروح قصاص، وفي رواية (يا بني عبد الطلب لا ألفينكم تخوضون في دماء المسلمين تقولون: قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقْتَلَنَّ انظر يا حسن إن مِتُّ من ضربته هذه فاضربه ضربةً بضربة ولا تمثّل بالرجل، فإني سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول: «**إياكم والمُثلة ولو أنها بالكلب العقور**»[٢].

وأما الرجلان الآخران اللذان أرادا قتل معاوية وابن العاص فلم يصلا إلى بغيتهما حيث وقعت الضربة من معاوية في مؤخرة جسمه وبرء منها، وأما عمرو بن العاص فلم يخرج تلك الليلة وكان يشتكي من بطنه، وقتل مكانه خارجة بن حذافة صاحب شرطته إذ أمره عمرو ان يصلي بالناس بدلاً عنه فضربه الرجل ظاناً أنه ابن العاص، ثم قبض عليه وقتل، كما قتل صاحب معاوية.

مدة خلافة الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

وكانت مدة خلافة الإمام علي أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام وقيل غير ذلك، وكانت وفاته يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للّٰهجرة، وتولى غسله وتكفينه الحسن والحسين وعبد اللّٰه بن جعفر رضوان اللّٰه عليهم أجمعين، وصلى عليه الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، واختلف في موقع قبره اختلافاً كبيرا.

اختلاف الرواة حول مدفنه

وذكر ابن الجوزي عدداً من الروايات في ذلك ثم قال: واللّٰه أعلم أي الأقوال أصح، والذي يعنينا في دراسة شخصية الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما كان في حياته، وأما

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٦٨).

(٢) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى (١/ ١١٦).

ما اختلف عليه في شـأن قبره ومدفنه فمرجعه إلى اختلاف الروايات كما هو شـأن الاختلاف في مدى عمره يوم قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

وفـي كتـاب الفتوح لابن أعثـم الكوفي أنه دفـن في جوف الليـل بموضع يقال له (الغري) وهو بناء كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب.[1]

ولما كان الغد خطب الحسن فحمد اللّه وأثنى عليه وقال: (أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن جهلني أنبأته باسـمي علـى أن الناس بي عارفون .. أيها الناس: قد دفن في هذه الليلة رجل لم يدركه الأولون بعلم ولا الآخرون بحلم، ولقد كان النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا أقدمـه للحـرب فجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يسـاره، فما يلبث أن يفتـح اللّـه على يديـه .. أيها الناس: إنه ما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سـبعمئة درهـم قـد كان أراد أن يبتاع بهـا لأختي أم كلثوم خادما، وقـد أمرني أن أردها إلي بيت المال.

مرثية أبو الأسود الدؤلي

ورثى الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جملة من الشـعـراء منهم أبو الأسود الدؤلي الذي استهل رثاءه بقوله:

ألا يـا عين ويحك أسـعدينا	ألا تبكـي أميـر المؤمنينـا
وتبكـي أمُ كلثـوم عليـه	بعبرتهـا وقـد رأت اليقينـا
ألا قل للخوارج حيث كانوا	فـلا قـرت عيـون الشـامتينا
أفي شـهر الصيام فجعتمونا	بخيـر النـاس طـرّاً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا	وذللّهـا ومن ركب السـفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها	ومـن قـرأ المَثانِـيَ والمِئِينا
فـكل مناقـب الخيـرات فيه	وحب رسول ربّ العالمينا

وقال شاعر الخوارج عمران بن حطان:

ياضربـةً مـن تقـي مـا أراد بها	إلاّليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنـي لأذكـره حينـاً فأحسـبه	أوفـى البريـة عنـد اللّـه ميزانا

---

(١) الفتوح ص (٢٨٢).

مرثية بكر بن حماد التاهرتي

فرد عليه بكر بن حماد بقوله :

قل لابن ملجم والأقدار غالبة — هدمت ويلك للإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم — وأول الناس إسلاماً وإيمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما — سن الرسول لنا شرعا وتبينا
صهر النبي ومولاه وناصره — أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له — ما كان هارون من موسى ابن عمرانا
وكان في الحرب سيفا صارما ذكرا — ليثاً إذا لقي الأقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر — فقلت سبحان ربّ الناس سبحانا
إني لأحسبه ما كان من بشر — يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مُرادٍ إذا عُدت قبائلها — وأخسر الناس عند اللّه ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت — على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها — قبل المنية أزماناً فأزمانا
فلا عفا اللّه عنه ما تحمّله — ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله في شقيّ ظل مجترما — ونال ما ناله ظلماً وعدوانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها — إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غويّ أوردته لظى — فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا

استثمار المارقين والفاسقين والناكثين لمحبة وبغض الإمام علي

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

من أخطر ما نعانيه في عصورنا المتلاحقة حشد العلماء والباحثين تراجم الإمام علـي وفضائلـه وخصوصياته ومميزاتـه، لخدمة الجنوح الذاتـي القائم في النفس البشـرية علـى قاعدتـي «المنافسـة، والتحريش»، وهمـا صفتان سـلبيتان أدانهما رسـول اللّهصَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ في أحاديث علامات السـاعة وفقه التحـولات، حتى لا نكاد نقرأ ترجمـة من تراجـم الإمام علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلا وهي تصب في تجييش المسـلمين ضدّ الآخـر ممن يصف الإمام بما هو بصدده من التوجّه والمنطلق والرؤية، سـواءً في مسألة جدارة الحكم، أو جدارة العلم، بل وتخرج بعض هذه التراجم عن الأدب الشـرعي العام إلى طرفي الإفراط والتفريـط، ومرجع ذلك كله على قضية واحدة .، وهـي «تأليه الحاكمية» ووضعها عقيدة الولاء والبراء والنظر إليها كأنها ميراث الديانة الأساس، وإسقاط بقية الثوابت دونها.

وقـد برز هذا الملحظ العدواني منذ مرحلة الخليفة الثالث عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهي المرحلـة المعنيـة في أحاديـث فقه التحـولات بالاختـراق الدجالـي والاختراق الدجالـي فـي تعليل هذا الفقـه تأليه قضيـة الحاكمية فوق مسـتوى نصوص العلم بعلامـات السـاعة، والنظـر المحصـور فـي نصـوص الثوابـت دون المتغيرات، وقـد وقع في هـذا الفخ الكثير ممن أصابتهم الفتنة في تلكـم المرحلة .. وكفي أن ندرس نصوص الأحاديث الخاصة بالفتنة خلال صراع القوم على قضية الحاكمية وامتلاك قرارها، حيث اسـتوى الكثير من أولئك في الحصانات والصحة والعلم والاجتهاد، وكانت هذه الشـروط عين التأثير على عموم الأتباع والجند وجحافل الموالين..

وترجح لنا اليوم سلامة أهل السلامة وعدالة مطلب الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم دارت رحى الحرب بينه وبين عائشة والزبير وطلحة بأحاديث فقه التحولات وعلامات الساعة ، وعرفت عدالة معركة صفين بين الفريقين بتوقفها ساعة ظهور علامة الفقه الشرعي للتحولات : «**عمار تقتله الفئة الباغية**»، وترجح بهذا الحديث علم لم يكن في حسبان الكثير من علماء وفقهاء الفريقين، حتى أن جيش الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقاتل أهل الشام وعيونهم على عمار بن ياسر منتظرين الحسم الآلي لقضية المعركة وعدالة أحد الفريقين بمقتل عمار.

وإذا كانت الحيرة قد شملت أتباع الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تلكم المعركة حتى ظهرت العلامة ، فما هو حال الأمة اليوم وهي تجيش النصوص ضد بعضها البعض .. استعداداً لمعركة لا مفر منها باعتبار المقولة المألوفة: لكل مقدمات نتائج.

وإذا كان ما يقدمه علماء المسلمين من كل مذهب وطائفة هو صراع الأقلام والأفلام والأزلام مع حكامهم وشعوبهم لإبطال المنهجية السنيّة المتداولة بالشبهات والنواقض عند فريق ، أو التكفير وإدانة وكشف هنات وعيوب وترات أتباع التشيع لدى فريق آخر ، فالنتائج المتوقعة بين الفريقين الهلاك والدمار وحرق الأخضر واليابس .. دون عائد إيجابي ، أو مستقبل مستقر يرجى ، وإنما هي النسخة المكرورة منذ عهد عثمان رضي الله عنه وما تلاه إلى أن يقضي اللّٰه أمراً كان مفعولا.

ولن يسلم من هذه الحالة المدمرة سوى الفريق الذي عرف طريق السلامة منذ العهد الأول فسار على طريق الرجاء في اللّٰه والخوف منه متخذا من الدين جُنة ودرءًا من الفتن المضلة وعاصماً من قواصمها على ما سار عليه الأئمة الأعلام أهل النمط الأوسط رضي اللّٰه عنهم وأرضاهم أجمعين.

كما أنه لن يسلم من فتنة المسيخ الدجال الكاسحة ومقدماتها الهاتكة إلا من عرف الدين برباعية أركانه مسلماً لسانه ما استطاع من الذم ويده من الدم ... محباً لآل البيت ولأصحاب رسول اللّٰه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واصفاً لهم كما وصفهم ربهم في كتابه :

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾[الفتح : ٢٩].

إنّ كتابتنا لهذه الترجمة الخاصة بالصديق الأكبر في مرحلتنا هذه إنما هي محاولة – لا أقول يائسة – وإنما هي إن شاء الله محاولة جادة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من علاقة الأمة الإسلامية بعضها ببعض بعد أن خلط الشيطان الأوراق ودفع بالفرقاء خلف وسائل الاعلام، كي يخندقوا الأمة في صراع لا يخدم الإسلام ولا المسلمين ، ولا يجني منه آل البيت ولا غيرهم غير الهرج والمرج والصراع والنزاع.

ومع هذا وذاك فالذي نرجوه ونتمناه أن يكتب الله لنا ثواباً وأجراً ينفعنا ساعة لقائه وغرسة أو فسيلة نزرعها في خضم الواقع المتناقض نستودعها الله كي تكون شهادة لنا بإذنه سبحانه وتعالى إن أدينا الأمانة كما علمناها ، ودعونا إلى السلامة كما تعلمناها..

والله من وراء القصد...

الخاتمة

كانت نهاية الإمام علي المرتضى مأساة للإسلام والمسلمين، وعلامة من العلامات الوسطى التي أخبر بوقوعها سيد المرسلين، ومدرسة ذات تميز خاص في حياة النمط الأوسط أهل العدالة والسند في العالمين .. بنيت فيه منذ صباه بين يدي سيد الأمة ومبعوثها الأمين، منذ أن أخذه ﷺ من أبيه أبي طالب فضمّه إليه، فعاش مقتبل العمر في بيت النبوة والوحي والعصمة والمعجزات، وتعرف على أسرار حياة المبعوث الأكرم ﷺ ودقائق خصوصياته، بل كان من أول من شرح اللّٰه صدره بالإسلام، فقد روى بن إسحاق: أن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء إلى النبي ﷺ بعد إسلام خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فوجدهما يصليان فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي ﷺ: «**دين اللّٰه الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله، فأدعوك إلى اللّٰه وحده وإلى عبادته، وتكفر باللاّت والعزّى**»، فقال علي: هذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم، فلست بقابض أمراً حتى أحدث أبا طالب، فكره رسول اللّٰه ﷺ أن يفشي عليه سره، قبل أن يستعلن أمره، فقال له: «**يا علي إذا لم تسلم فاكتم**» فمكث عليّ تلك الليلة، ثم إن اللّٰه أوقع في قلبه الإسلام، فأصبح غاديا إلى رسول اللّٰه ﷺ حتى جاءه فقال: ما عرضت عليّ يا محمد؟ فقال له رسول اللّٰه ﷺ: «**تشهد أن لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزّى، وتبرأ من الأنداد**»، ففعل علي وأسلم منذ ذلك اليوم [١].

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منذ تلك المرحلة مرحلة الكتمان والسرية على غاية الحذر والحيطة في حفظ سر رسول اللّٰه ﷺ، وعدم البوح أو الإظهار لأمر الدعوة وأمر أتباعها ممن دخل إلى الإسلام متخفياً في باكورة تلك المرحلة ويبدو ذلك جلياً في قصة إسلام أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما جاء إلى مكة راغباً في التعرف على رسول اللّٰه

---

(١) البداية والنهاية بتصرف (٣/ ٤).

ﷺ لكنه كره أن يسأل عنه ، حتى أدركه الليل فاضطجع فرآه علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فعرف أنه غريب فاستضافه ولم يسأله عن شيء ثم غادر صباحاً إلى المسجد الحرام فمكث حتى أمسى فرآه علي فاستضافه لليلة الثانية وحدث مثل ذلك الليلة الثالثة ، ثم سأله عن سبب قدومه ، فلما استوثق أبو ذر من أمره أخبره بمراده ، فقال له علي : فإنه حق وهو رسول اللّٰه ، فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك منه قمت كأني أريق الماء ، فإن مضيت فاتبعني فتبعه وقابل الرسول ﷺ واستمع إلى قوله وأسلم.

وها هو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ليلة الهجرة يلتزم البقاء في فراش النبي ﷺ والأعداء قد أحاطوا بالبيت يتربصون برسول اللّٰه ﷺ ليقتلوه ، فما كان منه إلاّ افتداء رسول اللّٰه بنفسه وقائه محتسب على فراشه حتى الصباح.

كما كان محلاً لسر رسول اللّٰه ومحلاً لأداء أمانات الناس بعد هجرته ﷺ كما نراه بُعَيْد أداء الأمانات وتنفيذ الوصايا يهرع مهاجراً من مكة وحده دون مصاحبة أحد من الناس يكمن بالنهار ويسير بالليل حتى قدم المدينة وقد تفطّرت قدماه.[1] اهـ

إنه الإمام الملهم المحفوف بالرعاية النبوية ، عاصر القرآن تنزيلاً وتنزلاً ووعاه حفظاً وفهماً وعملاً وعلما ، وقد روي عنه قوله : (واللّٰه ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً صادقاً ناطقا).

ويقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (سلوني عن كتاب اللّٰه ، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار ، وفي سهل أم في جبل) ، ويرى ابن عبد البر أن علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان ممن جمع القرآن الكريم على عهد رسول اللّٰه ﷺ وهو حي) وقد فسر بعضهم الجمع بالحفظ عن ظهر قلب ، وكان يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في أخريات عهده : (سلوني قبل أن تفقدوني).

---

(١) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص (٤٣/ د الصلابي).

بـل أن بعـض الآيات القرآنية نزلت في شـأنه وشـأن ما دار بينـه وبين آخرين في عصر النبوة ، فقد روى البخاري بسنده عن علي بن أبي طالب أنه قال : (أنا أول من يجثـو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة) ، وقال قيس بن عبادة فيهم نزلت : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾[الحـج : ١٩] ، قال هم الذيـن تبارزوا يوم الدين ببدر ، حمـزة وعلي وأبو عبيدة بن الحارث وشـيبة بن ربيعـة ، وعتبه بن ربيعة ، والوليد بن عتبه .

وهـو أي الإمـام علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أحـد الذين أنزل اللّٰه فيهـم قوله : ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾[آل عمـران : ٦١] ، وذلـك فـي وفد نجران حينما جادلهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في عيسـى بن مريـم وأنه عبد اللّٰه ورسوله وكلمته ألقاها إلى أمته الطاهرة ، وكذّب ادعائهم بأنه اللّٰه أو إبن اللّٰه أو أنه ثالث ثلاثة ، ودعاهم إلى الإسـلام فأبوا دعاهم إلى المباهلة ، وجاء علي وفاطمة وحسـنا وحسـينا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فقال : «**اللّٰهم هؤلاء أهلي**» ، فأبوا[1] المباهلة وارتضوا دفع الجزية.

لقد كانت حياة الصديق الأكبر لوحة صدق وأمانة ورجولة في تاريخ الإسلام ... كما كان استشـهاده شـاهد حق وحجة على تيارات الافك والنفاق وحرج لا يزول أثره ولا يغسل عاره بأي حال من الأحوال... إذ ثبت في النصوص فساد عقول هذ الفئة المعرضة من بدايتها إلى أن يظهر في أعراضهم الدجال طبقاً لحديث : «**كلما قطـع قرن نشـأ قرن ، حتى يخـرج في بقيتهم الدجال**»[2] ليـس لهم في الأرض غير الفتن التي ترسـم الشـر والأذى فـي الأمة .. بل هم جزء من مـادة تكوينها ونموها وتنفيذها تدفعهم الطباع ومصالح الانتفاع ، ويسـتذلهم الإبليس المحتنك لينفذوا برنامجه الشـري بعلم واقتناع ، أو بدون علـم ولا امتناع ، وقد تطورت فتنتهم بعد

---

(١) نصارى نجران .

(٢)مسند أحمد (٦٩٥٢) ، والمستدرك على الصحيحين (٨٥٥٨) .

احتـواء الكفـر والدجال توجيه الأمر فـي المرحلة الغثائية ليصبحـوا رأس الحربة الموجهة إلى دمار التركيبات الشـرعية في الإسـلام ، وانتهاك أُولي العدالة والسند والوراثـة بيـن الأنام ، وقليل من يفقه ذلك أو يدرك أبعاده وخطورته ، ونسـأل اللّٰه العظيم العفو والعافية..

ولعلنـا في هذه الدراسـة النصيـة المرتبطة بفقـه التحولات نتعـرف على ضابط الربط بين فتنة الخوارج في الأمة أول الزمان ، وفتنتهم في أخريات الزمان لنتدارك ما يمكن تداركه من حفظ الأمة من علة الإندفاع المفضي إلى إشاعة الذم وإساحة الدم بين المصلين.

ونسأل اللّٰه الحفظ لنا جميعاً من هذه الفتن ما ظهر منها وما بطن...

رحم اللّٰه الإمام الغالب علي بن أبي طالب وحشرنا معه وبمعية الحبيب الأكرم ﷺ وآل بيته الأطهار وصحابته الأبرار...

اللّٰهم آمين..

مَـنْـظُـومَـةُ الرِّضَاء

الحاويةِ على سلامةِ علاقةِ الخلفاءِ الراشدينَ مع الإمامِ عليٍّ المُرتَضَى وذكرِ أسانيدِ مدرسةِ النَّمَطِ الأوسطِ ذاتِ العلاقةِ بِمَنهَجِ التَّوَسُّطِ والاقتداءِ في القضاءِ والاقتضاءِ

مقدمة المنظومة

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

الحمد للّٰه وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وخصوصا على الآل الخلفا والأصحاب الحنفا ، الآخذين دينهم وأدبهم عن الحبيب المصطفى. اللّٰهم صل وسلم على هذا النبي الكريم وعلى كل من اتبعه واقتفى إلى يوم الدين.

وبعد فأرفع منظومتي هذه إلى طلاب العلم الذين طلبوا مني أن أختصر لهم موقف الفحول من أصحاب الرسول ، وما ترتب على هذا الموقف من إسناد وحفظ للديانة والأمانة ومرتكزات هذه المواقف الشرعية من الأصلين كتاب اللّٰه وسنة نبيه ﷺ ، وعلى مدى تاريخ الأمة من عصر الرسالة إلى ما سماه النبي بعصر الحثالة ، وما ترتب على هذا المدى من ظهور السنن لدى قوم وظهور البدع العقدية والولائية لدى قوم آخرين ، حتى صار البعض من معاصرينا يعتقد سلامة ما تبنته العقول من ركام الفضول ونقائض النقول.

فجردتُ وقتي مستجيبا للطالب الراغب ، وحرصت أن أسلك طريق التوسط في التناول وفي الاستنتاج ، وهي طريق السلامة التي رضيها لنا سلفنا الصالح : سلامة الأيدي من الدم وسلامة الألسن من الذم ، وهذا شأن مدرستنا المتصلة سندا ورواية وعلما وعملا بهدي النبي ﷺ وأسانيد دعوته كابرا عن كابر وإماما عن إمام من الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي أهل النمط الأوسط ، وفي مقدمتهم ساداتنا آل البيت من سادة الصلح وبقية السيف آل الحسن والحسين رضي الله عنهم وعن بقية الآل والأصحاب أجمعين.

وإذا كان هناك من آل البيت وأصحاب المذاهب والرؤى من يخالف الفكرة والمنهج ويقرأ الأمور على صفة ما جرى من الأحداث وما ترتب لدى فريق من الناس من اتخاذ موقف عدائي بحجة أو بغير حجة؛ فإنا ومن أشرنا إليهم من فريق السلامة عبر تاريخ الإسلام كله لا ننزع بأحد منزع التصادم ولا التنازع ، ولأهمية هذا المنزع والمبدأ وضعته في منظومتي هذه كما علمته وقرأته وشاهدته وعايشته واتحدت به حالا ومقالا وسندا ورواية ودراية.

يشـهد اللّٰه أني لا أخالف ما قرأت وما رأيت وما سـمعت من أشـياخي آل البيت وفـي مقدمتهـم سـيدي وإمامـي الحبيب عبدالقـادر بن أحمد السـقاف وسـيدي الوالد علي بن أبي بكر المشـهور وسـيدي الحبيب أحمد مشهور الحداد وسيدي الحبيب عطاس الحبشي وسـيدي الحبيب محمد الهدار وسيدي الحبيب الحسن بن عبداللّٰه الشـاطري وسـيدي الحبيب عبدالقادر بن أبي بكر المشـهور وسـيدي الحبيب محمد بن أحمد الشـاطري وسيدي الحبيب عبدالرحمن بن أحمد الكاف وسيدي الحبيب محمد بن علوي المالكي وغيرهم من أشياخ الطريق.

ومع ما سـمعتُه وشـاهدتُه وعرفتُه منهم فقد وضعتُ في منظومتي ما أدركتُه من خلال دراسـتي الحديثية في مجالسـهم من فقه رباعية الأركان ، وهو ما سمي بفقه التحولات ، وجعلتُ هذا الفقه محورَ الارتكاز في معالجة ما اختلف عليه البعضُ في مسائل الولاء والبراء ، ومحور التناول لمنهج السلامة المشار إليه.

وأطلـب من القـارئ الكريم مـن حيثما كان مبـدؤه ومنزعه وعلمـه ومنهجه أن يتأنـى في اتخـاذ الموقف من منظومتـي لمجرد الاطلاع العـام والتصنيف المعتاد والتعليل النظري البديهي ، بل أطلب منه أن يتدبر الفكرة وأسلوب التناول ويتعمق فـي المرقومـات ودلالاتها ومصادرها وما اسـتُند إليه في تحليـل المواضيع ، فإن وجد خيرا فليشـكر اللّٰه وليدع لي ولنفسـه وللمسـلمين ، وإن وجد ما لا يتناسـب مع أصول المنهج الشـرعي النبوي الأبوي فليدع الأمر ويسـلك لنفسـه ولغيره ما يراه مناسبا من الاختيار.. فالحق أحق أن يتبع.. واللّٰه يتولانا جميعا بواسع رحمته ورأفته وكرمه.. إنه سميع الدعاء..

وباللّٰه التوفيق..

شاهد الحال

سُئِلَ الإمامُ عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن الخوارجِ : أكُفَّارٌ هم؟ فقال : من الكُفرِ فرُّوا ، فسُئِلَ : أمنافقون هم؟ قال : لا .. إنّ المنافقين لا يذكرون اللّٰه كثيراً ، فسُئِلَ : فما نُسَمِّيهم؟ قال : قومٌ من إخوانِنا بَغَوا علينا أصابَتهم الفِتنَةُ فعَمُوا و صَمُّوا...

الإهداءُ

مَنْظُومَتِي أَرْفَعُهَا بِالمُجْمَلِ ... لِكُلِّ ذِي مَحَبَّةٍ لِلْمُرْسَلِ

وَمَنْ يُحِبُّ الآلَ حُبًّا خَالِصاً ... لِله لا لِلرَّفْضِ وَالتَّنَصُّلِ

وَحُبِّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ مِثْلَمَا ... أَحَبَّهُمْ خير الأنام الأَفْضَلِ

مِنْ غَيرِ مَا نَبْزٍ وَلَا وَقِيعَةٍ ... إِلَّا بِنَصٍّ وَارِدٍ فِي المُجْمَلِ

أَرْفَعُهَا هَدِيَّةً مَكْنُونَةً ... مِنِّي مَعَ التَّقْدِيرِ لِلْمُسْتَقْبلِ

مِنْ طَالِبٍ لِلْعِلْمِ أَوْ مِنْ سَالِكٍ ... أَوْ رَاغِبٍ رَفْضَ الصِّرَاعِ الجَدَلِي

وَشَرْطُهَا حُسْنُ اتِّبَاعٍ وَاقْتِفَا ... مِنْ غَيْرِ نَفْسٍ وَاخْتِيَارٍ مُبْطِلِ

وَفَهْمِ مَا يَعْنِيهِ شَأْنُ الإِنْتِمَا ... وَشَأْنُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الأَمْثَلِ

وَنَظَرٍ بِعَيْنِ طٰهَ المُجْتَبَىٰ ... فِيمَا جَرَىٰ مِنْ حَادِثٍ أَوْ مُشْكِلِ

أَخُصُّ مَا قَدْ كَانَ بَيْنَ الخُلَفَا ... أَوْ آلِ بَيْتِ المُصْطَفَىٰ وَمَنْ يَلِي

لِأَنَّهَا مِفْصَلُ تَصْحِيحِ الوَلَا ... عَلَىٰ طَرِيقِ الهَدْيِ هَدْيِ المُرْسَلِ

ضَابِطُهَا فِي الحُكْمِ فِقْهٌ جَامِعٌ ... مِنْ رَابِعِ الأَرْكَانِ فافْهَمْ وَاعْقِلِ

بَعِيدَةٌ عَنِ الغُلُوِّ وَالجَفَا ... وَالحُكْمِ بِالعَوَاطِفِ المُسْتَعْجِلِ

هٰـذَا الَّـذِي بِـهِ يَبِيـنُ ما اخْتَفَـىٰ   مِـنْ سِـرِّ هٰـذَا الأَمْـرِ عِنْـدَ الأُوَلِ
أَمَّـا الَّذِيـنَ اشْـتَغَلُوا بِغَيْـرِهِ   عَلَـىٰ صِـرَاعٍ دَائِـمٍ مُسْـتَفْحِلِ
قَـدْ جَعَلُوا الإِسْـلَامَ حَكْرًا فـي الوَلَا   وَفِـي البَـرَاءِ دُونَ حَـلِّ المُعْضِـلِ
تَوَارَثُـوا الحِقْـدَ فَهُـمْ مِـنْ أَجْلِـهِ   قَـدْ حَرَّفُـوا وَبَدَّلُـوا فـي المُنْـزَلِ
لـم يَسْـمَعُوا مُنَادِيًا وَلَا هُـمُ   يَـدْرُونَ فِقْهاً غَيْـرَ فِقْـهِ المَقْتَـلِ
فَهٰـؤُلاءِ حَيْثُمَـا كَانُـوا أَذَىٰ   يَسُـوقُهُمْ إِبْلِيـسُ سَـوْقَ الإِبِـلِ
مَـا بَيْـنَ إِفْـرَاطٍ وَتَفْرِيـطٍ جَـرَىٰ   يَسْـتَمْتِعُونَ بِالصِّـرَاعِ المُخْـذِلِ
يَـا عُصْبَـةَ الشَّـبَابِ أَهْـلِ الإِهْتِـدَا   وَيَـا بَنَـاتِ الآلِ بَـابِ الأَمَـلِ
تَجَـاوَزُوا مَـا كَانَ مِـنْ شَـرٍّ مَضَـىٰ   إِلَىٰ سُـلُوكِ المُصْطَفَىٰ الهَادِي الجَلِي
فَـإِنَّ فـي هَـدْيِ النَّبِـيِّ الإِهْتِـدَا   وَلَيْـسَ فـي الأَحْـدَاثِ حَـلُّ مُشْـكِلِ
وَهٰـذِهِ مَنْظُومَتِـي وَسِـيلَةٌ   لِمَـنْ أَرَادَ الهَـدْيَ بِالتَّسَلْسُـلِ
سَـأَلْتُ رَبِّـي أَنْ تَكُـونَ حُجَّـةً   إِلَـىٰ اجْتِمَـاعٍ وَاعِـدٍ مُسْـتَقْبَلِي
أَسَاسُـهُ القُـرْآنُ ثُـمَّ سُـنَّةٌ   زَانَـتْ بِأَخْـلَاقِ النَّبِـيِّ المُرْسَـلِ
وَحُسْـنُ تَطْبِيـقٍ لِأَرْكَانِ الهُـدَىٰ   أَرْبَعَـةٍ فـي النَّـصِّ فَانْظُـرْ وَاعْقِـلِ

تسلسلُ إسنادِ الرّضى .. عهدُ الخِلافةِ

مِـنْ بَعْـدِ حَمْـدِ اللّٰـهِ مَوْلَانَـا العَلِـي   مَـعَ الصَّـلَاةِ وَالسَّـلَامِ الأَكْمَـلِ
لِحَضْـرَةِ المُخْتَـارِ طٰـهَ المُصْطَفَـىٰ   أُسَلْسِـلُ الإِسْـنَادَ فِيمَـا حُـقَّ لـي
مِـنَ الرِّضَـىٰ المُسَلْسَـلِ المَعْنِـي بِـهِ   أَهْـلُ الهُـدَىٰ مِـنْ كُلِّ أَوَّابٍ وَلِـي
مَـنْ حَفِظُـوا الإِرْثَ وَكَانُـوا عُصْبَـةً   عَلَـىٰ طَرِيـقِ الحَـقِّ خَيـرِ السُّـبُلِ

هُـمْ صَفْـوَةُ القَـوْمِ الكِـرَامِ الأَتْقِيَـا وَحَامِلِـي الرَّايَـةِ بِـالإِرْثِ الجَلِـي

قَالُـوا رَضِينَـا بِالإِلٰـهِ رَبِّنَـا كَـذَا رَضِينَـا بِالنَّبِـيِّ المُرْسَـلِ

مُحَمَّـدِ الطُّهْـرِ المُصَفَّـىٰ ذُخْرِنَـا كَـذَا أَبِـي بَكْـرِ الرَّفِيـقِ الأَوَّلِ

وَبَعْـدَهُ الفَـارُوقُ مَـنْ أَسَّ البِنَـا وَبَعْـدَهُ عُثْمَـانُ فـي الأَمْـرِ ابْتُلِـي

ثُـمَّ الرَّضِـيُّ المُجْتَبَـىٰ حَيْدَرُنَـا وَلَيْثُنَـا المِقْـدَامُ بَحْـرٌ مُمْتَلِـي

لا غَـرْوَ فـي مَكَانِـهِ مُقَـدَّمٌ وَأَنَّـهُ البَـابُ المُحَلَّـىٰ بِالحُلِـي

وَأَنَّ مَـنْ وَالَاهُ وَالَـىٰ المُصْطَفَـىٰ كَمَـا أَتَـىٰ يَـوْمَ الغَدِيـرِ الأَبْجَـلِ

وَأَنَّـهُ أَهْـلٌ لِمَـا قَـدْ خَصَّـهُ مَـوْلَاهُ بِالفَضْـلِ العَمِيـمِ الأَشْـمَلِ

مَوْقِفُـهُ مِـنَ الرِّضَـا عَـنْ مِثْلِـهِ فـي سَـدَّةِ الحُكْـمِ اعْتِـرَافٌ فَيْصَلِـي

مُؤَيِّـدٌ لِلنَّـصِّ وَالنَّـصُّ بِـهِ مُؤَيَّـدٌ فَاقْـرَأْ وَدَقِّـقْ وَانْقُـلِ

وَصِفَـةُ التَّرْتِيـبِ بَيْـنَ الخُلَفَـا لا تُنْقِـصُ الفَضْـلَ لِمَخْصُـوصٍ وَلِي

وَالحَسَـنُ السِّـبْطُ خِتَـامُ الخُلَفَـا فِـي سَـالِفِ العَهْـدِ بِنَـصٍّ مُعْتَلِـي

مُوَثَّـقٌ عَبْـرَ الشُّـيُوخِ الخُلَفَـا فَاسْـمَعْ مَقَالـي وَاجْتَنِبْ مَنْ قَـدْ بُلِي

مَرْحَلَـةً بِالنَّـصِّ قَامَـتْ مِثْلَمَـا قَـدْ حُصِّنَـتْ مِـنْ عَهْـدِ طٰـهَ الأَفْضَلِ

مِـنْ أَهْـلِ بَـدْرٍ وَكَـذَا مِـنْ عَشْـرَةٍ قَـدْ بَايَعُـوهُ تَحْـتَ ظِـلٍّ مُخْضِـلِ

لَا قَـدْحَ فيمـا اجْتَهَـدُوا وَقَـرَّرُوا وَهُـمْ عُـدُولٌ فـي الخِـلَافِ المُجْمَلِ

لَـم يُخْطِئُـوا بَـلْ أَدْرَكُـوا بِعِلْمِهِـمْ فِقْهًـا رُبَاعِيًّـا لِحَـلِّ المُشْـكِلِ

بِـهِ الرِّضَـا قَـدْ تَـمَّ فـي سَـقِيفَةٍ وَمَـا جَـرَىٰ مِـنْ بَعْدِهَـا مِـنْ دُوَلِ

وَقَـدْ مَضَـىٰ عَصْرُهُـمُ فـي خِدْمَـةٍ وَفِـي اجْتِمَـاعٍ وَاعِـدٍ بِالأَمَـلِ

تَرَسَّـخَ الحَـقُّ بِهِـمْ وَلَـمْ يَـزَلْ إِرْثُ النَّبِـيِّ بَعْدَهُـمْ فـي المُثُـلِ

لَـمْ يَنْقَطِـعْ رَغْـمَ الصِّـرَاعِ وَالبَـلا بَـلْ دَامَ مَحْفُـوظًـا بِحِفْـظٍ أَزَلِـي

وَلَيْـسَ فِيمَـا قَالَـهُ مُخَالِـفٌ مِـنْ حُجَّـةٍ دَامِغَـةٍ بِالعِلَـلِ

مَهْمَـا يَكُـنْ مِـنْ أَمْـرِهِ وَعِلْمِـهِ وَفِقْهِـهِ وَحَالِـهِ وَالعَمَـلِ

لِأَنَّـهُ مُعَـارِضٌ لِمَـا أَتَـىٰ فـي رَابِـعِ الأَرْكَانِ نَـارِ المُصْطَلِـي

وَهْـيَ العِـلَاجُ مِـنْ رُكَامٍ هَاتِـكٍ ومِـنْ سَـعِيرِ النَّـاسِ تَحْـتَ المِرْجَـلِ

وَمَـنْ أَبَـىٰ فَجَاهِـلٌ مُسْـتَنْوَقٌ مِـنْ حِزْبِ إِبْلِيـسَ المَقِيـتِ المُضْلِلِ

عَهْدُ التَّنَازُلِ وَالصُّلْحِ

عَهْـدُ الإِمَـامِ الحَسَـنِ السِّـبْطِ غَـدَا حَـلاًّ سَـلِيمًا لِـزَوَالِ المُشْـكِلِ

لَمَّـا ارْتَضَـىٰ حَقْـنَ الدِّمَـاءِ مُنْهِيًـا شَـرَّ اصْطِدَامِ المُسْـلِمِينَ المُخْجِلِ

وَالْتَـزَمَ الحِفْـظَ لِمِيـرَاثِ الهُـدَىٰ مُسْـتَنْقِذًا إِيَّـاهُ مِـنْ جَهْـلِ الخَلِـي

وَقَـالَ رَبِّـي قَـدْ هَدَاكُـمْ بِالأُلَـىٰ كَـذَا بِنَـا حَقْـنُ الـدَّمِ المُسْـتَرْذَلِ

وَسَـنَّ فِينَـا سُـنَّةً مَهْدِيَّـةً وَكَانَ فِيهَـا صَاحِـبَ الـرَّأْيِ العَلِـي

وَأَيَّـدَ المُخْتَـارُ مِنْـهُ مَوْقِفًـا وَقَـالَ هٰـذَا سَـيِّدُ الصُّلْـحِ الجَلِـي

لِـذَا بِـهِ تَمَّـتْ كَرَاسِـي الخُلَفَـا عَـدُّ الثَّلَاثِيـنَ كَمَـالُ المُجْمَـلِ

مَرْحَلَـةٌ مَحْفُوظَـةٌ بِنَصِّهَـا وَبِالرِّجَـالِ الوَارِثِيـنَ الكُمَّـلِ

قَـدْ أَبْـرَزَتْ سِـرَّ زَمَـانٍ ذَاهِـبٍ مُحَصَّـنٍ وَسِـرَّ عَصْـرٍ مُشْـكِلِ

يُـدْرِكُ هٰـذَا دَارِسٌ مُثَبَّـتٌ لِرَابِـعِ الأَرْكَانِ خَيْـرِ مَوْئِـلِ

وَمَـنْ يَفُتْـهُ دَرْسُ هٰـذَا تَلْقَـهُ يَخْبِـطُ فـي أَمْـرِ الـوَلَا الأَفْضَـلِ
مُسْـتَتْبِعًا فَهْمًـا سَـقِيمًا شَـابَهُ طَبْـعٌ عَقِيـمٌ بِالتَّعَالِيـلِ ابْتُلِـي

مَرْحَلَةُ المُلْكِ العَضُوض

مِـنْ بَعْـدِ عَهْـدِ الحَسَـنِ السِّـبْطِ أَتَـىٰ عَهْـدٌ عَضُـوضٌ بِالمُلُـوكِ مُبْتَلِـي
مَـنْ حَوَّلُـوا الحُكْـمَ عَضُوضًـا بَيْنَهُمْ مُلْـكًا وِرَاثِيًّـا عَرِيـقَ الحِيَـلِ
أَوَّلُـهُ مُلْـكٌ وَفِيـهِ رَحْمَـةٌ كَمَـا أَتَـىٰ فـي قَـوْلِ خَيْـرِ الرُّسُـلِ
يَلِيـهِ مُلْـكٌ شَـابَهُ جَبْرِيَّـةٌ وَبَعْـدَهُ مُلْـكٌ عَضُـوضٌ هَيْكَلِـي
وَفِيـهِ قَـوْمٌ خَذَلُـوا السِّـبْطَ ضُحًـى رَغْـمَ ادِّعَـاءِ الحُـبِّ عِنْـدَ المَقْـوَلِ
قَـدْ بَايَعُـوا وَنَكَثُـوا بَيْعَتَهُـمْ وَغَيْرُهُـمْ شَـبُّوا وَقُـودَ المِرْجَـلِ
حَتَّـىٰ اسْـتَبَاحُوا آلَ طٰـهَ بِالقَنَـا سَـلُّوا سُـيُوفَ الإِفْـكِ يَـوْمَ الكَرْبَـلِ
وَقَتَلُـوا الحُسَـيْنَ ظُلْمًـا وَافْتِـرَا بِغَيْـرِ حَـقٍّ غَيْـرِ بَغْـيٍ أَلْيَـلِ
وَاسْـتَأْصَلُوا أَصْحَـابَ طٰـهَ عَنْـوَةً فـي وَقْعَـةِ الحَـرَّةِ يَـوْمَ الجَحْفَـلِ
كما اسْـتَبَاحُوا حَـرَمَ الرَّحْمٰـنِ فـي قَتْـلِ الشَّـهِيدِ ابْـنِ الزُّبَيْـرِ البَـدَلِ
وَكَـمْ وَكَـمْ مِـنْ آلِ طٰـهَ صُلِّبُـوا وَشُـرِّدُوا فِيمَـا مَضَـىٰ مِـنْ دُوَلِ
زَيْـدٌ وَيَحْيَـىٰ ثُـمَّ ذُوالنَّفْـسِ الفَتَـىٰ وَاذْكُـرْ لِإِبْرَاهِيـمَ فـي القَفْـرِ الخَلِـي
قَـدْ قُتِّلُـوا لَمَّـا أَرَادُوا نُصْـرَةً لِمَنْهَـجِ التَّوَسُّـطِ المُعْتَـدِلِ
وَكُلُّ حِـزْبٍ فَسَّـرَ الأَمْـرَ كَمَـا يَحْلُـو لَـهُ فـي الوَاقِـعِ المُسْـتَرْذِلِ

وَاعْتَبَـرُوا الآلَ عُصَـاةً عِنْدَمَـا لـم يَلْزَمُـوا وَلَاءَ وَالٍ قَـدْ وَلِـي
وَضَـاعَ أَمْـرُ الحُكْـمِ حَتَّـىٰ لـم يَكَـدْ يَلْقَـى عُدُولًا فـي المُحِيـطِ المُخْجِلِ
سِـوَىٰ الفَتَـىٰ الَّـذِي أَعَـادَ الإِنْتِمَـا لِشَـرْعِ طٰـهَ عُمَـرَ الحَبْـرِ الوَلِـي
مَـنْ عُـدَّ فـي التَّرْتِيـبِ بَيْـنَ الخُلَفَـا سَادِسَـهُمْ فَانْظُـرْ وَدَقِّـقْ وَاعْقِـلِ
تَرْتِيـبُ فِقْـهٍ رَابِـعٍ مُوَثَّـقٍ مُحَقَّـقِ التَّأْصِيـلِ بِالنَّـصِّ الجَلِـي

ظُهُورُ مَدْرَسَةِ النَّمَطِ الأَوْسَطِ

لَمَّـا رَأَىٰ الْأَثْبَـاتُ مِـنْ أَهْـلِ النُّهَـىٰ خُطُـوْرَةَ الْأَمْـرِ بِـكُلِّ مَعْقِـلِ
وَكَثْـرَةَ الْغَوْغَـاءِ فِـيْ أَمْـرِ الْـوَلا وَشِـدَّةَ الْإِرْجَـافِ فِـيْ الْتَّحَـوُّلِ
وَمَـا جَـرَىٰ مِـنْ شَـرٍّ كَـرْبٍ وَبَـلَا وَحَصـدِ أَهْـلِ الْعِلْـمِ وَالْتَّعَقُّـلِ
أَقَـامَ آلُ الْبَيْـتِ حِصْنَـاً عَالِيَـاً لِحِفْـظِ دِيـنِ اللَّـهِ مَـنْ تَـرَذُّلِ
فأَسَّسُـوا مَدْرَسَـةَ الزُّهْـدِ الَّتِـيْ بَـدَا بِهَـا تَصَـوُّفُ الْمُسْـتَقْبَلِ
أَوَّلُ مَـنْ نَـادَىٰ بِهَـذَا عَلَـمٌ مِـنْ آلِ طٰـهَ ذُوْ مَقَـامٍ أَمْثَـلِ
عَلَـيٌّ زَيـنُ الْعَابِدِيـنَ الْمُقْتَـدَىٰ وَمَـنْ أَتَـىٰ مِـنْ بَعْـدِهِ فِـيْ الْمَنْهَـلِ
تَجَـاوَزُوْا ثَـأْرَ الْحُـرُوْبِ وَارْتَضَـوْا نَشْـرَ الْعُلُـومِ وَالْسُّـلُوكِ الْأَفْضَـلِ
تَصَـدَّرُوْا لِلْعِلْـمِ حَتَّـىٰ أَيْقَظُـوْا مَـنْ الْكَـرَىٰ مَشَـايِخَ الْتَّبَتُّـلِ
وَأَعْرَضُـوْا عَـنْ الْحُطَـامِ جُمْلَـةً وَعَـنْ صِـرَاعِ الحُكْـمِ عَيْـنِ الخَلَـلِ
وَلَـمْ يَزَالُـوا فِـيْ اجْتِهَـادٍ دَائِـمٍ وَحِفْـظِ دِيـنِ الْلَّـهِ بِالتَّسَلْسُـلِ
شَـيْخاً بِشَـيْخٍ وَإِمَـامٍ وَارِثٍ عَـنْ مِثْلِـهِ فِـيْ حِفْـظِ إِرثِ الْمُرْسَـلِ
حَتَّـىٰ أَتَـىٰ زَيْـدُ الْإِمَـامُ فَارْتَضَـىٰ شَـأْنَ الْخُـرُوْجِ بِاجْتِهَـادٍ فَيصَلِـيّ

فَكَانَ مَا كَانَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ خِذْلَانُ أَتْبَاعٍ وَسُوْءُ مَقْتَلِ
لٰكِنَّهُ قَدْ قَعَّدَ الْأَمْرَ لِمَنْ مِنْ بَعْدِهِ فِيْ الْحُكْمِ وَالْعِلْمِ الْجَلِيّ
بِمُسْنَدٍ وَمَذْهَبٍ مُسْتَوْثِقٍ مَوْقِعُهُ فِيْ الْيَمَنِ الْعَالِيَ الْعَلِيّ
مِنْ بَعْدِهِ تَعَدَّدَتْ مَذَاهِبُ الـ إِسْلَامِ حَقّاً فِيْ الْمُحِيْطِ الْأَوَّلِ
وَانْقَسَمَتْ إِلَىَ فَرِيْقٍ خَامِلٍ عَنْ الْنِّزَاعِ وَفَرِيْقٍ جَدَلِيّ
أَوَّلُهَا مِنْ بَعْدِ زَيْدٍ جَعْفَرٌ في مَذْهَبٍ أُصُولُهُ لَمْ تُجْهَلِ
قَامَتْ بِآلِ البَيْتِ حَتَّىٰ أَيْنَعَتْ فِيهِمْ بَعِيدًا عَنْ غُلُوٍّ مُبْطِلِ
مِنْ رَافِضِيٍّ كَاذِبٍ وَخَارِجٍ أَوْ سَبَئِيٍّ عَصَبِيٍّ قَاتِلِ
مَنْ مَزَّقُوا مَذْهَبَنَا وَخَالَفُوا مَقَالَةَ الآلِ الكِرَامِ البُزَّلِ
وَأَغْرَقُوا أَنْفُسَهُمْ فِي فِتْنَةٍ عَمَّتْ سُهُولَ الأَرْضِ مِثْلَ الجَبَلِ
مَذَاهِبُ الْسُّنَّةِ صَانُوْا عِلْمَهُمْ عَنِ الْصِّرَاعِ وَالْجِدَالِ الْمُخْجِلَ
وَالْتَزَمُوْا صُلْحَ الْإِمَامِ حَسَنٍ وَمَا اقْتَضَاهُ مَقْتَلُ الْسِّبْطِ الْوَلِيّ
وَمَوْقِفُ الإِبْنِ الْإِمَامِ زَينِهِم فِيْ حِفْظِهِ لِلدِّيْنِ خَيْرُ بَدَلِ
هُمْ قُدْوَةُ السَّلَامِ في شَأْنِ الوَلا وَقَادَةُ التَّصَوُّفِ المُسْتَقْبَلِي
وَمَوْقِفٌ آخَرُ لِلْثَّأْرِ دَعَا وَلِلْخُرُوْجِ ضِدَّ ظُلْمِ الْدُّوَلِ
كَمَوْقِفِ الْإِمَامِ زَيْدٍ وَكَذَا يَحْيَىٰ ابْنُهُ وَمَنْ عَلَىٰ هَذَا يَلِي
وَكُلُّهُمْ قَدْ قُتِّلُوَا وَصُلِّبُوا فَكَانَ دَرْسَاً لَشُيُوْخِ الْعَمَلِ
وَاجْتَمَعَتْ مَوَاقِفٌ مَحْمُوْدَةٌ لَسَادَةِ الْصُّلْحِ وَأَبْنَاءِ عَلِيّ
وَمَنْ أَحَبَّ الْسِّلَمَ دُوْنَ ثَوْرَةٍ مُستُصْبِحِينَ بِالْرِّجَالِ الْكُمَّلِ
وَشَذَّ بَعْضُ الرَّافِضِينَ شَطَطاً وَأَفْرَطُوْا فِيْ الْآلِ وَالْبَحْرِ الْمَلِيّ

وَنَسَبُوْا إِفْرَاطَهُمْ لِجَعْفَرٍ وَهُوَ الْبَرِيءُ مِنْ غُلُوٍّ مُخْجِلِ
فَمَذْهَبُ الصَّادِقِ عَدْلٌ ثَابِتٌ وَمَذْهَبُ الْغَالِيْنَ إِفْرَاطٌ جَلِي
يُعَمِّمُ الثَّأْرَ وَيَدْعُوْ شَطَطاً فِيْ كُلِّ عَصْرٍ لِلْعَدَاءِ الْعَائِلِيّ
وَمِثْلُ هٰذَا لَا يَلِيْقُ أَبَداً بِالْمُنْتَمِينَ لِلْنَّبِيِّ الْأَكْمَلِ

سَلَامَةُ مَنْهَجِ النَّمَطِ الْأَوْسَطِ مِنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيْطِ

كُلُّ الْكِرَامِ الْوَارِثِيْنَ انْتَهَجُوا نَهْجَ الرِّجَالِ الصَّالِحِيْنَ الْبُزَّلِ
لَمْ يَرْفُضُوْا الشَّيْخَيْنِ بَلْ وَالَوهُما مِنْ أَوَّلِ الْعَهْدِ الْقَدِيْمِ الْأَوَّلِ
وسَانَدُوا الصِّدِّيْقِ فِيْ قَرَارِهِ وَسَاعَدُوْا الْفَارُوْقَ لَمَّا أَنْ وَلِي
وَلَمْ يُمَالُوْا الْمَارِقِيْنَ عِنَدَما تَظَافَرُوا لِحَصْرِ عُثْمَانَ الْوَلِي
وَحَيْدَراً فِيْ عَهْدِهِ قَدْ سَانَدُوا حَتَّىٰ غَدَوْا فِيْ صَفِّهِ كَالجَحْفَلِ
وَالْتَزَمُوْا صُلْحَ الْإِمَامِ حَسَنٍ وَقَبِلُوا تَرْكَ الْعِرَاقِ الْمُوْحِلِ
وَاسْتَأْنَسُوا فِيْ طَيْبَةٍ وَنُزْلِها حَتَّىٰ وَفَاةِ الْحَسَنِ المُبَجَّلِ
قَدْ جَانَبُوا غَيَّ الصِّرَاعِ طَلَبًا لِلْأَمْنِ بَيْنَ الْمُفْسِدِينَ الْعُجَّلِ
كما لَهُمْ في الْأَمْنِ سَيْرٌ ثَابِتٌ وَنُصْرَةٌ لِلْعِلْمِ بَعْدَ العَمَلِ

آثَارُ نَقْضِ الْعَهْدِ وَمَوَاقِفُ النَّمَطِ الْأَوْسَطِ

أَبَىٰ الْحُسَيْنُ بَيْعَةً لِنَاكِثٍ وَظَلَّ فِيْ مَوْقِفِهِ شَهْماً عَلِي
حَتَّىٰ أَتَتْهُ بَيْعَةٌ مِنْ شِيْعَةٍ فِيْ الرَّافِدَيْنِ حَيْثُ صُنْعُ الْحِيَلِ

فَاسْتَخْرَجُوهُ ثُمَّ بَاعُوْا عَهْدَهُ حَتَّىٰ غَدَا مُضَرَّجاً فِيْ كَرْبَلِ
وَقُتِّلَ الْآلُ الْكِرَامُ كُلُّهُمْ فِيْمَا عَدَا زَينِ الْعِبَادِ الْأَبْجَلِ
فَلَا الْغُلَاةُ أَحْسَنُوْا فِيْنَا الْوَلا وَلَا الْبُغَاةُ احْتَرَمُوْا آلَ عَلِيّ
لِأَجْلِ هٰذَا عَلَّمُوْنَا أَهْلُنَا نَهْجَ الْطَّرِيْقِ الْحَقِّ دُوْنَ عِلَلِ
أَنَّا نُرِيْدُ الْفَصْلَ فِيْ يَوْمِ الْقَضَا وَلَا نُرِيْدُ الْعَدْلَ مَنْ غِرٍّ خَلِيّ
وَشُغْلُنَا فِيْ هَذِهِ الْدُّنْيَا الرِّضَا بِكُلِّ مَا يَقْضِيْهِ مَوْلَانَا الْعَلِيّ
فَمَنْ أَحَبَّ الْآلَ حُبّاً صَادِقاً عَلَيْهِ يَرْضَىٰ مَوْقِفَ الآلِ الجَلِي
وَمَنْ تَرَدَّىٰ فِيْ سِيَاسَاتِ الْعِدَا لَا بُدَّ أَنْ يُكْشَفَ مَا فِيْهِ ابْتُلِي
لَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَفِيْقَ عَائِداً إِلَىَ الْهُدَىٰ فَالْحَقُّ فِيْ الأَمْرِ اجْتُلِيّ
بِأَهْلِهِ أَهْلِ الْسَّلَامِ وَالْتُّقَىٰ أَهْلِ الْقَرَارِ الْعَالَمِيِّ الْأَمْثَلِ

ضرورة إعادة قراءة ثمرات أركان الدين مجتمعة

مِنْ أَجْلِ رَفْعِ الحَرَجِ المُفْضِي إِلَىٰ نَقْضِ العُرَىٰ وَالقَبْضِ بَيْنَ المُثُلِ
وَدَرْءِ مَا قَدْ شَابَنَا مِنْ ضَرَرٍ وَمَا أُشِيعَ مِنْ صِرَاعٍ قَبَلِي
وَالكَشْفِ بِالعِلْمِ الشَّرِيفِ كُلَّمَا قَدْ كَانَ مِنْ غِيِّ الخِلَافِ الشِّلَلِي
وَمَا سَيَأْتِي مِنْ شَتَاتٍ قَادِمٍ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَخَيْرِ مُقْبِلِ
لابُدَّ مِنْ دِرَاسَةٍ شَامِلَةٍ لِوَحْدَةِ الأَرْكَانِ وَفْقَ المَنْزِلِ
أَرْبَعَةٌ مَزْمُومَةٌ فِي بَعْضِهَا أَسَاسُ (أُمِّ السُّنَّةِ) المُكْتَمِلِ

ثَوَابِتٌ وَنَاقِضٌ لِثَابِتٍ وَمَا اسْتَجَدَّ مِنْ عُلُومِ الجُمَّلِ
هٰذَا الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ سَلَامَةٌ لِكُلِّ ذِي سَلَامَةٍ مُعْتَدِلِ
وَفِيهِ كَشْفُ الكَاذِبِينَ كُلَّمَا قَدْ لَبِسُوا ثَوْبَ الصَّلَاحِ المَخْمَلِي
لِيَسْتَبِينَ الفَرْقُ بَيْنَ مُسْلِمٍ مُسْتَوْثِقٍ بِرَبِّهِ فِي العَمَلِ
وَبَيْنَ أَهْلِ الكُفْرِ فِي مَسْلَكِهِمْ وَمَا لَهُمْ مِنْ خِدْعَةٍ أَوْ حِيَلِ
وَمَا جَرَىٰ مِنْ سِرِّ تَوْسِيدِ العِدَا فِي العَالَمِ المَخْذُولِ بَيْنَ الكُتَلِ
وَضُيِّعَتْ أَمَانَةٌ مَأْمُونَةٌ فِيمَا مَضَىٰ مِنْ فِتْنَةِ التَّمَوُّلِ
وَكُلُّ هٰذَا بَارِزٌ وَوَاضِحٌ فِي رَابِعِ الأَرْكَانِ بِالتَّحَوُّلِ

إِسْنَادُ مَدْرَسَةِ حَضْرَمَوْتَ وَٱرْتِبَاطُهَا بِمَوَاقِفِ ٱلنَّمَطِ ٱلْأَوْسَطِ

تَسَلْسَلَتْ مَوَاقِفُ الْحَقِّ ابْتَدَا مِنْ عَصْرِ طٰهَ الْسَّيِّدِ الْمُكَمِّلِ
وَبَعْدَهُ مَوَاقِفُ الْآلِ الَّتِيْ قَامَتْ عَلَىٰ عَهْدَ الْقَرَارِ الْأَوَّلِ
فَمَوْقِفُ الْإِمَامِ كَانَ حُجَّةً وَمَوْقِفُ الْزَّهْرَاءِ بِالْعُذْرِ اجْتُلِي
وَاسْتَوْزَرَ الْأَصْحَابُ بَابَ عِلْمِهَا فِيْ طُولِ عَهْدِ الْحُكْمِ دُوْنَ عِلَلِ
حَتَّىٰ أَتَاهُ الْحُكْمُ وَهُوَ ثِقَةٌ فِيْ عَهْدِ هَيْشَاتِ الْوَلَاءِ الْمُوْحَلِ
وَجَرَّدَ الْسَّيْفَ فَكَانَ حَتْفُهُ عَلَىٰ يَدِ الْأَشْقَىٰ الْخَسِيسِ الْأَرْذَلِ
فَقَامَ بِالْأَمْرِ الْحَصِيْفِ حَسَنٌ وَوَقَّعَ الْصُّلْحَ بِوَعْيٍ أَشْمَلِ
لَمَّا رَأَىٰ الْأَطْمَاعَ صَارَتْ شِرْعَةً وَالْدِّيْنَ ضَاعَ فِيْ صِرَاعٍ دجَلِي
أَلْقَىٰ الإِمَامُ الظَّالِمِينَ دُونَهُ بَعْضًا عَلَىٰ بَعْضٍ وَقَالَ حُقَّ لِي

وَاسْـتَأْمَنَ الْنَـاسُ عَلَـىٰ أَعْرَاضِهِـمْ بِالْصُّلْـحِ رَغْمَ الْسَّـعْيِ خَلْـفَ الْحِيَلِ
مِمَّـنْ رَعَـىٰ القَـرَارَ دُونَ شَـرَفٍ لِصَـدِّ آلِ البَيْـتِ عَـنْ حَـقٍّ جَلِـي
وَحَـاوَلَ الْحُسَـيْنُ فِـيْ شِـيْعَتِهِ فَلَـمْ يَجِـدْ مِـنْ نَاصَـرٍ فِـيْ كَرْبَـلِ
غَيْـرَ الْعِـدَا مَنْ جَـرَّدُوا سَـيْفَ الْرَّدَىٰ لِلْسِّـبْطِ وَالْآلِ الْكِـرَامِ الْكُمَّـلِ
فضـاع دَمُّ السبط بيـن قاتـل مُـستكبِرٍ وبَيـن حِـبٍّ خَـاذِلِ
فَجَـاءَ عَصْـرُ ابْـنِ الْحُسَـيْنِ الْمُقْتَدَىٰ مِـنْ أَصَّـلَ الْسَّـلَامَ بِالْتَمَهُّـلِ
وَأَسَّـسَ الْفَهْـمَ الْجَلِـيَّ فِـيْ الْـوَلَا بِالْصَّبْـرِ دُوْنَ الانْفِعَـالِ الْمُخْجِـلِ
وَتَـرَكَ الْقَـرَارَ دُوْنَ حَسْـرَةٍ عَلَـىٰ الْقَـرَارِ أَوْ صِـرَاعِ الْـدُّوَلِ
وَجَـرَّدَ الْعَـزْمَ لِدِيْـنٍ وَاضِـحٍ بِالْعِلْـمِ وَالْحِلْـمِ الْجَلِيْـلِ الْأَجْمَـلْ
بَيْـنَ الْشُّـعُوْبِ هَادِيَـاً وَدَاعِيـاً بِالْقَـوْلِ وَالْفِعْـلِ الْسَّـوِيِّ الْأَمْثَـلِ
وَنَـالَ هَـذَا الْإِرْثَ خَيْـرُ وَارِثٍ مُحَمَّـدُ الْبَاقِـرُ شَـيْخُ الْمَحْفَـلِ
مَـنْ بَقَـرَ الْعِلْـمَ وَكَانَ أَهْلَـهُ بِشَـارَةً مِـنْ الْنَّبِـيِّ الْمُرْسَـلِ
وَنَـالَ هَـذَا جَعْفَـرٌ مِـنَ بَعْـدِهِ وَأَسَّـسَ الْمَذْهَـبَ حِصْنَـاً مُعْتَلِـيْ
وَاخْتَلَفُـوَا مِـنْ بَعْـدِهِ أَتْبَاعُـهُ وَأَفْرَطُـوْا وَفَرَّطُـوا كَالعُـذَّلِ
وَلَـمْ يَـزَلْ إِشْـكَالُ هَـذَا قَاسِـماً بَيْـنَ الْـوَلَاءِ وَالْبَـرَاءِ الْمُشْـكِلِ
كَـذَاكَ مُوْسَـىٰ الْكَاظِـمُ الْعَـدْلُ لـه مَقامَـه العَالِـي فَحقِّـق واسـألِ
والسـيِّدُ النـدبُ علـيٌّ ذُو الرِّضَـا شَـيخُ العُلـوم وإمَـامُ المُثُـلِ
وَصَاحِـبُ الْعُرَيْـضِ مِـن بَعْـدُ أَتَـىٰ مُبْتَعِـداً عَـنْ كُلِّ شَـيْنٍ مُوْحِـلِ
مُؤَسِّـساً نَهْـجَ الْطَّرِيْـقِ قَانِتـاً مُجْتَهِـداً بِالْنَّـصِّ غَيْـرَ مَوْغِـلِ
مُلْتَزِمـاً نَهْـجَ الْإِمَـامِ جَعْفَـرٍ نَهْـجَ الْأُصُـولِ دُوْنَ غَـيِّ الْجَـدَلِ

وَبَعْـدَهُ مُحَمَّـدٌ مِـنْ ارْتَضَـىٰ أَرْضَ الْعِـرَاقِ لِلْمَقَـامِ الأَشْـمَلِ
وَوَرِثَ الْمَقَـامَ عِيْسَـىٰ مَـنْ مَضَـىٰ فِـيْ النَّهْـجِ نَهْـجِ الصَّالِحِيْـنَ الْأُوَلِ
أَكْـرِمْ بِهِـمْ مِـنْ سَـادَةٍ لمّـا رَأَوْا سُـوءَ الصِّـرَاعِ وَالنِّـزَاعِ المُفشِـلِ
نَـأَوْا عَـنِ الْقَـوْمِ الْغُـلَاةِ وَسَـمَوا عَـنْ كُلِّ غَـيٍّ مُوْقِـعٍ فِـيْ الْأَرْذَلِ
وَأَصَّـلَ الْفِقْـهَ شِـيُوْخُ الإهْتـدا مَـنْ أَخَـذُوْا الْإِسْـنَادَ بِالتَّسَلْسُـلِ
مَذَاهِـبُ الْسُّـنَّةِ صَـارَتْ مَرْجِعـاً مُعْتَبَـراً عِنْـدَ الْشُّـيُوخِ الْكُمَّـلِ
آلَـتْ لِآلِ الْبَيْـتِ دُوْنَ شَـطَطٍ وَالْتَزَمَـتْ صُلْـحَ الْإِمَـامِ الْأَمْثَـلِ
وَاسْـتَرْجَعَتْ لِلّـهِ فِيمَـا قَـدْ جَـرَىٰ لِلسَّـيِّدِ الحُسَـيْنِ يَـوْمَ الكَرْبَـلِ
وَأَنَّـهُ مُجْتَهِـدٌ بِفِعْلِـهِ قَـدْ جَنَّـبَ الحِجَـازَ سُـوءَ العِلَـلِ
وَظَـلَّ نَهْـجُ الإِجْتِمَـاعِ سَـائِدًا فـي كُلِّ عَصْـرٍ بِالعُـدُولِ البُـزَّلِ
ولَـمْ يَشـذ غيـر ذي حَمَاقَـة أو مـن أقـام السـيف فـوق المُثـلِ

هِجْرَةُ الْمُهَاجِرِ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَىٰ مِنَ الْعِرَاقِ إلى حضرموت

وإسناد المدرسة وارتباطها بالنمط الأوسط

وَأَحْمَـدُ الْمُهَاجِـرُ الْنَّـدْبُ الْفَتَـىٰ شِـهَابُ دِيَنِ اللـه ذِيْ الْقَـدْرِ الْعَلِيّ
أَشَـاحَ عَـنْ أَرْضِ الْعِـرَاقِ وَجْهَـهُ مُهَاجِـراً عَنْهَـا لِخَيْـرِ مَنـزِلِ
وَحَـلَّ وَادِيْ حَضْرَمَـوتَ هَانِئـاً مُؤَسِّـساً نَهْـجَ الْرِّجَـالِ الْكُمَّـلِ
مِـنْ آلِ طٰـهَ فـي اعْتِـدَالٍ شَـامِلٍ أَئِمَّـةِ الدِّيـنِ حُمَـاةِ المَنْـزِلِ
مُبْتَعِـدًا عَـنِ الغُلُـوِّ وَالجَفَـا مُلْتَزِمًـا نَهْـجَ النَّبِـيِّ وَعَلِـي

أَقَامَ نَهْجَ الإِعْتِدَالِ وَاعِياً — وَمُصْلِحاً شَأنَ اخْتِلَافِ الْكُتَلِ

بَيْنَ الشُّعُوْبِ دُوْنَ إِشْغَالِ الْوَرَىٰ — بِالْحُكْمِ وَالْكُرْسِيِّ شَرِّ مِفصَلِ

هٰذَا طَرِيْقُ الْعَدْلِ حَقّاً فِيْ الْأُلَىٰ — نَهْجُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ خَيْرِ وَلِيّ

عَلَيْهِ سَارَ الْمُنْصِفُوْنَ الْأَتْقِيَا — مِنْ سَادَةٍ الصُّلْحِ الْكِرَامِ الْعُدَّلِ

وَمِثْلُهُمْ بَقِيَّةُ السَّيْفِ غَدَوا — بَحْراً خِضَمّاً بِالْعُلُومِ مُمْتَلِيْ

بِهِمْ حُمِيْنا مِنْ صِراعٍ مُفْسِدٍ — وَمَنْ جِدَالٍ مُحْبِطٍ لِلْعَمَلِ

وَأَكْمَلَ النَّهْجَ الْفَقِيْهُ الْمُقْتَدَىٰ — بِكَسْرِ سَيْفِ الْحَرْبِ حَرْبِ الْكتلِ

وَأَيَّدَ الشَّيْخُ الْعَمُوْدِيُّ لَهُ — فَاتَّحَدا فِيْ حَسْمِ كُلِّ مُعْضِلِ

لَا ثَأْرَ لَا تَغْرِيرَ فِيْمَا قَدْ مَضَىٰ — بَلْ حَمْلُ نَهْجِ الذَّوْقِ خَيْرِ بَدَلِ

وَهٰكَذَا كَانَ انْتِشَارُ نَهْجِهِمْ — بِالْعِلْمِ وَالْأَعْمَالِ بَيْنَ الْمُثُلِ

بِنَاءُ هٰذَا الدِّيْنِ وَهُوَ حُجَّةٌ — عَلَىٰ الْجَمِيْعِ فِيْ الزَّمَانِ الْأَرْذَلِ

وَلَيْتَنَا مِنْ بَعْدِ هَذَا لَمْ نَجِدْ — ضِدّاً وَلٰكِنْ قَدْ وَجَدْنَا مَنْ بُلِيَ

مِنَّا وَمِمَّنْ قَدْ غَزاهُ ضِدُّنَا — يَهْذُوْنَ كَالْمَحْمُوْمِ فِيْ الْعَصْرِ الْخَلِيّ

ظَنُّوْا الْأَمَانِي بِالْتمَانِي وَالْأَذَىٰ — وَالشَّتْمِ لِلْأَسْلَافِ دُوْنِ فَيْصَلِ

مَا بَيْنَ مَخْدُوعٍ يُنَادِيْ أَهْلَهُ — كَيْ يُسْلَمُوْا مِنْ بَعْدِ شِرْكٍ مُفْشِلِ

أَوْ طَالَبٍ لَعْنَ الصِّحَابِ قُرْبَةً — كَيْ يَنْصُرُوَا الدِّيْنَ بِلَعْنِ الْأَوَّلِ

يَأْبَوْنَ نَهجَ الإِعْتِدَالِ نَزْغَةً — لِلطَّبْعِ لَا لِلشَّرْعِ فَافْهَمْ وَاعْقِلْ

جَرَاءَةً مَذْمُوْمَةً كَأَنَّمَا — قَدْ أَمَرَ الدِّيْنُ بِهٰذَا الْخَلَلِ

وَعِلَّةُ الْأَمْرِ احْتِوَاءُ النُّشَطَا — مِنْ أَهْلِ حِزْبِ النَاعِقِينَ الْعُذَّلِ

مَنْ حَرَّفُوْا نَهجَ اعْتِدَالٍ ثَابِتٍ — مُنْذُ الصِّبَا بَيْنَ الْهَوَىٰ وَالْعِلَلِ

مِـنْ دَارِسٍ فِـيْ خَدَمَـاتِ الْإِحْتِـوَا أَوْ جَامِـحٍ خَلْـفَ الْصِّـرَاعِ الْدُّوَلِيّ
أَوْ مُنْتَـمٍ لِمُفْـرِطٍ فـي مَنْهَـجٍ أَوْ تَابِـعٍ لِهَالِـكٍ مُسْـتَعْجِلِ
قَـدْ شَـغَلُوا أَنْفُسَـهُمْ بِمَـنْ مَضَـىٰ وَضَيَّعُـوا فَـرْضَ الزَّمَـانِ المُوحِـلِ
فَاسْـتَحْوَذَ الشَّـيْطَانُ جُـلَّ وَقْتِهِـمْ فـي النَّبْـزِ وَالتَّحْرِيـشِ وَالتَّكَتُّـلِ
بُيُوتُهُـمْ مَغْلُولَـةٌ وَعَيْشُـهُمْ مِـنْ شُـبَهِ التَّمْوِيـلِ صَـارَ مُمْتَلِـي
أَصَابَهُـمْ مَـسُّ الرِّبَـا فَمُحِقُـوا وَخَبَطُـوا وَخَلَطُـوا فـي المَقْـوَلِ
كَمَـا أَتَـىٰ فـي الآيِ عَنْهُـمْ فَغَـدَوْا بِجَهْلِهِـمْ يَهْـوَوْنَ صُنْـعَ الحِيَـلِ
مُتَّخِذِيـنَ الدِّيـنَ دِرْعًـا وَاقِيًـا كَـيْ يَهْدِمُـوا أَرْكَانَـهُ بِالمِعْـوَلِ
وَمِنْهُـمُ يَـدْرِي وَمِنْهُـمْ مَـا دَرَا تَحْكُمُهُـمْ مَصَالِـحُ المُمَـوِّلِ
قَـدْ أَخْبَـرَ المُخْتَـارُ عَـنْ ظُهُورِهِـمْ فـي آخِـرِ الزَّمَـانِ فَاقْـرَأْ وَاسْـأَلِ

نَصِيحَةٌ لِمَنْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ

يَـا مَـنْ تُرِيْـدُ الْعَـدْلَ فِـيْ دُنْيَـا الهُـرا وَالْأَمْـنَ يَـوْمَ الْإِحْتِـكَامِ الْمُخْجِـلِ
دَعْ عَنْـكَ تَعْنِيْفِـي وَكُـنْ مُسْـتَمِعاً نُصْحِـيْ تَرَانِـيْ صَادِقـاً فِـيْ مِقْوَلِـي
جَالَسْـتُ قَوْمـاً مِـنْ شُـيُوْخِ الإِهْتِـدَا هُـمْ عَلَّمُوْنِـيْ الْصَّبْـرَ عَمَّـا حُـقَّ لِـي
رَأَيْتُهُـمْ جِبَـالَ عِلْـمٍ وَهُـدَىً قَـدْ وَرِثُـوا الْآدَابَ عَـنْ كُلِّ وَلِـيّ
لَا يَشْـتُمُونَ مَـنْ تَعَـدَّىٰ وَبَغَـىٰ بَـلْ رُبَّمَـا صَانُـوْهُ حُبًّـا لِلْعَلِـي
حُجَّتُهُـمْ أَخْـلَاقُ طَـهَ الْمُصْطَفَـىٰ لِأَنَّهُـمْ وُرَّاثُـهُ فِـيْ الْعَمَـلِ

فَلْيَحْذَرِ الْأَتْبَاعُ مِنْ دُنْيَا الْفَنَا وَلَوْثَةِ اللَّعْنِ الشَّنِيْعِ المُفْشِلِ
أَوْ لَوْثَةِ التَّشْرِيكِ فِيْ أَهْلِ الْهُدَىٰ مِنْ قَانِتٍ أَوْ عَابِدٍ أَوْ مَثَلِ
مَهمَا يُثِيرُ الْمُغْرِضُونَ الْبُلَدَا مِنْ شُبُهَاتِ الإِفْكِ فَالْحَقُّ جَلِي
وَكُلُّ شَيءٍ قَائِمٌ بِأَحْمَدٍ أَصْلِ السُّلُوكِ لَا بِشَطْحِ الْمُوغِلِ
فَنَحْنُ بَيْنَ مِحْنَتَيْنِ عَبَثَتْ بِالدِّيْنِ وَالدُّنْيَا غَلَتْ بِالْعُذَّلِ
إِفْرَاطُ أَحْبَابٍ تَمَادَوْا فِيْ الْهَوَىٰ كَذَاكَ تَفْرِيطُ الْمُبِيرِ الْجَدَلِيّ
قَدْ دَمَّرُوا أَوْطَانَنا فِيْمَا مَضَىٰ وَفَرَّقُوْنا شِيَعاً بِالحِيَلِ
مَطِيَّةُ الإِبْلَيْسِ أُسْتَاذِ الْأَنَا وَمَرْجِعِ التَّفْرِيْقِ بَيْنَ السُّبُلِ
تَارِيْخُهُ مُنْذُ الْقَدِيْمِ فِتْنَةٌ بينَ الشُّعُوْبِ بِالْصِرَاعِ المُفشِلِ
فَرِّقْ تَسُدْ أَسَاسُ تَفْكِيْكِ الْعُرَىٰ وَمِثْلُهُ التَّحْرِيْشُ بَابُ الْجَدَلِ
تَنَافُسٌ مِنْ أَجْلِ حُكْمٍ وَوَلَا وَسُلْطَةِ الْمَالِ الْذَمِيْمِ المَرحَلِيّ
وَفِتْنَةِ التَّفْرِيْطِ وَالإِفْرَاطِ فِيْ كُلِّ شُؤُوْنِ الْأَمْرِ أَصْلِ الْمَقْتَلِ
يَا رَبِّ وَاحْفَظْنَا وَسَلِّمَ دِيْنَنَا فِيْ هٰذِهِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْمَوْئِلِ
وَلَا تَكِلْنَا لِلَّذِيْنَ أَفْرَطُوْا أَوْ فَرَّطُوا فَالْكُلُّ فِيْ الْأَمْرِ ابْتُلِي
وَاسْلُكْ بِنَا مِنْهَاجِ طٰهَ الْمُصْطَفَىٰ وَآلِهِ الْأَطْهَارِ أَهْلِ الْعَمَلِ
وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ أَهْلِ الاِقْتِدَا وَالتَّابِعِيْنَ فِيْ الْطَّرِيْقِ الْأَمْثَلِ
حَيَّاهُمُ الرَّحْمٰنُ سَادَاتِ الْوَرَىٰ أَهْلِ السُّلُوكِ الكَامِلِ المُكَمَّلِ
وَلْيَعْذُرَنِّيْ كُلُّ مَفْتُوْنٍ قَضَىٰ لُبَّ الْحَيَاةِ فِيْ اتِّبَاعِ الْعِلَلِ
فَدَافِعُ الْنَّظْمِ اعْتِقَادِيَّ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفِ الْحَقَّ الْنَّقِيَّ الْمُجْتَلِي
أَو أَنَّهُ فِيْ خِدْمَةٍ مَدْرُوْسَةٍ غَابَتْ عَنِ الْوَعْيِ الْشَّتِيْتِ الْمُخْجلِ

أَوْ فِـيْ طُمُـوْحٍ جَامِـحٍ قَـدْ شَـابَهُ أَوْ عُقْـدَةٍ فِـيْ ذَاتِـهِ لَـمْ تُحْلَـلِ
أَوْ مِـنْ مُصَـلٍّ رَاغِـبٍ فِـيْ سُـلْطَةٍ أَوْ جَاهِلِـيٍّ طَائِفِـيٍّ قَبَلِـي
وَهٰـذِهِ الْأَسْـبَابُ أَصْـلُ مَـا نَـرَىٰ أَوْ مَـا جَـرَىٰ مِـنْ فِتْنَـةِ الْتَّحَـوُّلِ
أَوْ مَـا سَـيَأْتِي مِـنْ صِـرَاعٍ قَـادِمٍ أَوْ حَاضِـرٍ يُفْضِـي إِلَـىَ الِتُـرْذُّلِ
وَالخَتْـمُ بِالمُخْتَـارِ طٰـهَ المُصْطَفَـىٰ مَـنْ بَيَّـنَ الأَمْـرَ عَلَـىٰ الحَـقِّ الجَلِـي
صَلَّـىٰ عَلَيْـهِ اللّٰـهُ ما نَجْـمٌ بَـدَا كَمَـا أَتَـىٰ عَـنْ طَـارِقٍ مُسْـتَقْبَلِي
وَآلِـهِ الأَطْهَـارِ سَـادَاتِ الـوَرَىٰ وَالصَّـحْـبِ أَهْـلِ الفَضْـلِ وَالتَّبَتُّـلِ
جَازَاهُـمُ الرَّحْمٰـنُ عَنَّـا أَبَـدًا خَيْـرَ الجَـزَاءِ يَـوْمَ جَمْـعِ الثُّلَـلِ

تمت منظومة الرضا.. ونسأل اللّٰه الرضا .. واللطف فيما يجري به القضا
وآخر دعوانا أن الحمد للّٰه رب العالمين
يلي هذه المنظومة
منظومة (ولا ينبئك مثل خبير)

منظومة

ولا ينبئك مثل خبير

عن آثار الفعل ورد الفعل حول ما يُشاع عن يوم الغدير

قِرَاءَةٌ شَرْعِيَّةٌ تَعْلِيمِيَّةٌ مِنْ خِلَالِ تَطْبِيقَاتِ فِقْهِ التَّحَوُّلَاتِ
عَلَى مَوَاقِفِ المُسْلِمِينَ المُتَعَارِضَةِ وَآثَارِهَا السِّيَاسِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ
وَإِبْرَازِ مَوْقِفِ أَهْلِ النَّمَطِ الأَوْسَطِ فِيمَا دَارَ وَمَا يَدُورُ
وَثَمَرَاتِ ذَٰلِكَ مَاضِياً وَحَاضِراً وَمُسْتَقْبَلاً

بِقَلَمِ خَادِمِ السَّلَفِ

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

لَطَفَ ٱللَّهُ بِهِ

تمهيد

الحمـد لربي على مدى الأزمان ، والصلاة والسـلام على سـيد ولـد عدنان ، محمد بن عبدالله رسـول الإنس والجان ، والمبعوث هداية ورحمة لكل الذوات والأجناس والألوان ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى والإيمان ، وعلى التابعين لهم بإحسان .

وبعـدُ فقد بلغ السـيل الزبا ، وارتفعت أصوات المسـلمين ضـد بعضهم البعض بعد تفرقهم كأيدي سـبا.. حيث أخذ الصراع الطائفي دوره اليوم في مسـير الحياة بعد أن أخذ الصراعُ الاعتقاديُّ الدورَ قبله بسنوات، وقد رأينا من قبل ذلك الصراعَ الطبقـيَّ فـي محيط الأوطـان يحصد المئـات ويشـغل الفئات، وكانـت ثمرة هذه الأدوار المتلاحقة زيادة الغربة والشـتات ، ولم يتحقق في كل مرة هدف ولا غاية ما عدا ما شهدناه من تدخل الأعداء ، وتمكنهم في كل جولة من وضع أيديهم على الرقاب والثروات، وامتلاكهم مواقع القرار وأسـباب الاسـتقرار بسياسة خبيثة من شجرة خبيثة ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم:٢٦].

وكأني بالآية الكريمة تشير إلى هذه الأمة التي نزع منها قرارها وسلب استقرارها ، وغزيـت بليـل في أعز ما تملكه وتتمناه ، ومُنحت بسياسـةِ التوسـيدِ المنصوصِ عليه ضياعَ الأمانةَ وشـمولَ سياسـةِ الخيانـةِ، حتى تجيَّش المسـلمون في مراحل الغثـاء ضد بعضهم البعض، ودفع بهم إبليس نحـو التنافس والتحريش في الطول والعـرض، فاكتسـبوا صفة التنمـر والتحدي فيمـا بينهم، كما خلـدوا إلى الأرض واسـتتبعوا أهواءهـم في شـأن العلاقـة بثقافة وسياسـة واقتصاد وإعـلام أعدائهم علـى غيـر تمييز ولا تثبت ولا تمحيـص ، فهم بهذه الثقافة السياسـية والاقتصادية والإعلاميـة يتعلمـون ويعلمـون، ويدفعـون بأبنائهـم وبناتهـم في مسـارب جحر

الضب يتأهلـون ويتخرجون ويُستخدمون ويخدمـون ، فتراهم في واقـع الحياة المعاصرة غربيين شرقيين ، وتسمعهم في واقع الديانة عصبيين طائفيين متعصبين ، يتجهـزون بين الفينـة والفينة من خلال واقع الخدمات، ومـن داخل أقبية البنوك والمؤسسـات لحرب شـعواء تأكل الأخضر واليابس[١]، قوامُها عنـد فريقٍ مندفعٍ مسـخُ المعالم الصوفية ، ولدى فريقٍ منتفعٍ تقويضُ مظاهرِ السـلفيةِ، ومن خلفهم فِرَقٌ مستجِدَّةُ الفكرةِ والرؤى تُعِدُّ العُدَّةَ لمسخِ الجميـع خلال معركة الولاء لآل البيت المظلومين وآل محمد ﷺ المحرومين برعاية مشبوهة عالمية.

ويتلفت المتأمل إلى الظالمين في رحلة التاريخ فيجدهم قد ذهبوا أدراج الرياح، ومثلهـم المظلومون الأوائل قد انتقلوا بمظلمتهم إلى عالم المسـتراح، فما يدري المسـتبصر المعاصر مَن هو المتهم بالخيانة اليوم ليقام عليه الحد الشـرعي، ومن هو المَعنيّ بحمل الأمانة ليُسـار خلفه بشـاهد قطعي.. في زمن أجمعت أدلة الفقه النبـوي الصحيحـة أنه عصر فتنة واسـتتباع وغثاء واندفاع وانتفاع : قادتُه الأشـياع والأقماع.. مستثمرُه الكافرون المستعمرون والمستهترون أولو الحقد والأطماع.. عدوُّهم الأصليُّ الإسلام، وغرضُهم المبدئيُّ هزيمةُ المسلمين في معركة الصمت والكلام.. واحتواء الأسباب الوضعية والشرعية لتهيئة العقول والقلوب والأرواح والأجساد، لمشروع «فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل ـ فيها ـ مؤمنا ويمسي كافرا أَوْ يُمْسِـي مُؤْمِنًا ، وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[٢] فيرتبط أولها بآخرهـا وآخرهـا بأولها ، منذ مقتلِ الخليفـة المصطبِر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ومنذ تخلي الإمام الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن كرسي خلافته تاركاً زمام السلطة إلى غيره، ومنذ إثبات الإمام الحسـين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شجاعة آل البيت في مواقفهم المصيرية ومقتله بين تخاذل المحبيـن الثرثارين وخيانـة البغاة القتلـة المبغضين.. مؤكداً نهايـة النصرة بمقتله وأهل بيته المظلومين..

وأَوَّلُ مَـن علم ذلك ووعاهُ وأشـاح عن خطرِه بمعناه ومبناه إمامُنا السـجادُ عليٌّ زيـنُ العابديـن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي كان مَعْنِيّاً بأخذ الثأرِ وإقامةِ المطلبِ والشِّـعارِ، ولكنّه

---

(١) ملحـظ هـام هنا في قوله: (حـرب) حيث أوعد الله تعالى آكلي الربا بالحرب المشـار إليها كثمرة من ثمرات أكل السحت والحرام ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[البقرة:٢٧٩] .

(٢)رواه مسلم (١٢٠).

رسـم لآل البيت مدرسةَ السـلامة ، وكان خير قارئ للدلالة والعلامة فاغْتَنَمَها في سـبيل الاقتداء والاهتداء.. وكان درسـا لمن ﴿أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء:١٩]، فلـم يجيـش أحداً على أحد في ذكريات آبائـه، ولـم يقم مأتماً أو دعا إليه أو أوصى به لنصرة المظلومين في ذلك اليوم الخطير على مدى مسيرة حياته.

وإنمـا حقيقـةُ الأمر لمـن أراد الحقيقـةَ أن مبتدأ هـذا التركيب السياسـي صراعٌ مفتعـلٌ بيـن فئتين لا علاقـة لآل البيت الأكابـر بهما ولا بثمراتهمـا ، إلا من حيث نسبة الأمر إليهم :

* إما على أَلْسِنَةِ فئةِ المُفْرِطِين الغلاة.
* أو التلبيس عليهم بأَلْسِنَةِ فئةِ المُفَرِّطِين البغاة.

وهـذان الفريقـان هما اللذان اكتسـبا القـدرة على الحركـة بين مالِـكٍ للقرار أو معارضٍ له.. وهما في قراءة تاريخ النصوص معلومون صفةً وحالاً وشعاراً.. ولا يخرج عنهما إلاّ المخدوعون المستغفلون الذين تأخذ بهم المحبة الجامحة مأخذَ الاسـتتباع.. أو جماعةٌ من سـادة الصلح وبقية السـيف اجتهدوا فثاروا على الظلم واستشهدوا في سبيل الله.. ولا يقاس عليهم أحد من الأطراف المتعارضة ألبتة.

ومقدمتُنا هذه قاعدةُ عملٍ ومشـروعُ بناءٍ مُسْـنَدٍ للتعرف على المخرج الصحيح الذي اتخذه فريق النمط الأوسـط لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وليستْ معارضةً لمُحِبٍّ مندفعٍ ولا لمبغضٍ منتفع.

* فالمندفعُ لا يرجع إلا بعد أن تصيبه العوارض والأسباب.
* والمنتفع لا يرغب في السـماع ولا في العود إلى الصواب.. إلا بعد انقطاع عوامل الاكتساب..

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

إن قاعدةَ عِلْمِنَا ومشروعَ بنائِنا المسندِ يقوم على أربعة ثوابت:

* مواقف الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الفتن

* مواقف الإمام الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الفتن

* مواقف الإمام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الفتن

* مواقف الإمام علي زين العابدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الفتن

وقد أشرنا إلى هذا المشروع بثوابته العلمية والعملية في هذه المنظومة ، فمن أراد الاقتداء والاهتداء بهؤلاء الأئمة فبابه مفتوح ، ولكل إمام مدرسة ومنهج وتطبيق ونتيجة ، ومن أراد غير ذلك فلا ننازعه في أخذه ومواقفه ، وإنما نقول: ﴿ **وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا** ﴾ [البقرة:١٤٨]..

وإنما نقول للجميع: هذه أبياتٌ شعريةٌ نظمتُها على غرار المنظومات التعليمية ، ضَمَّنْتُها وِجْهَةَ نظرِ الركنِ الرابعِ من أركان الدين.. ركنِ المتغيرات.. في إحدى مسائل الاختلاف.

والمعلومُ أن قضيةَ آل البيت ـ ومنها يوم الغدير وما ترتَّب على هذا الأمر ـ جزءٌ من علم فقه التحولات.. فرَبَطْتُ النصوصَ بالمواقفِ والمواقفَ بالشخوص.. وأسقطتُ عن كاهلي مسؤوليةَ العلم الذي أَعْلَمُه في مثل هذه المسألة التي أَثْبَتُّها هنا لا من واقع تفسير الأحداث ، ولا من مواقف الاختلاف التي تشكلتْ بين الفريقين في كتب التراث ، وإنما بلغة القراءة الجامعة للثوابت والمتغيرات.

وهي القراءة التي أهملها الكثير من حملة العلم، واستعاضوا عنها بالقراءة الأصولية للثوابت دون المتغيرات، فجاءت المخرجات لحديث جبريل على الصفة التي نعانيها جميعا ، ولا زال حديث أم السنة يتيما عن أحد أركانه الأربعة حتى اليوم ، وسيظل الحرج مصاحبا لنا في قضايانا المصيرية حتى نفقه القراءة النصية لأركان الدين الأربعة مجتمعة لا متفرقة .

والله من وراء القصد..

المؤلف

جدة – ١٨ ذي الحجة ١٤٣٤ هـ

يَا رَبَّنَا صَلِّ وَسَلِّمْ أَزَلَا عَلَى النَّبِيِّ الْمُرْتَقِي أَوْجَ الْعُلَا

وَالآلِ وَالأَصْحَابِ أَهْلِ الإِصْطِفَا وَحَيْدَرِ الْكَرَّارِ مَنْصُوصِ الوَلَا

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي تَفَضَّلَا عَلَى الْعِبَادِ آخِرًا وَأَوَّلَا

وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَحْيًا ثَابِتًا عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى مَنْ أُرْسِلَا

مُبَشِّرًا وَمُنْذِرًا وَهَادِيًا وَ شَاهِدًا وَ دَاعِيًا مُخَوَّلَا

بِالإِذْنِ مِنْ مَوْلَاهُ لَا مِنْ غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ الْمُعْطِي الْعَطَاءَ الأَجْزَلَا

وَبَعْدُ فَاعْلَمْ أَنَّنَا فِي حَيْرَةٍ مِمَّا نَرَاهُ فِي زَمَانِ الإِبْتِلَا

وَشِدَّةِ الأَخْذِ بِأَفْكَارِ الْهَوَىٰ وَفَهْمِ كُلِّ أَنَوِيٍّ مُبْتَلَىٰ

مِنْ مُفْرِطٍ يَقُودُهُ الطَّبْعُ إِلَىٰ أُنْمُوذَجِ التَّحْرِيشِ حَيْثُ نَزَلَا

أَوْ مَنْ نَحَىٰ التَّفْرِيطَ فِي أَحْكَامِهِ مُنَافِسًا لِغَيْرِهِ مُنْفَعِلَا

وَتَرْكِ مَا قَدْ جَاءَ عَنْ نَبِيِّنَا مِنْ لُطْفِهِ وَصَبْرِهِ بَيْنَ الْمَلَا

فَعصرُ طـهَ عَصرُ فتحٍ وبِنَا مُستجمِعًا شُروطَ عَدلٍ واْعتِلَا

فَفيهِ أَرسَىٰ المُصطَفَىٰ قَواعِدًا وأَسَّ بُنيَانًا وشَادَ مَنزِلَا

سُنَّتُهُ الغَرَّاءُ قَولٌ ثَابِتٌ وفِعلُهُ تَقرِيرُهُ قَد أُكمِلَا

وزَادنَا مِن بَينِهَا مَواقِفًا ومِثلُهَا دَلالَةٌ لِلعُقَلَا

عَن فِتَنٍ وإحَنٍ مُضِلَّةٍ تُصِيبُ أَهلَ الدِّينِ في شَأْنِ الوَلَا

مَجمُوعَةً في رَابعِ الأَركَانِ مِن حَديثِ جِبرِيلَ الَّذي تَأَصَّلَا

فَدَرسُهَا يُنبِيكَ عَن نوَاقِضٍ في الحُكمِ والعِلمِ ومَن قَد بَدَّلَا

ومِثلُهَا نَقَائِضٌ قَد فَرَّقَت دِينَ الهُدَىٰ وأَورَثَتنَا العِلَلَا

جِيلًا بِجِيلٍ عَن دُعَاةٍ نَزَعُوا بِالنَّاسِ شَتَّىٰ حَيثُمَا كَانُوا بَلَا

لَم يَنهَجُوا نَهجَ الشُّيُوخِ عَمَلًا وَلَا اْقتِدَاءً بَل أَقَامُوا الجَدَلَا

في الحَطِّ والتَّرحَالِ حَتَّىٰ جَعلُوا عَلاقَةَ الإِسلَامِ حِقدًا وَقِلَىٰ

وَنظَرًا في العَيبِ أَو تَربُّصًا بِمَا يَشِينُ أَو بِأَمرٍ أَشكَلَا

حَتَّىٰ غَدَت مَرَاحِلُ الإِسلَامِ في مَنظُورِهِم نِظَامَ حُكمٍ بُدِّلَا

وَأَورَثُوا مَذهَبَهُم مَواقِفًا تَحكِي صِرَاعًا مُستَدِيمًا مُشغِلَا

وَنَهجُنَا فِيمَا أَشَرنَا هَاهُنَا أَن نَبتَغِي طَرِيقَ عَدلٍ فُضِّلَا

فَكَانَ فِي فَهْمٍ لِرُكْنٍ رَابِعٍ وَمَا لَهُ مِنْ مُجْمَلٍ قَدْ فُصِّلَا

يَا رَبِّ وَفِّقْنَا جَمِيعاً لِلْهُدَىٰ وَالسَّيْرِ فِي نَهْجِ الْكِرَامِ النُّبَلَا

يَا رَبَّنَا صَلِّ وَسَلِّمْ أَزَلَا عَلَى النَّبِيِّ الْمُرْتَقِي أَوْجَ الْعُلَا

وَالآلِ وَالأَصْحَابِ أَهْلِ الإِصْطِفَا وَحَيْدَرِ الْكَرَّارِ مَنْصُوصِ الْوَلَا

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً

باعث هذا النظم

بَاعِثُ هٰذَا النَّظْمِ مَا فِي عَصْرِنَا مِنْ كَثْرَةِ الْهَرْجِ الَّذِي سَادَ الْمَلَا

وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ مِمَّنْ حَوْلَنَا وَمَنْ يَلِينَا عَنْ زَمَانٍ رَحَلَا

وَرَبْطِ نَهْجِ أَهْلِنَا بِضِدِّهِمْ تَعَنُّتاً كَمَا يُشِيعُ الدُّخَلَا

وَمَا يُقَالُ أَنَّنَا فِي غَفْلَةٍ عَنْ ذِكْرِ آلِ الْبَيْتِ جَهْلاً أَوْ قِلَىٰ

وَلَمْ تَعُدْ تُذْكَرُ فِي عَادَاتِنَا مُنَاسَبَاتُ الآلِ أَهْلِ الإِعْتِلَا

مُسْتَبْدِلِينَ بَعْضَ أَعْيَادٍ بِمَا يَخُصُّ أَهْلَ الظُّلْمِ أَوْ مَنْ قَتَّلَا

وَتَرْكِ أَوْ إِغْفَالِ مَا مِنْ شَأْنِهِ رَبْطُ الْجَمِيعِ بِالْهُدَاةِ الْفُضَلَا

كَمِثْلِ مَا قَدْ جَاءَ عَنْ يَوْمٍ بِهِ قَدْ جَمَعَ الْمُخْتَارُ أَشْتَاتَ الْمَلَا

مِنْ بَعْدِ أَنْ قَدْ عَادَ مِنْ حَجَّتِهِ عَامَ الْوَدَاعِ بِالْغَدِيرِ نَزَلَا

وَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ رَافِعاً كَفَّ الإِمَامِ أَنَّهُ مَوْلَىٰ الْوَلَا

فَصارَ عِيدًا جَامِعًا لِسِرٍّ مَا   أَبْدَى الخِلافَ وَأَثَارَ الجَدَلَا

وَلَمْ تَزَلْ ذِكْرَاهُ تُبْدِي قَلَقًا   بَيْنَ الجَمَاعَاتِ فَصارُوا كُتَلَا

وَٱسْتَفْحَلَ الأَمْرُ وَصارَ مَنْهَجًا   مُهَدِّدًا وَمَنْزَعًا مُجَلْجِلَا

وَسَبَبًا لِعَبَثٍ مُسَيَّسٍ   فِي كُلِّ عَصْرٍ يَسْتَمِيلُ الوُكَلَا

مِنْ أُمَّةِ الكُفْرِ الَّتِي تَظَافَرَتْ   بِعِلَّةِ التَّوْسِيدِ صُنْعَ العُمَلَا

يَنْفِيهِ بَعْضُ النَّاسِ وَهْوَ جَاهِلٌ   عَمَّا أَبَانَ المُصْطَفَىٰ وَفَصَّلَا

فَدَعْكَ مِنْ هٰذَا وَذَاكَ إِنَّمَا   أُشِيرُ فِي نَظْمِي لِمَنْ قَدْ عَقَلَا

فَالمُسْلِمُونَ قَدْ غَدَوْا فِي فِرَقٍ   مَهْزُومَةٍ لا يَتْرُكُونَ الجَدَلَا

وَكُلُّ حِزْبٍ فَرِحٌ بِنَهْجِهِ   يَظُنُّ مَنْ وَافَقَهُ قَدْ وَصَلَا

وَالنَّصُّ نَصُّ المُصْطَفَىٰ مُجَرَّدًا   وَالفَهْمُ فِي النَّصِّ ٱجْتِهَادٌ أَشْكَلَا

وَوِجْهَةُ القَوْمِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا   سَلَامَةَ الأَمْرِ أَزَاحُوا المُشْكِلَا

يَا رَبَّنَا صَلِّ وَسَلِّمْ أَزَلًا   عَلَى النَّبِيِّ المُرْتَقِي أَوْجَ العُلَا

وَالآلِ وَالأَصْحَابِ أَهْلِ الإِصْطِفَا   وَحَيْدَرِ الكَرَّارِ مَنْصُوصِ الوَلَا

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

منهج السلف الصالح من سادات آل البيت بحضرموت

مَنْهَجُنَا عَلَىٰ طَرِيقِ أَهْلِنَا   مِنْ آلِ طٰه مُسْنَدًا مُسَلْسَلَا

مَنْ آمَنُوا بِالنَّصِّ حَقًّا وَٱرْتَضَوْا   نَهْجَ ٱعْتِدَالٍ سَارَ فِيهِ الفُضَلَا

مِنْ سَادَةِ الصُّلْحِ الَّذِينَ جَمَعُوا   سِرَّ السَّلَامِ آخِرًا وَأَوَّلَا

وَمِثْلُهُمْ بَقِيَّةُ السَّيْفِ ٱرْتَضَوا   حِفْظَ الشُّعُوبِ مِنْ حُرُوبٍ وَبَلَا

وَلَمْ يَزَالُوا هُمْ وَمَنْ أَحَبَّهُمْ   عَبْرَ الزَّمَانِ مُنْكِرِينَ الجَدَلَا

مُسْتَمْسِكِينَ بِشُرُوطِ الإِنْتِمَا   قَوْلًا وَفِعْلًا وَٱرْتِبَاطًا وَوَلَا

مُشْتَغِلِينَ بِالعُلُومِ وَالهُدَىٰ   وَالنُّصْحِ بِالحُسْنَىٰ لِمَنْ لَمْ يُبْتَلَىٰ

وَهٰكَذَا دَيْدَنُهُمْ طُولَ المَدَىٰ   أَوْقَاتُهُمْ مَعْمُورَةٌ بِمَا غَلَا

وَإِنْ بَدَا مِنْ تَابِعٍ أَوْ نَزِقٍ   تَعَرُّضٌ لِلنَّصِّ أَوْ مَا نُقِلَا

أَبْدَوْا لَهُ أَخْلَاقَ مَنْ لَا غَيْرُهُ   قُدْوَةِ هٰذَا الدِّينِ أَزْكَىٰ العُقَلَا

وَدُونَ هٰذَا فَهْمُ مَنْ قَالُوا بِمَا   يُغْرِي الشُّعُوبَ لِٱقْتِتَالٍ رُحَّلَا

وَالأَصْلُ فِي الأَمْرِ ٱخْتِلَافٌ وَاضِحٌ   فِي غَايَةِ النَّصِّ لِمَنْ رَامَ ٱجْتِلَا

وَالفَضْلُ مَنْصُوصٌ بِهِ وَمُجْمَعٌ   دُونَ القَرَارِ مِثْلَمَا قَالَ الأُلَىٰ

لِأَنَّ شَأْنَ الحُكْمِ مَرْبُوطٌ بِمَا   قَدْ جَاءَتِ الشُّورَىٰ بِهِ بَيْنَ المَلَا

فَهُمْ لَهُ فِي الشَّرْعِ أَصْلٌ ثَابِتٌ   وَالآخَرُونَ فَهِمُوا الشُّورَىٰ قِلَا

لِأَجْلِ هٰذَا فَالخِلَافُ شَأْنُهُ   فَهْمُ النُّصُوصِ فِي ٱنْتِمَاءٍ وَوَلَا

أَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ نَصُّ المُصْطَفَىٰ   مُنَزَّهٌ عَمَّا يُثِيرُ الجَدَلَا

وَوَاجِبٌ إِدْرَاكُ فَضْلِ المُرْتَضَىٰ   وَمَا لَهُ مُفَصَّلًا وَمُجْمَلَا

وَمِثْلُه إِدْرَاكُ فَضْلِ غَيْرِهِ   مِنْ جُمْلَةِ الأَصْحَابِ مِمَّنْ عُدِّلَا

فَكُلُّهُمْ عَدْلٌ وَمَا قَامُوا بِهِ   عَيْنُ ٱجْتِهَادٍ ثَابِتٍ قَدْ سُجِّلَا

وَحَيْدَرٌ أَكَّدَهُ بِقَوْلِهِ   وَفِعْلِهِ مُشَارِكًا مُسْتَبْسِلَا

فَٱحْرِصْ عَلَىٰ مَا قَالَهُ إِمَامُنَا   فِي شَأْنِ هٰذَا الأَمْرِ حَتَّىٰ قُتِلَا

وَٱحْذَرْ أُخَيَّ القَدْحَ فِيمَنْ حَصَّنُوا   وَفُضِّلُوا وَلَا تُجَارِي الجُهَلَا

فَمَنْ أَشَارَ المُصْطَفَىٰ لِقَدْحِهِ   فَالقَدْحُ فِيهِ بِالنُّصُوصِ أُجْمِلَا

لِأَنَّ فِي هٰذَا ٱلْتِزَامٌ ثَابِتٌ   لِلشَّرْعِ لَا طَبْعٌ يُثِيرُ الدَّجَلَا

يَا رَبَّنَا صَلِّ وَسَلِّمْ أَزَلًا   عَلَىٰ النَّبِيِّ المُرْتَقِي أَوْجَ العُلَا

وَالآلِ وَالأَصْحَابِ أَهْلِ الإِصْطِفَا   وَحَيْدَرِ الكَرَّارِ مَنْصُوصِ الوَلَا

ٱللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

موقع الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من امتلاك القرار

قَدْ أَثْبَتَ النَّصُّ الشَّرِيفُ سَلَفَا   جَدَارَةَ الإِمَامِ حُكْمًا وَٱعْتِلَا

وَأَنَّهُ مُقَدَّمٌ إِنْ فَعَلُوا   وَفِي يَدَيْهِ الحَلُّ عِنْدَ الإِبْتِلَا

وَقَالَ طٰهَ أَنْتَ إِنْ أَدْرَكْتَهُ   صَاحِبُهُ وَالأَمْرُ بِالنَّصِّ ٱجْتَلَىٰ

فَكَانَ مَا كَانَ وَهٰذَا قَدَرٌ   يَشْفَعُهُ النَّصُّ مُحَقِّقٌ وَٱسْأَلَا

فَقَدْ أَتَى عَنِ النَّبِيِّ قَوْلُه ... خِلَافَةٌ بَعْدِي ثَلَاثُونَ ٱنْقَلَا
نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ وَبَعْدَهَا ... مُلْكٌ عَضُوضٌ لَمْ يَزَلْ مُسْتَفْحِلَا
وَتَرَكَ السِّبْطُ الزِّمَامَ عِنْدَمَا ... أَوْفَى الثَّلَاثِينَ وَكَانَتْ مِفْصَلَا
وَٱنْحَسَمَ الْأَمْرُ بِهَذَا وَغَدَا ... رَأْيُ الَّذِي يَنْفِيهِ رَأْيًا قَدْ غَلَا
فَٱنْظُرْ أَخَا الْعِرْفَانِ قَوْلَ الْمُصْطَفَى ... وَخُذْ طَرِيقَ الْعَدْلِ وَٱتْرُكْ مَنْ قَلَى
وَجَانِبِ الْإِفْرَاطَ فَهْوَ عِلَّةٌ ... وَمِثْلُهُ التَّفْرِيطُ شَأْنُ الْجُهَلَا
يَا رَبَّنَا صَلِّ وَسَلِّمْ أَزَلَا ... عَلَى النَّبِيِّ الْمُرْتَقِي أَوْجَ الْعُلَا
وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ أَهْلِ الْإِصْطِفَا ... وَحَيْدَرِ الْكَرَّارِ مَنْصُوصِ الْوَلَا

ٱللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

ما يترتب على الغلو في شأن القرار

مِنْ فِقْهِ دِينِ ٱللهِ فِيمَا خَصَّنَا ... إِقَامَةُ الْعَدْلِ بِفَهْمٍ ذُلِّلَا
وَضَابِطُ الْأَمْرِ نُصُوصٌ قَدْ أَتَتْ ... تُبَيِّنُ الْحَقَّ وَتَنْفِي الْجَدَلَا
وَسَبَبُ الْإِشْكَالِ فِيمَا قَدْ جَرَى ... نَقْلُ النُّصُوصِ عِنْدَ بَعْضِ الْفُضَلَا
فَالرَّابِعُ الرُّكْنُ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ ... تَعْلِيلُ مَا يَجْرِي وَكَشْفُ الْمُبْتَلَى
قَدْ كَانَ مَعْزُولًا وَلَمْ يُعْنَ بِهِ ... أَهْلُ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ الْعُدَلَا
وَعَالَجُوا الْقَرَارَ فِي أَحْوَالِهِ ... مِنْ حَيْثُمَا صَاغُوا الْأُصُولَ فِي الْمَلَا

فَكَانَ هٰذَا سَبَبًا مُؤَثِّرًا وَعَامِلًا أَدَّىٰ إِلَىٰ مَا ٱنْحَلَا

وَمَخْرَجُ الأَمْرِ لِمَنْ يَرْجُو الهُدَىٰ إِكْمَالُ دَرْسِ الرُّكْنِ نَصًّا مُجْمَلًا

ثَوَابِتٌ ثَلَاثَةٌ وَرَابِعٌ يُعَالِجُ التَّحَوُّلَ المُفْتَعَلَا

نُصُوصُهَا مُجْمَلَةٌ فِي بَابِهَا فَخُذْ بِهَا وَلَا تَكُنْ مُسْتَعْجِلَا

فَكُلُّ مَا قَدْ كَانَ مِنْ عَهْدِ الأُلَىٰ وَمَا يَكُونُ مِنْ صِرَاعٍ نُقِلَا

أَوْ مَا جَرَىٰ مِنْ بَعْدِ مَوْتِ المُصْطَفَىٰ مِنِ ٱخْتِلَافٍ أَوْ خِلَافٍ أَشْكَلَا

فَضَابِطُ الأَمْرِ العَلَامَاتُ الَّتِي فِي فِقْهِ هٰذَا العِلْمِ تُجْلِي المُشْكِلَا

لَا غَيْرُهَا يُجْلِي عَنِ العَقْلِ الصَّدَىٰ فَٱقْرَأْ وَحَقِّقْ إِنْ أَرَدْتَ الإِمْتِلَا

وَدَعْكَ مِنْ وَاشٍ وَمِنْ ذِي فِتْنَةٍ أَوْ قَائِلٍ لَمْ يَأْتِ هٰذَا فِي الأُلَىٰ

فَالقَوْلُ قَوْلُ المُصْطَفَىٰ لَا غَيْرُهُ وَالحُكْمُ حُكْمُ النَّصِّ إِنْ صَحَّ الوَلَا

كَافٍ عَنِ المَنْصُوصِ فِيمَنْ قَالَ لَا فِي الأَمْرِ وَٱحْذَرْ أَنْ تُغِيظَ العُقَلَا

فَٱللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَحْدَهُ وَهْوَ الَّذِي يَحْفَظُ إِنْ عَمَّ البَلَا

يَا رَبَّنَا صَلِّ وَسَلِّمْ أَزَلًا عَلَىٰ النَّبِيِّ المُرْتَقِي أَوْجَ العُلَا

وَالآلِ وَالأَصْحَابِ أَهْلِ الإِصْطِفَا وَحَيْدَرِ الكَرَّارِ مَنْصُوصِ الوَلَا

ٱللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

لِكُلِّ شَيْءٍ جَذْرُهُ وَأَصْلُهُ ... وَمَنْبَعُ التَّكْوِينِ فِيمَا نُقِلَا

وَالدِّينُ يَدْعُونَا إِلَى تَأَمُّلٍ ... فِي الأَمْرِ حَتَّى لَا يُشِيعَ العِلَلَا

فَمُنْذُ كَانَ المُصْطَفَى بِمَكَّةٍ ... وَبَعْدَهَا فِي طَيْبَةٍ مُسْتَحْمِلَا

يُوَاجِهُ الفِتْنَةَ مِنْ جُذُورِهَا ... فِي كَافِرٍ أَوْ فَاسِقٍ بَيْنَ المَلَا

أَوْ مُدَّعٍ نُبُوَّةً أَوْ مِثْلَهُ ... مُنَافِقًا أَوْ مُرْجِفًا مُنْفَعِلَا

هَمُّهُمُ الإِرْجَافُ مِنْ حَيْثُ ثَوَوْا ... وَالمَكْرُ وَالتَّخْذِيلُ فِي أَهْلِ الوَلَا

وَلَمْ يَزَلْ طٰهَ يَرَى مِنْ بَعْضِهِمْ ... شَرَّ الأَذَى كَمَا يَرَى التَّدَخُّلَا

بِالقَوْلِ أَوْ بِالفِعْلِ دَأْبًا دَائِمًا ... وَقَدْ أَتَى النَّصُّ بِهٰذَا مُنْزَلَا

فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ أَوْ فِي مِثْلِهَا ... مِنْ سُورَةِ الأَنْفَالِ نَصًّا رُتِّلَا

وَسُورَةُ النِّفَاقِ تَحْكِي مَنْهَجًا ... عَبْرَ الزَّمَانِ وَاقِعًا مُؤَصَّلَا

مُخَرَّجٌ وَعْيُ المُؤْمِنِينَ دَرْسُهَا ... وَالفَهْمُ مِنْهَا سِرُّ مَا قَدْ أُسْدِلَا

وَسِرُّ مَا يَبْقَى عُهُودًا جَمَّةً ... جِيلًا بِجِيلٍ مُسْنَدًا مُدَلَّلَا

فِي العِلْمِ أَوْ فِي الحُكْمِ أَوْ فِي شَأْنِ مَا ... يَرْبُطُ هٰذَا الأَمْرَ حَيْثُ اشْتَمَلَا

فَالأَصْلُ فِي الإِسْلَامِ نَهْجٌ صَائِبٌ ... يَقُومُ بَيْنَ النَّاسِ شَرْعًا مُجْمَلَا

لَهُ العُدُولُ الوَارِثُونَ حَمَلُوا ... أَمَانَةَ الإِبْلَاغِ مِنْ بَيْنِ المَلَا

وَفِي النُّصُوصِ مَا يُشِيرُ عَلَنًا ... قَبْضًا وَنَقْضًا كَائِنًا مُسْتَفْحِلَا

يُعَارِضُ العُدُولَ حَيْثُ خَيَّمُوا وَيَنْقُضُ الحَقَّ وَيَحْمِي الجُهَلَا

مِنْ كُلِّ غِرٍّ جُفعُضَرِيٍّ هَالِكٍ مُسَيِّسٍ لِلْحَقِّ حَيْثُ نَزَلَا

مُؤَثِّرٍ بِقَوْلِهِ وَ فِعْلِهِ مُسْتَنْفِرٍ طِبَاعَنَا مُسْتَغْفِلَا

وَلَوْ يَكُنْ مِنْ آلِ بَيْتِ المُصْطَفَىٰ فَالمَكْرُ وَالتَّسْيِيسُ شَرٌّ وَبَلَا

أَصَابَ أَقْوَامًا أُولِي حَصَانَةٍ فِي سَابِقِ العَهْدِ فَخُذْهَا مَثَلَا

وَلَمْ أَقُلْ هٰذَا تَعَدٍّ وَهَوًى بَلْ مِثْلَمَا قَالَ النَّبِيُّ مُجْمَلَا

إِنِّي أَرَىٰ بَيْنَ البُيُوتِ فِتَنًا كَأَنَّهَا القَطْرُ مَتَىٰ مَا هَطَلَا

يَا رَبَّنَا صَلِّ وَسَلِّمْ أَزَلًا عَلَىٰ النَّبِيِّ المُرْتَقِي أَوْجَ العُلَا

وَالآلِ وَالأَصْحَابِ أَهْلِ الإِصْطِفَا وَحَيْدَرِ الكَرَّارِ مَنْصُوصِ الوَلَا

ٱللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

فصل في موقفنا من الفتنة

وَنَحْنُ فِي هٰذَا البَيَانِ نَقْتَفِي أَئِمَّةَ الدِّينِ كِرَامًا نُبَلَا

لَا مُفْرِطِينَ مِثْلَ مَنْ قَدْ خَذَلُوا وَلَا جُفَاةً مِثْلَ مَنْ قَدْ قَتَلَا

تَوَسَّطُوا فِي كُلِّ أَمْرٍ وَٱهْتَدَوْا بِالشَّرْعِ وَالآدَابِ مِنْ غَيْرِ ٱعْتِلَا

وَٱسْتَوْعَبُوا فِقْهًا عَلَيْهِ قَدْ مَضَىٰ آلُ النَّبِيِّ وَالصَّحَابَاتُ الأُلَىٰ

لَمْ يَرْتَضُوا ظُلْمًا وَلَا مَالُوا لِمَنْ يَرُومُهُ قَوْلًا وَفِعْلًا وَوَلَا

وَٱتَّخَذُوا مِنْ نَصِّ طٰه مَلْجَأً ... عِنْدَ ٱحْتِدَامِ الأَمْرِ صَبْرًا وَٱصْطِلَا

إِمَامُنَا مِنْ بَعْدِ طٰه حَيْدَرٌ ... لَمْ يَحْمِلِ السَّيْفَ وَلَمْ يَرْضَ ٱخْتِلَا

وَشَارَكَ الأَصْحَابَ فِي خِدْمَتِهِمْ ... لِلدِّينِ مُخْتَارًا وَزِيرًا فَيْصَلَا

وَسَيِّدُ الصُّلْحِ الَّذِي لَمْ يَلْتَفِتْ ... لِلْحُكْمِ بَلْ أَبْدَىٰ السُّلُوكَ الأَفْضَلَا

وَٱعْتَاضَ بِالعِلْمِ وَتَبْلِيغِ الهُدَىٰ ... فِي أُمَّةِ الإِسْلَامِ حَتَّىٰ ٱنْتَقَلَا

وَبَعْدَهُ الحُسَيْنُ مَنْ أَبْدَىٰ لَنَا ... زَيْفَ المُحِبِّينَ الغُلَاةِ البُخَلَا

وَإِفْكَ مَنْ أَبْغَضَهُ وَخَانَهُ ... مِنَ البُغَاةِ الفَاسِقِينَ القُتَّلَا

كِلَاهُمَا لَمْ يُنْصِفُوا فِي مَوْقِفٍ ... فَصَارَ هٰذَا دَرْسَنَا المُتَّصِلَا

وَبَعْدَهُ السَّجَّادُ خَيْرُ قَانِتٍ ... بَقِيَّةُ السَّيْفِ إِمَامُ العُقَلَا

بَانِي مَقَامِ الزُّهْدِ فِي طَرِيقِنَا ... وَخَادِمِ العِلْمِ الَّذِي تَأَصَّلَا

وَجَاءَ زَيْدٌ بَعْدَهُ مُجَدِّدًا ... مَوَاقِفَ الأَتْبَاعِ لٰكِنْ خُذِلَا

وَأَوَّلُ التَّخْذِيلِ فِي أَنْصَارِهِ ... لَمَّا غَلَوْا وَنَازَعُوهُ فِي الوَلَا

فَكَانَ مَا كَانَ وَلَمْ يَبْقَ لِمَنْ ... يَرْجُو النَّجَاةَ من سَلَامٍ مَثَلَا

غَيْرَ ٱقْتِفَاءِ لِشُيُوخٍ نَهَجُوا ... نَهْجَ ٱتِّبَاعِ الخُلَفَاءِ النُّبَلَا

عِنْدَ ٱضْطِرَابِ الأَمْرِ صَانُوا دِينَهُمْ ... وَلَمْ يُثِيرُوا فِتْنَةً أَوْ دَغَلَا

وَأَوْكَلُوا أَمْرَهُمُ لِرَبِّهِمْ ... يَقْضِي بِمَا قَدْ شَاءَهُ مُسْتَقْبَلَا

وَالعَهْدُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حِفْظُ الدِّمَاءِ وَاللِّسَانِ المُبْتَلَى

وَالنُّصْحُ وَالتَّوْجِيهُ فِي شُعُوبِنَا وَصَوْنُهُمْ عَمَّا يُحَاكُ جَدَلَا

وَأَفْضَلُ الجِهَادِ قَالَ المُصْطَفَى إِنْ جَارَ سُلْطَانٌ مَقَالٌ أُجْمِلَا

فَخُذْ أُخَيَّ مَا أَتَى مِنْ فِقْهِهِمْ وَإِنْ أَبَيْتَ دَعْكَ مِنِّي وَٱرْحَلَا

فَقَدْ تَكُونُ صَادِقًا مُسْتَوْثِقًا وَقَدْ أَكُونُ جَاهِلًا مُسْتَغْفَلَا

وَوَعْدُنَا الحَقُّ إِذَا مَا ظَهَرَتْ عَلَامَةُ المَهْدِيِّ فِيمَا نُقِلَا

نَسِيرُ حَبْوًا فَوْقَ ثَلْجٍ بَارِدٍ كَمَا أُمِرْنَا مُدْرِكِينَ المَنْزِلَا

يَا رَبَّنَا صَلِّ وَسَلِّمْ أَزَلًا عَلَى النَّبِيِّ المُرْتَقِي أَوْجَ العُلَا

وَالآلِ وَالأَصْحَابِ أَهْلِ الإِصْطِفَا وَحَيْدَرِ الكَرَّارِ مَنْصُوصِ الوَلَا

ٱللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

نقل معركة الواقع إلى صراع التاريخ سياسة أنوية

مِنْ فِعْلِ شَيْطَانِ الصِّرَاعِ مَا نَرَى زَجُّ الشُّعُوبِ فِي ٱخْتِلَافٍ قَدْ خَلَا

لِيُشْغَلُوا عَنْ فِتْنَةٍ مَدْرُوسَةٍ أَقَامَهَا الشَّيْطَانُ تَحْمِي الدَّجَلَا

تُثِيرُ أَهْلَ الدِّينِ ضِدَّ بَعْضِهِمْ هَرْجًا وَمَرْجًا وَغُثَاءً أُشْعِلَا

جِيلًا بِجِيلٍ فِي صِرَاعٍ دَائِمٍ كَمَا أَتَى عَنِ الَّذِي قَدْ أُرْسِلَا

تَفَاقُمُ الحِقْدُ المَقِيتُ دُونَمَا مِنْ ضَابِطٍ فِي الشَّرْعِ بَلْ صَارَ بَلَا

تَكَتُّلٌ مِنْ أَهْلِ حُكْمٍ أَوْ عَلَىٰ ... صِرَاعِ فِكْرٍ هَاتِكٍ قَدْ خَلْخَلَا

يُدِيرُهُ الشَّيْطَانُ وَالدَّجَّالُ فِي ... مَرَاحِلِ التَّسْيِيسِ حَتَّىٰ هَلْهَلَا

فَلْتُدْرِكُوا يَا أُمَّةً مَرْحُومَةً ... حَقَّ الدِّمَاءِ وَٱحْفَظُوا عَهْدَ الأُلَىٰ

لا تَخْدِمُوا الشَّيْطَانَ فِي مَشْرُوعِهِ ... مَهْمَا بَدَا المَاضِي عَلَيْكُمْ مُشْكِلَا

فَالأَصْلُ حِفْظُ الدِّينِ فِي أَتْبَاعِهِ ... وَحُبُّ آلِ البَيْتِ حُبًّا مُوصِلَا

لِلّٰهِ لا حَرْبًا لِنَيْلِ سُلْطَةٍ ... ولا ٱمْتِلاكًا يَسْتَثِيرُ الدُّوَلَا

مِنْ عُصْبَةِ الغُثَاءِ مَنْ لا يَمْلِكُوا ... أَمْرًا وَلَا نَهْيًا وَعَاشُوا عُمَلَا

وَكُلُّهُمْ وَمَنْ أَتَىٰ مِنْ بَعْدِهِمْ ... مُسْتَعْمَرِينَ بِالغُثَاءِ فِي الوَلَا

حَتَّىٰ يَجِيءَ الوَعْدُ وَعْدُ المُصْطَفَىٰ ... بِشَرْطِهِ المَنْصُوصِ فِيمَا نُقِلَا

فَدَعْكَ مِنْ هٰذَا الزَّفِيرِ عِنْدَ مَنْ ... يَهْذِي وَذَاكَ بِالشَّهِيقِ ٱنْفَعَلَا

فَالكُلُّ مَأْزُومٌ يُعَانِي عِلَّةً ... وَيَبْحَثُ الحَلَّ بِأَطْيَافِ الطِّلَا

بِالحَرْبِ أَوْ بِالحِزْبِ أَوْ فِي مِثْلِهِ ... مِنْ مُخْرَجَاتِ العَصْرِ فَٱنْظُرْ فِي الدِّلَا

وَمِثْلُ هٰذَا يَقْتَضِي مِنْ كُلِّ مَنْ ... لَهُ ٱنْتِمَاءٌ صَادِقٌ أَنْ يَسْأَلَا

عَمَّا يُدَارُ فِي زَمَانٍ هَالِكٍ ... مِنْ عُصْبَةِ التَّحْرِيشِ حِفْظًا وَٱعْتِلَا

فَلِلدِّمَاءِ حُرْمَةٌ مُصَانَةٌ ... وَالمُسْتَخِفُّ بِالدِّمَاءِ مُبْتَلَىٰ

يَا رَبَّنَا صَلِّ وَسَلِّمْ أَزَلًا ... عَلَى النَّبِيِّ المُرْتَقِي أَوْجَ العُلَا

وَالآلِ وَالأَصْحَابِ أَهْلِ الإِصْطِفَا   وَحَيْدَرِ الكَرَّارِ مَنْصُوصِ الوَلَا

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

ذكريات الغدير وأمثاله

عِيدُ الغَدِيرِ ذِكْرَيَاتُ شَرَفٍ   تَرْفَعُ قَدْرَ الآلِ وَالصَّحْبِ الأُلَىٰ

وَمَنْ أَرَادَ الإِحْتِفَالَ رَاغِبًا   فِي خِدْمَةِ التَّارِيخِ شَرْعًا فَعَلَا

فَكَمْ لِهٰذَا الأَمْرِ مِنْ رِوَايَةٍ   تُفِيدُ أَهْلَ العِلْمِ فَهْمًا يُجْتَلَىٰ

وَدَرْسُهَا وَشَرْحُهَا وَمِثْلُهُ   جُمْلَةُ مَا لِلْآلِ مِنْ فَضْلٍ غَلَا

أَوْ لِلْإِمَامِ حَيْدَرٍ وَمِثْلُهُ السِّـ   ـبْطَانِ فَٱقْرَأْ مَا وَجَدْتَ وَٱنْهَلَا

فَالكُلُّ مَحْقُوقٌ بِمَا قَدْ خَصَّهُ الـ   ـرَّحْمٰنُ مِنْ فَضْلٍ وَجَاهٍ وَحَلَا

وَزِدْ عَلَىٰ هٰذَا ٱهْتِمَامًا مِثْلَهُ   بِالصَّحْبِ وَٱحْذَرْ أَنْ تَقُولَ لَنْ وَلَا

فَالنَّصُّ أَوْلَىٰ مِنْ مَقَالِ وَاصِفٍ   وَشَرْحِ أَحْدَاثٍ تَقُصُّ المُثُلَا

فَمَنْ أَتَىٰ نَصٌّ بِهِ فِي فَضْلِهِ   مِنْ عَصْرِ طٰهَ فَهْوَ فَرْدٌ عُدِّلَا

وَمَنْ أَتَانَا قَادِحٌ فِي حَقِّهِ   مِنْ قَوْلِ خَيْرِ النَّاسِ زِدْنَاهُ قِلَا

وَالصَّمْتُ خَيْرٌ فِي الَّذِي نَجْهَلُهُ   وَالفَاسِقُونَ يَعْشَقُونَ الجَدَلَا

وَلَا يَصِحُّ بَعْدَ أَنْ قَدْ ذَهَبُوا   أَنْ نَسْتَثِيرَ الحِقْدَ فِيمَنْ رَحَلَا

وَلَا نُدِينَ أَحَدًا فِي مَوْقِفٍ   أَوْ أَنْ نَقُولَ عَنْهُ ضِدًّا بَدِّلَا

إِلَّا بِنَصٍّ فِيهِ عَنْ خَيْرِ الوَرَىٰ   بِأَنَّهُ مُبَدِّلٌ تَنَصَّلَا

فَلَيْسَ لِلْأَحْدَاثِ حُكْمٌ قَاطِعٌ فِيمَنْ لَهُ نَصٌّ صَحِيحٌ عَدَّلَا

وَمَنْ بَنَىٰ حُكْماً عَلَىٰ حَادِثَةٍ مِنْ غَيْرِ نَصٍّ فَهْوَ يَفْرِي الْمَقْوَلَا

يَا رَبَّنَا صَلِّ وَسَلِّمْ أَزَلاً عَلَىٰ النَّبِيِّ الْمُرْتَقِي أَوْجَ الْعُلَا

وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ أَهْلِ الْإِصْطِفَا وَحَيْدَرِ الْكَرَّارِ مَنْصُوصِ الْوَلَا

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً

الخاتمة والدعاء

بِشَاهِدِ الذَّوْقِ السَّلِيمِ خَتْمُنَا لِمَا أَتَىٰ فِي نَظْمِنَا وَدُلِّلَا

وَحُسْنِ ظَنٍّ أَنْ نَحُوزَ حَظَّنَا مِنَ الرِّضَىٰ مِنْ رَبِّنَا مَوْلَىٰ الْعُلَا

وَيُصْلِحَ اللّٰهُ الْأُمُورَ كَرَماً وَيَدْفَعَ الْبَأْسَ وَيُحْيِي الْأَمَلَا

وَيَشْرَحَ الصُّدُورَ لِلْحَقِّ الَّذِي يُرْسِي الْأَمَانَ وَيُبِيدُ الْجَدَلَا

يَا رَبَّنَا أَنْتَ الْمُجِيبُ مَنْ دَعَا اِكْفِ الْجَمِيعَ يَا إِلٰهِي الْعِلَلَا

وَأَلْهِمْ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ وِحْدَةً فِي الْأَمْرِ وَاقْبَلْ يَا إِلٰهِي الْعَمَلَا

وَاصْرِفْ عُيُوبَ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ الَّتِي تُمِيتُ فِي الْإِنْسَانِ أَسْرَارَ الْوَلَا

وَاقْضِ لَنَا الْحَاجَاتِ فِي سَلَامَةٍ وَاسْبِلْ عَلَيْنَا السِّتْرَ وَادْفَعْ لِلْبَلَا

وَسَهِّلِ الْأَرْزَاقَ فِي أَوْطَانِنَا وَأَصْلِحْ بَيْنَنَا فِي زَمَانِ الْإِبْتِلَا

وَسِّعْ لَنَا شَوَاهِدَ الْعِلْمِ الَّتِي تُحْيِي السَّلَامَ وَتَرُدُّ الزَّلَلَا

وَٱفْتَحْ لَنَا مَشَاهِدَ الوَعْيِ عَلَى ... عِزٍّ شَرِيفٍ كَيْ نُزِيلَ الخَلَلَا

رَبَّاهُ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى لَنَا ... إِلَّا لَكَ فَٱدْرِكْ مَنْ دَعَا وَهَلَّلَا

وَٱنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ مُزُونِ الغَيْثِ مَا ... يُحْيِي جُدُوبَ الأَرْضِ خِصْبًا خَضِلَا

وَٱجْعَلْ لَنَا فِي أَرْضِنَا كِفَايَةً ... ذَاتِيَّةً تُنْمِي الزُّرُوعَ وَالكَلَا

وَٱفْتَحْ عَلَى طُلَّابِنَا وَمَنْ لَهُمْ ... وَالَى وَأَبْدَى الصِّدْقَ فِي شَأْنِ الوَلَا

وَٱحْيِ بِهِمْ نَهْجَ الشُّيُوخِ العُلَمَا ... نَهْجَ الرِّجَالِ العَامِلِينَ الفُضَلَا

مِنْ سَادَةِ العَدْلِ الَّذِينَ أَنْصَفُوا ... أَضْدَادَهُمْ وَلَمْ يَكُونُوا بُخَلَا

مُسْتَرْشِدِينَ بِطَرِيقِ المُصْطَفَى ... حَيَّاهُمُ الرَّحْمٰنُ مَا الصُّبْحُ ٱنْجَلَا

يَا رَبِّ وَفِّقْنَا جَمِيعًا لِلْهُدَى ... وَالعَدْلِ وَالإِنْصَافِ لَا نَرْضَى القِلَى

وَٱجْعَلْ لَنَا فِي صَبْرِنَا مَزِيَّةً ... تَنْفَعُنَا يَوْمَ الوُرُودِ وَالبِلَى

مَعَ النَّبِيِّ المُصْطَفَى وَآلِهِ ... وَصَحْبِهِ وَتَابِعٍ تَأَهَّلَا

يَا رَبَّنَا صَلِّ وَسَلِّمْ أَزَلًا ... عَلَى النَّبِيِّ المُرْتَقِي أَوْجَ العُلَا

وَالآلِ وَالأَصْحَابِ أَهْلِ الإِصْطِفَا ... وَحَيْدَرِ الكَرَّارِ مَنْصُوصِ الوَلَا

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

الفهرس